دراسات

المسح الدولي للمخطوطات الإسلامية

إعداد مؤسسة الفرقان

قاسم بن أحمد السامرائي

استاذ في قسم المكتبات والمعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقًا)
خبير مخطوطات وباحث متفرغ - ليدن - هولندا

AL-Furqan Islamic Heritage Foundation, (London), World Survey of Islamic Manuscripts, vol. 1, (1992) xvii+569 pp. ; vol. 2, (1993) ; vi+724 pp.; index of languages + index of names ; ed. Geoffrey Roper, Printed & distributed by E.J. Brill, Leiden, The Netherlands .

مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي : المسح الدولي للمخطوطات الإسلامية

الجزء الأول (١٩٩٢) ١٧ + ٥٦٩ صفحة ؛ الجزء الثاني (١٩٩٣) ٥ + ٧٢٤ صفحة ، مع فهرس اللغات وفهرس الأعلام ... ، في جزأين ؛ إعداد وتحرير جفري روبر ، طباعة وتوزيع مؤسسة برل للطباعة والنشر ؛ ليدن – هولندا .

إن حب التراث بصوره المتنوعة لم يكن في يوم ما حكرًا على فئة من الناس دون أخرى أو جنس دون آخر بيد أن أفرادًا من هؤلاء الناس انفردوا دون غيرهم بعواطف دافقة نحوه تشدهم إليه شدًا ، وتحفزهم إلى الحرص عليه وبذل المجهود في صيانته ورعايته حتى لو كان ذلك على حساب بلهنية عيشهم ورفاه حياتهم . وهذا ما يجده القارئ واضحًا في كتاب «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل» النفيس لعبدالفتاح أبي غدة – أطال الله في عمره ونفعنا بعلمه الجم – (حلب ١٣٩٤هـ / ١٩٧١م) وبخاصة في فصل : «أخبارهم في فقد الكتب أو بيعها أو نحو ذلك عند الملمات (ص ٩٤ – ١١٠) . ومثل هذا ما ذكره وأفاض في شجونه – من واقع تجاربه الطويلة مع المخطوط الإسلامي – يحيى بن محمود ساعاتي في كتابه المتقن الصغير الحجم العظيم الجرم : «الفقد القسري للمعلومات عن الكتاب العربي» الذي نشرته مكتبة دار العلوم في الرياض سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م إذ حلل فيه الظواهر المتنوعة لهذا الفقد القسري للمخطوط الإسلامي وتأثيراته على استقراء الفكر الإسلامي بشكل دقيق كامل شامل نتيجة فقد عناصره أو مجهوليتها .

إن مثل هذا الحرص الشديد على التراث وصيانته وحب الحفاظ عليه لم ينفرد به العلماء فحسب ؛ بل كان منهم الطبيب والمنجم وبائع "الخرداوات" والعطار والحجام والباشا والوزير والخليفة والسلطان ، ومن هنا لم نعجب حين انبرى وزير البترول السعودي السابق أحمد زكي يماني لإنشاء مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فيكون هذان الجزآن في وصف الفهارس من بواكير أعمالها الكبيرة التي نرجو لها أن تتم في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى ؛ وبعد :

إن الكتاب بجزأيه لا يعدو أن يكون سردًا منظمًا لوصف فهارس المخطوطات الإسلامية (المكتوبة بالحروف العربية) المنشورة وغير المنشورة في الأقطار المختلفة من العالم ، قامت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن [برئاسة الشيخ أحمد زكي يماني] باختيار جماعة من العارفين عندها بالمخطوطات الإسلامية فعهدت إليهم القيام بهذا العمل الجماعي الشاق الذي ظهر حتى الآن في جزأين كبيرين . وقد وعد الناشرون أن يحتوي الجزء الثالث على وصف بقية فهارس المخطوطات في الأقطار التي لم توصف في هذين الجزأين .

احتوى الجزء الأول على وصف الفهارس في كل من أفغانستان وألبانيا وأرمينيا والنمسا وأذربيجان والبحرين

وبنجلادش وروسيا البيضاء وبلجيكا وبنين والبوسنة والبرازيل وبروني وبلغاريا والكاميرون وكندا وكرواتيا وقبرص وجيكوسلوفاكيا والدانمارك ومصر وأستونيا وفلندا وفرنسا وجورجيا وألمانيا وغانا واليونان والمجر (هنغاريا) والهند وأندونيسيا وإيران (٣٢) .

واحتوى الجزء الثاني على وصف الفهارس في كل من العراق وإيرلنده وإيطاليا وساحل العاج واليابان والأردن وكازاخستان وكينيا والكويت وقرغيزستان ولاتفيا ولبنان وليتوانيا ومقدونيا ومدغشقر وملاوي وماليزيا ومالي ومالطة والمغرب وهولندا ونيوزيلند والنيجر ونيجيريا والنرويج وعمان وباكستان وفلسطين وبولندا والبرتغال وقطر ورومانيا والاتحاد الروسي . وفي ملاحظة قصيرة قال الناشرون : إن وصف فهارس ليبيا وموريتانيا والفلبين سيكون في الجزء الثالث (٣٣) .

لقد بين الشيخ أحمد زكي يماني في مقدمة الجزء الأول أهداف المؤسسة فقال : «لقد أنشئت مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لتحقيق هدفين : المساهمة في حفظ التراث الإسلامي الحضاري ومحاولة تيسير الوصول إليه وجعله أكثر يسرًا لكل من العلماء والمهتمين من الجمهور عمومًا . ولأجل تحقيق شمولية هذه الأهداف فقد ارتؤي أن تحقيق ذلك مشترط بتحقيق عدد من الواجبات المعينة التي من بينها الأفضلية التي أعطيت لأمرين : ١) فهرسة ما لم يفهرس من مجموعات المخطوطات الإسلامية و ٢) تصنيف (تكوين) سجلٍ مَرئيٍّ (visual record) شامل قدر المستطاع وذلك باستعمال أكفأ وسائل التقنية المتوفرة» .

ويستمر الشيخ أحمد زكي يماني في مقدمته قائلاً : «... ولا يمكن أن يُشرَع بهذه الواجبات قبل أن تكون هناك أجوبة لأسئلة معينة : أين تقع أفضلياتنا ؟ أي المخطوطات يجب أن يُنسَخ (يُصَوَّر) أولاً ؟ والواضح أن مخطوطة مهمة لا توجد إلا في نسخة فريدة وفي ظروف غير أمينة تكون مرشحًا مثالياً للنسخ (للتصوير) ... ولهذا فإن المؤسسة قد أصبحت مرتبطة بما رأينا أنه الخطوة الأولى في مشروعنا الشامل : القيام بإجراء مسح دولي شامل لمجموعات المخطوطات الإسلامية ؛ هذا المسح الذي نأمل أن يشمل المجموعات الخاصة إضافة إلى العامة ؛ المجموعات غير المعروفة وغير المفهرسة وتلك التي ذكرت في أي مسح سابق في هذا المجال .

وفي تقرير حجم مسحنا ؛ فإن هدفنا كان لتجميع ما يستطاع جمعه من المعلومات لمساعدتنا في رسم قائمة الأفضليات للمراحل المستقبلية للمشروع : الفهرسة والنسخ (التصوير)» .

أما المحرر العام جفري روبر فقد أكَّد في مقدمته على أن عملية المسح هذه إنما هي عمل جماعي «فهي تضم سوية جهود علماء المخطوطات ؛ مسلمين وغير مسلمين من شتى أقطار العالم بتعاون مثمر لرفع مستوى معرفة التراث المكتوب للحضارة الإسلامية التي هي أيضًا جزء حيوي من تراث الإنسانية الفكري ... ونأمل أن عملنا في تنظيم هذه المجهودات على أساس موحد سوف يزيد في فائدة هذه الأجزاء بصفتها مراجع في السنين القادمة إضافة إلى مساعدة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي لتمييز أفضلياتها للحفاظ على وترويج المخطوطات والنصوص التي تحتوي عليها» .

ويردد جفري روبر ما قاله الشيخ يماني في مقدمته فيقول : «إن إعداد أساس ببليوغرافي سليم كان شرطًا ضرورياً مسبقًا لهذا العمل ، فإننا نكون قادرين فقط على تمييز ما هو غير معروف أو مهمل إذا تعيَّن ما هو معروف» ... ثم يستمر المحرر العام في تعداد الأعمال البيليوجرافية السابقة على عمل مؤسسة الفرقان مبينًا ما فيها من نقص وقصور في التناول ، ثم يخلص إلى أن عمل بيرسون J.D. Pearson, Oriental manuscripts in Europe and North America : A survey. هو المحاولة الوحيدة من الأعمال السابقة التي غطَّت المخطوطات لكل لغات العالم الإسلامي إضافة إلى تقديمها معلومات حول المجموعات غير المفهرسة أو المُجَازات غير المنشورة ، ومع هذا فإنها تعاني من نقص واسع ؛ لأنها محدودة في إدراج المجموعات الموجودة في أوربا وشمال أمريكا والجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفيتي سابقًا ومستثنية بذلك تركيا ، فهي بذلك قد استبعدت الكم الهائل من المخطوطات المحفوظة المهمة إضافة إلى استبعادها المجموعات الأخرى الموجودة في آسيا وأفريقيا .

ويرى المحرر العام بعد ذلك أن مسح مؤسسة الفرقان سوف يملأ الفراغات الموجودة في هذه الببليوجرافيات وفي أعمال المسح السابقة ؛ وفي الوقت ذاته يتم تجميعها سوية وتحديث غالبية المعلومات الموجودة

فـيـهـا . ثم يعرِّج على توضيح مصطلح «المخطوطات الإسلامية» فيقول : «إن مصطلح المخطوطات الإسلامية ربما يحتاج إلى بعض التحديد . إن المصطلح في قصدنا يعني المكتوب بالخط العربي في أية لغة استعملت هذا الخط دون اعتبار مادة الموضوع أو محتوى النص ... إلا أن مجاميع دور الوثائق (الأرشيفات) والوثائق والرسائل والسجلات ... وما إلى ذلك ، قد استبعدت عمومًا» .

أقول : الواقع أن استبعاد مجاميع الوثائق من هذا المسح ليس صحيحًا ؛ لأنه يحتوي على مثل هذه المجاميع (١٤/١ : الأرشيف الحكومي في تيرانا ، ١٦٩ ؛ أرشيف دير كيكوس بقبرص ، ١٧١ ؛ وثائق دير كيكوس في ترودوس بقبرص أيضًا ، ٢٠٤ ؛ مصورات وثائق دير طور سينا التي قدمتها بعثة الكونجرس الأمريكي هدية في سنة ١٩٦٠ لمكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ولم يسمح برؤيتها إلا للأصحاب ؛ وثائق مكتبة Fenno-Ugrian في هلنسكي ٢٤٣/١ ؛ ٢٤٤/١ - ٢٤٥ وثائق تركية ؛ وبرلين ٣٢٨/١ وثائق عثمانية ؛ وهيراكليون - اليونان ٣٨١/١ وثائق وسجلات عثمانية ذكرها روبر نفسه مع بدوي ؛ وروما ١٠١/٢ وثائق قاجارية ؛ فنيسيا ١١٣/٢ وثائق عثمانية ؛ المانا ١٥٠/٢ وثائق فارسية وتركية مثلاً) .

وبعد : هل يستطيع القارئ لهاتين المقدمتين أن يفهم منهما أن مؤسسة الفرقان ، حين عهدت إلى هؤلاء العارفين من الخبراء بوصف فهارس المخطوطات الإسلامية المعروفة والإرشاد إلى المجموعات المجهولة من هذه المخطوطات في بلدانهم المختلفة ، إنها ستقوم باختيار ما تراه جديرًا بالاختيار وتقوم بفهرسة هذه المختارات ، ومن ثم القيام بتصويرها بأحدث وسائل التقنية المتوافرة ، سواء على الميكروفلم أو الميكروفيش أو الورق أو على الأسطوانات الليزرية أو بأية وسيلة أخرى لتكوين سجل مرئي ، ليستطيع الباحثون والمهتمون الوصول إليها بيسر وسهولة.

إن الخطوة العملية في هذا المشروع : أن تبدأ مؤسسة الفرقان حيث انتهى الآخرون ، وإلا كان العمل مكررًا ، مكلفًا ؛ فتقوم أولاً : باستبعاد ما هو مصور وموجود في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة الذي يمتلك أكثر من ٢٠ ألف صورة للمخطوطات (المورد ، ع١ مج٥ : ١٩٧٦ ؛ ١١٢) ومثيله في الكويت وفي مركز الملك فيصل بالرياض وفي كل أقسام المخطوطات الموجودة في مكتبات الجامعات العربية والإسلامية والمكتبات الوطنية والمجامع العلمية التي تحتفظ كلها بآلاف المصورات المكررة في غيرها ومن ثم تقوم باختيار ما لم يصور من المخطوطات المهمة في نصوصها أو جلودها أو منمنماتها أو أي جانب تراثي آخر فيها ، وعلى أن يقوم بهذا الاختيار من له دربة وتجربة وعلم واسع في هذه المجالات والفنون ، وإلا كان عملاً إداريًا لا علم فيه يقتنى ولا فائدة ترجى .

أو إنها تقوم بإعادة تصوير ما كان مصورًا من النسخ المصورة الموجودة على أسطوانات ليزرية أو على أي وسيط آخر ، ولعل أسلمها الرقيق (الميكروفلم) ومن ثم تضيف إليها ما لم يكن قد صُوِّر فعلاً من المجموعات التي أشار إليها العارفون في وصفهم بعد الاختيار والفهرسة ، ومع هذا فإن هناك أمرًا يجب أن يتأكد منه القائمون على مؤسسة الفرقان (إذا وقع اختيارهم على الأسطوانات الليزرية) وهو أن التجارب التي أجريت على الأسطوانات الليزرية تؤكد على أن هذه الأسطوانات لا تتحمل المعلومات التي تحملها أطول مدة من عشر سنوات على الأغلب وتختفي بعد ذلك ، وعندها يجب إعادة نسخ المعلومات على أسطوانات جديدة مرة أخرى ، ومثل هذا العمل يكلِّف أموالاً طائلة إضافية . فإن الآمال ينبغي أن لا تكون فوق طاقة القدرة والاقتدار .

الحق ! لقد أشفقتُ على الشيخ الفاضل إشفاقًا جمًا وأعجبت بأهدافه الرائعة أيما إعجاب ، لأن ما يريد الشيخ اليماني ومؤسسة الفرقان تحقيقه قد عجزت عن تحقيقه قبله جامعة الدول العربية بكل إمكاناتها المبعثرة وكل منظماتها التربوية وغير التربوية ؛ بل وعجزت عنه كل الجامعات العربية والإسلامية ومراكز بحوثها ومجامعها العلمية في الدول العربية وغيرها ، ولم يزل مثل هذا المشروع الذي لا يقوم به إلا هواة المخطوطات هو حلم البُحّاث من العلماء والمحققين الذين يعانون الصعاب الجمة في الوصول إلى مخطوطة تهمهم في بحثهم أو تحقيقهم . فكم من اجتماعات عُقدتْ ومؤتمرات نُظِّمتْ ؛ وكم من توصيات رفعت وكم من شكاوى سمعت سرًا وعلنًا ؛ بل وكم من سفارة تدخلت في تصوير مخطوطة لطالب علم أو باحث أو لجامعة عربية أو إسلامية أعيتها الحيل في الحصول على مصورة لمخطوطة محفوظة هنا أو هناك في

كثير من هذه الأقطار التي يظهرها الواصفون في هذا المسح بشكل مغاير تماماً لما يعرفه المشتغلون بالمخطوطات؟ ثم كيف تستطيع مؤسسة الفرقان تذليل الصعوبات الهائلة والعراقيل الكأداء التي يضعها خزّان المكتبات أمام طلبات التصوير ؟ فإن تجاربي المريرة خلال الثلاثين سنة الماضية في التحقيق والفهرسة وتدريس علم الاكتناه (الباليوغرافي) في أوربا أو بلدان الشرق الأوسط ، مع هؤلاء يشيب لها الولدان ، سواء كان هؤلاء الخزان في هولندا أو تركيا أو مصر أو في بلاد الواق واق . فإن هؤلاء يتصرفون وكأنّ هذه المخطوطات ملك آبائهم وأجدادهم فيجودون بها على من شاؤا ويمنعونها عن من شاؤا ، ويختلقون الأعذار وهم خبراء فيها على منع الوصول إليها . وقبل عشرين سنة بالتمام والكمال شكا مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فقال : «وهناك جهات ترفض أصلاً التصوير ، ولا تسمح بالاطلاع إلا في حدود ضيقة جداً كالأكاديمية الملكية للتاريخ في مدريد التي أعيتنا الحيل معها» (مجلة المعهد مج١٩ ، ج١/٢٠٧) . ولو بدأتُ في سرد تجاربي المثبطة لكل عزم هنا لكان لي معهم شأن ولخرجت عن الطريق اللاحب في التعريف بهذا الكتاب .

وقبل أكثر من عشر سنين كتب يوسف عزالدين – الأستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة – في تقديم كتابي : «مقدمة في الوثائق الإسلامية» فقال : «ولابد من إيجاد مؤسسات مستقلة تعنى بالتراث وتنتهج الأسلوب العلمي ، ويوظف لها أصحاب الدربة والكفاية الفكرية والخبرة في التحقيق وفهم التراث ومعرفة قيمته العلمية وعدد النسخ الموجودة ومكانها وتصوير نسخها ووصفها وذكر محتوياتها لتسهّل عمل الباحث وتيسّر له جهداً كبيراً ... وبدأت بعض المجامع والجامعات في الوطن العربي تأخذ بجانب من هذه الوسائل العملية . فما تزال المؤسسات تشحّ بالتصوير وتضع العراقيل أمام الباحثين في الحصول على المصورات أو حتى رؤية المخطوطات إذا ما تجشم الباحث الهاوي عناء السفر ومشقة الترحال» .

ولا أرى بأسًا بعد هذا أن أسجل للتاريخ نتفًا مختصرة من بعض هذه الصعوبات التي عانيتها لعل فيها عبرة لمعتبر وعظة لمن يتعظ . فقد حاولت المكتبة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض منذ سنة ١٩٨١ الحصول على بعض مصورات المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة ليدن عبر القنوات الدبلوماسية أولاً ومن ثم عبر مجلس جامعة ليدن ورئيسها آنذاك ثانياً ، وبالرغم من توقيع عقد رسمي مع مدير المكتبة في سنة ١٩٨٦م فإن جامعة الإمام لم تتسلم حتى يومنا هذا إلا أقل من النصف من القائمة التي تم الاتفاق عليها بموجب العقد المبرم رسمياً .

وفي سنة ١٩٧٩م اشترت مكتبة جامعة ليدن الجزء الأول من مخطوطة «كتاب المُقَفّى» للمقريزي بخطه من دار مزاد علني بلندن واستطعت أن أرى المخطوطة مرة واحدة فقط وبعدها لم يسمح المسئول عن قسم المخطوطات لأحد برؤيتها حتى يومنا هذا ، بحجة حاجتها إلى الترميم ، ولم تنفع الاحتجاجات والاعتراضات مع أن هذا المسئول نفسه نشر أكثر من تعريف بها إضافة إلى محاضرة عامة عن خطوط المقريزي بالرباط سنة ١٩٩٢ مع صور منها ، ومع هذا فإن المخطوطة لم تزل محجور عليها لغيره ومتاحة له . وقد يشك أحدنا في أنها مسروقة من إحدى المكتبات المشرقية ولا يود أن أحداً يطلع عليها خوف اكتشاف السرقة فيضطر بموجب الاتفاقات الدولية أن يعيدها إلى مصدرها الأول كما حدث أكثر من مرة ، وإلا ما هو السبب في منعها واحتكارها لنفسه ، وقد اشترتها المكتبة لتكون في متناول القراء ؟

أما في مصر فالأمر لا يقل سوءاً وتعقيداً ، فقد حاولت منذ أكثر من سنتين أيضًا الحصول على صورة من مخطوطة «كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين» لأحمد ابن قاسم الحجري الإشبيلي الأندلسي المحفوظة في دار الكتب المصرية بخطه فلم أفلح ، ولم تفلح أيضًا مساعي الأخوة الزملاء محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ويحيى ساعاتي وعطا كفافي – رحمه الله – ومحمد الربيع وأيمن فؤاد سيد ، بحجة أن المخطوطة قد نقلت إلى قلعة محمد علي منذ حرب رمضان ولم تعد إلى دار الكتب بعد . ولولا المستشرقة الإيطالية سرنللي Sarnelli Cerqua, cl. التي نشرت بعض المقالات عن الكتاب والمؤلف لما حصلنا على صورة من الصورة التي تحتفظ بها والتي صورت في سنة ١٩٦٥ عن ميكروفلم سيئ التصوير مخربش الأسارير.

ويصح مثل هذا على تركيا وروسيا قبل انحلالها وبعده وإسبانيا وعلى الكثير من الأقطار الأخرى التي تحتفظ بمجموعات من المخطوطات الإسلامية ، والحديث

طويل ذو شجون يعرفه كل من عانى العمل في أي حقل يتصل بالمخطوطات الإسلامية بعامة والعربية بخاصة ؛ تحقيقًا أو دراسة .

العمل في المخطوطات ليس عملاً إدارياً آلياً فحسب بل هو هواية نابعة من حب دافق وتعلق بها عميق ودربة وتجربة طويلة المدى قبل أن يكون مهنة تَدُرُّ على ممتهنها (بمعنى : المهنة والامتهان) لبنًا وعسلاً ومن هنا كانت غالبية «العارفين» الذين وصفوا كل هذه الفهارس مهنيين وليسوا مخطوطيين فإذا خرجوا عن العمل الورقي المهني وقعوا في أخطاء فاحشة يبين فيها عوارهم فهذا أحدهم يقول : إن نسخة «كتاب كليلة ودمنة نسخت في زمن أبي جعفر المنصور» (٢/٣٢٠) فلعله أراد «عُرِّبت» في زمن أبي جعفر المنصور الذي حكم ما بين سنة ١٣٦ – ١٥٨هـ وهو الذي أمر بقتل ابن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة سنة ١٤٢هـ ؛ ولو كان الأمر كما ذكر لوصل إلينا واحد من أقدم النصوص خلا نصوص القرآن الكريم وهذا شيء رائع مبهج للقلب وهذا خبر إن كان له أثر .

الحق إنني لم أستعرض المجاميع الخطية المحفوظة في بعض الدول مثل أفغانستان وألبانيا وأرمينيا وأذربيجان وبنين والكاميرون والبرازيل وغيرها ؛ لأن المعلومات الواردة عنها لم تكتمل بعد . أما الدول الأخرى مثل بلجيكا وبلغاريا وكندا والدانمارك وألمانيا وغيرها فإن مجاميعها معروفة من الفهارس المنشورة ؛ ومن ثم فإن التجربة في تصحيح الخطأ في فهارسها مرت بقرون قبل أن تستقر . ولو استعرضنا فهارسها الأولى لأخذ العجب بنا كل مأخذ مما فيها من الأخطاء الفاضحة . وبالرغم من أن التجربة المشرقية في الفهرسة المنظمة لم تمر بقرون فإنها في طريقها إلى الاكتمال مع أنها لم تبدأ إلا منذ عشرات السنين فقط .

المخطوطات في مصر

قام بوصف المجموعات المصرية هيئة من دار الكتب المصرية بإشراف سمير سرحان ، وكان المتوقع من الهيئة الكريمة أن تكون أكثر حرصًا ودقة على توثيق المعلومات التي وردت في الفهارس التي صنعها مفهرسون لم يكونوا بذوي دربة وتمرس وإليك البرهان :

أن أحدهم يقول إن «إعراب وشرح مغني اللبيب لمحمد الأمير الأزهري ، تاريخ النسخ سنة ٧٦١هـ (١/٢٠٤) ؛ والواقع أن محمد بن محمد بن أحمد النباوي المالكي الشهير بالأمير قد توفي سنة ١٢٣٢هـ فمن غير المعقول أن يكون كتابه قد نسخ في سنة ٧٦١هـ التي هي سنة وفاة ابن هشام مؤلف «كتاب مغني اللبيب» فأنى يكون ذلك ؟

وفي الصفحة نفسها يعدد العارف المخطوطات المهمة في المكتبة فيقول : «الخلافيات لأبي حفص عمر نجم الدين، تاريخ النسخ ٤٠٥هـ» . فإن المعروف أن نجم الدين أبا حفص عمر بن محمد النسفي ولد سنة ٤٦٠ للهجرة وتوفي سنة ٥٣٧هـ فكيف ينسخ كتابه «المنظومة النسفية في الخلافيات» قبل ولادته بخمس وخمسين سنة ؟ (بروكلمان ١/٢٢٨ وقد أشار إلى هذه النسخة وذكر رقمها: فقه حنفي ٦٧) . ولكن هؤلاء العارفين حين عددوا المخطوطات المهمة في المكتبة الأزهرية لم يذكروا النسخة الرائعة غير الكاملة من «تاريخ دمشق» لابن عساكر بخط ابنه القاسم ، والذي يوجد منه قطعة في مكتبة جامعة ليدن كان أحد المستشرقين قد اشتراها في القاهرة من عبدالحميد الشيمي – رحمه الله – وباعها للمكتبة .

في وصف محتويات جامعة القاهرة ، ذكر الخبير أن من جملة المخطوطات النادرة فيها : «كتاب المرشدة في علم الحساب لابن الهيثم ، تاريخ النسخ ٧٨٣هـ» (١/٢٩٠) . والصواب أن عنوان الكتاب هو : المرشدة في صناعة الغبار ، ويسمى أيضًا : مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب وهو ليس لابن الهيثم الحسن بن الحسن البصري المتوفى سنة ٤٣٠هـ وإنما لابن الهائم أحمد بن محمد الفرضي المعري المقدسي المتوفى سنة ٨١٥هـ ومنه نسخ كثيرة (بروكلمان ٢/١٢٥ ؛ وملحقه ٢/١٥٤) . أما كتاب المرشد في الحساب فهو لعبدالوهاب بن عبدالله الشنشوري ومنه مختصر للمؤلف في برلين برقم : ٥٩٩٦ .

وفي الصفحة نفسها ينسب الخبير أو الخبراء «كتاب سياسة البدن وفضيلة (وفضائل) الشراب» للكازروني لعلهم يقصدون : سديد الدين أو السديد – كما يسمى – الكازروني الذي شرح كتاب المغني لابن سينا في سنة (٧٤٥) . والصواب أن الكتاب لابن سينا (بروكلمان ملحق ١/٨٢٨) ، فلعله بخط الكازروني فاختلط الأمر ومثل هذا كثير على غير الخبير .

والغريب أن خبراء دار الكتب المصرية قد ذكروا في تقريرهم المنشور في مجلة المورد (مج٥ ع١ لسنة ١٩٧٦،

صفحة ٨٠) أن «مكتبة مسجد الشيخ إبراهيم بالإسكندرية تحتوي على ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف كتاب ؛ مطبوع ومخطوط أكثرها مخطوط بنسبة ٧٠٪) إلا أنهم لم يذكروا هذه المعلومات المهمة في مسح مؤسسة الفرقان (٢٠٧/١) وإنما أشاروا إلى ملاحظة فؤاد سزكين العائمة المضطربة «إن بعض مخطوطات مسجد الشيخ إبراهيم قد صورها معهد المخطوطات» .

"Einige Hss, der Moschee ash-shaikh Ibrâhîm Bâshâ wurden vom Ma'had al-Makhtûtât gefilmt", GAS, vi : 323.

ومثل هذه الملاحظة وردة أكثر إتقانًا وضبطًا في تقرير معهد المخطوطات العربية المنشور في مجلة المورد أيضًا (مجه ع١ ، ١٠٩) ، إذ جاء فيه : «وفي عام ١٩٤٨ أرسل المعهد بعثة إلى الإسكندرية انتقت وصورت مخطوطات من مكتبة بلدية الإسكندرية ومكتبة جامع الشيخ» . فلماذا اللجوء إلى كتاب سزكين هنا وهو الذي أخذ معلوماته من منشورات المعهد ؟

ونسب هؤلاء الخبراء «كتاب تاج المصادر في اللغة» نسخة المكتبة الأزهرية ، للمقري (٢٠٩/١) . والصواب أن الكتاب لأحمد بن علي بن محمد البيهقي المعروف ببوجعفرك المتوفى سنة ٥٤٤هـ وقد ذكره السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٦م ١ : ٣٤٦) وذكر تاج المصادر ضمن مؤلفاته وكذلك فعل ياقوت في معجم الأدباء ٤٩/٤ – ٥١ . وقيل فيه : «قرأ الصحاح على الميداني وحفظه عن ظهر قلب» . وانظر : (بروكلمان ٢٩٣/١ وملحقه ٥١٣/١) . وقد جاء ذكر نسخة منه في مكتبة بيت الحكمة في النجف (٤٠/٢) .

وفي وصف نفائس مكتبة دمنهور العامة قال الخبراء إن «كتاب المصباح في النحو لأبي الفتح ناصر الدين بن عبدالشهيد بن علي المصري» . والصواب أن الكتاب لأبي الفتح ناصر بن عبدالسيد المطرزي المتوفى سنة ٦١٠هـ فأين هذا من ذاك . (انظر بغية الوعاة للسيوطي ٣١١/٢ وبروكلمان ٢٩٣/١ وملحقه ٥١٤/١) .

وذكر الخبراء بعض المخطوطات المهمة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج (٢٢٨/١) وقالوا : إن كتاب نوادر النظائر لابن الملقن وهو منسوخ سنة ٦٣٠هـ .

والمعروف أن ابن الملقن له بالفعل كتاب الأشباه والنظائر فإذا كان المؤلف أبا حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الوادي آشي الأندلسي التكروري الشافعي ؛ فإنه ولد في سنة ٧٢٣هـ وتوفي في سنة ٨٠٤هـ ولهذا لا يمكن أن يكون تاريخ النسخ صحيحًا قط . (السيوطي : حسن المحاضرة ٤٣٨/١ وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥٤٢).

وفي الصفحة ذاتها قال الخبراء في كتاب شرح فصيح ثعلب إنه «لابن منصور علي الجبَّان ، مؤرخ سنة ٣٩٨هـ» . والصواب أنه لأبي منصور محمد بن علي بن عمر الجبَّان المتوفى بعد سنة ٤١٦هـ . ذكره ياقوت ونقل عنه السيوطي قوله : «أحد حسنات الري وعلمائها الأعيان» وذكر شرحه هذا (بغية الوعاة ١٨٥/١) .

ومن مخطوطات مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا المهمة (٢٣١/١) ذكر الخبراء كتاب الوفا بشرح الاصطفا من أسماء المصطفى لعبدالباسط بن محمد بن رسلان بخطه ، والنسخة مؤرخة في سنة ٧٠٢هـ . فإذا كانت المعلومات عن هذا المؤلف عند السخاوي مضبوطة الأركان؛ فإن تاريخ النسخ خطأ محض لأن السخاوي في كتاب الضوء اللامع يقول إن عبدالباسط بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن رسلان بن نصر بن صالح بن عبدالخالق البلقيني الشافعي ولد سنة ٨٧٠هـ وكتب شرحه هذا في سنة ٨٩٩هـ شارحًا قصيدته الاصطفا من أسماء المصطفى (٢٨/٤ – ٢٩) ؛ ويضيف بروكلمان أن من الشرح نسخة بخطه في المكتب الهندي بلندن برقم : ٤٦٣٠، فأين هذا من ذاك ؟ (بروكلمان ملحق ١٢٨٥/٣) .

وذكر خبراء دار الكتب المصرية بعض المخطوطات المهمة في دار الكتب بالزقازيق فقالوا : «مختارات الفتوى لمؤلف غير معروف بخط الأمير بن جاقر القوشحصاري» (٢٣٣/١) . والكتاب ليس مجهولاً ، فهو لأبي الفضل محي الدين عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي البلدجي أو البلداجي المتوفى سنة ٦٨٣هـ ، ومنه نسخ كثيرة (بروكلمان ٣٨٢/١ وملحقه ٦٥٧/١) .

ومثل ذلك في كتاب شرح مجمع البحرين (الأصل لابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٦هـ) حين نسبوه لابن مالك، وهو لعبداللطيف بن عبدالعزيز بن ملك شاه المعروف بفرشته (بروكلمان ملحق ٦٥٨/١) .

ومما أغفل الخبراء في دار الكتب المصرية ذكره مقالة

عبدالسلام محمد النجار حول مخطوطات مكتبة روضة خيري باشا التي كانت تحتوي على أكثر من ستة عشر ألف مجلد ما بين مخطوط ومطبوع والمنشورة في مجلة معهد المخطوطات (مج٧ ج١ - ٢ ، ١٩٦٠ ، ٥٩ - ٧٧ ؛ وفي مج٧ ج٢ ، ٧ - ١٤ ، مج٩ ع٢، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣، ٢٣١ - ٢٤٢) وقد آل معظم مخطوطاتها إلى مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . وهي مسجلة في سجل المكتبة ، وتحمل الأرقام ٨٣٤ - ١٦٩٤ . وقد فهرست عدداً كبيراً منها في الجزء الأول من كتابي الفهرس الوصفي لمخطوطات السيرة النبوية والتاريخ والتراجم والأثبات الذي تقوم الآن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بنشره ، وفي الجزء الثاني الذي أعده الآن .

وأغفلوا أيضاً فهرس كتب مكتبة إلهامي باشا الذي احتوى على ١٧٠٧ من الكتب المطبوعة والمخطوطة وهو منشور في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ/١٨٦١م . (انظر : إشكالية الفقد القسري للمعلومات عن الكتاب العربي ، ليحيى ساعاتي ١٧ - ١٩ ، ٦٦) .

أما المجموعات غير المفهرسة والموجودة في حوزة كثير من الأديرة التي زرتها وعند الأفراد في القاهرة وغيرها ورأيتها شخصياً فلم تحظ منهم بذكر ؛ لأنهم موظفون تحت إشراف موظف، والويل للمخطوطات من أمثال هؤلاء الإداريين.

المخطوطات في الهند

وآخر يصف مخطوطة كتاب الحكمة في الطب ، وهو كتاب الرحمة في الطب والحكمة [لمحمد بن علي بن إبراهيم الصنبري اليمني المتوفى سنة ٨١٥هـ وليس للجلال السيوطي] بأن عمرها «حوالي ١٠٠ - ٢٠٠ سنة» (٦٠/١) "about 100 - 200 years old" (٦٥/١) وقد كرر العارف نفسه مثل هذا الحكم في وصف مجموعة بقوله "they are one or two centuries old" ، فإن مثل هذا لا يقول به عارف بالمخطوطات ، أو قوله : «ممتاز الأحكام لابن تيمية» (٦٤/١) ، والصواب هو كتاب المنتقى في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية لمجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢هـ وليس ممتاز الأحكام

وآخر من هؤلاء العارفين يصف فهارس إحدى المكتبات فيقول إن المعلومات تحتوي على سنة التأليف "year of composition" ويكرر مثل هذا "date of composition" أو "year of compilation" (٣٢/١ ، ٣٣ ، ٣٥) والسؤال : كم من المخطوطات الإسلامية يحتوي على سنة التأليف ؟ إن العارفين بالمخطوطات يعرفون أن ذلك نادر جداً في المخطوطات . فلعله يقصد : «تاريخ النسخ» ! ! .

وآخر يقول إن كتاب مختلف الرواية (بكسر التاء من مختلف وليس بفتحها) هو «لمحمد الصنهاجي ، سنة ٦٥٤هـ ، ويعتقد أن النسخة بخطه» (١٠٥/١) والظاهر أن الناسخ هو محمد الصنهاجي وأن تاريخ النسخ هو ٦٥٤هـ؛ لأن الكتاب معروف لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ أو ٣٧٥ أو ٣٩٣هـ حسب الروايات المختلفة (بروكلمان ١٩٦/١ : ملحق ٣٤٧/١ وسزكين ٤٤٧/١) .

وفي الصفحة نفسها يقول الكاتب إن «فتاوى الخاصي للخوارزمي» . والصحيح أنها الفتاوى الخاصيّة لحسام الدين عمر بن عبدالعزيز بن مازه المعروف بالصدر الشهيد البخاري المتوفى سنة ٥٣٦هـ (بروكلمان ٣٧٤/١ وملحقه ٦٤٠/١) .

وخبير آخر (٤٠١/١) ينسب كتاب فيصل التفرقة وكتاب القسطاس المستقيم وكتاب مشكاة الأنوار جميعاً للإمام الشاذلي ، ويذكر تاريخ نسخها ونسخ غيرها بالتاريخ الميلادي (1123 C.E.) ، [أي : ٥١٧هـ] وهذا غير معهود عند الخبراء ، وكلها مطبوعة منشورة مراراً ومعروفة مشهورة في الخافقين لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ . فإذا أراد بـ «الإمام الشاذلي» أبا الحسن علي بن عبدالله صاحب الطريقة الصوفية المشهور فإنه ولد سنة ٥٩١هـ وتوفي سنة ٦٥٦هـ ، وهذا لا يمكن أن يصح تاريخياً قط .

وهو نفسه يقول : إن كتاب خلاصة البدر المنير في الفقه الشافعي لعلي الأندلسي (d. 1401 C. E.) [أي: توفي سنة ٨٠٤هـ] والمعروف أن علي الأندلسي هو المعروف عند أصحاب التراجم بابن الملقن ولا يعرف بعلي الأندلسي إلا في سرد أصله ونسبه كما رأينا في أعلاه ، (بروكلمان ملحق ٧٥٣/١ ، ٩٧٣) .

وهو نفسه يقول أيضاً : إن «كتاب تحفة الغريب» [في الكلام على مغني اللبيب] لمحمد الدماميني المتوفى

سنة ٨٢٧هـ "في الأدب on literature" . والصواب أن الكتاب أحد شروح كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، وهو في النحو .

وهو أيضًا يقول (١/٤٢٦) : "إن كتاب عقائد الخواص لابن عربي فريد ، لم يذكره بروكلمان" ، وهذا صحيح لأن كثيرًا من كتب ابن عربي تحمل أكثر من عنوان ويسمى المعرفة في المسائل الاعتقادية ، انظر :

Osman Yahia, Histoire et Classification de l'oeuvre d'Ibn 'Arabi, Damas 1964, 2 : 372 .

ويقول أيضًا (١/٤٣٥) : "إن كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، لعله نسخة فريدة ، لنجم الدين أبي القاسم محمد ..." وهو كما قال إلا أن نسخة الجمعية الآسيوية في كلكتا ليست فريدة فمنها نسخة في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية وأخرى في مكتبة الحرم المكي الشريف ، وقد نشرها مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بتحقيق فهيم محمد شلتوت في سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ ، وكانت نسخة الجمعية الآسيوية إحدى النسخ التي اعتمد عليها دون أن يعرف مصدرها ، والكتاب لنجم الدين عمر بن فهد ويسمى أيضًا محمد بن فهد المكي الهاشمي .

أما كتاب عنوان الشرف الذي وصف الواصف محتوياته وصفًا جيدًا دون أن يعرف مؤلفه (١/٤٣٥) فهو كتاب عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي لإسماعيل بن أبي بكر بن المقرئ الشاوري اليمني المتوفى سنة ٨٣٧هـ (بروكلمان ٢/١٩٠ وملحقه ٢/٢٥٤) ومنه عشر نسخ مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط فقط ، وهو بعد مطبوع مشهور .

وبالرغم من هذه الهنات البسيطة فإن واصف فهارس الهند كان بارعًا في إيراد بعض اللمحات التاريخية المفيدة الممتعة للمعني بتاريخ المكتبات الإسلامية في الهند وأسماء الأعلام الذين أسهموا في حفظ المخطوطات ، وهو بعد كل ذلك لم ينس أثناء بحثه الماتع أن يذكر عرضًا علاقات الملوك والسلاطين ونسائهم بالتراث الإسلامي المخطوط ، وحرص هؤلاء على وضع خطوطهم على بعض المخطوطات مما يدل على رفعة ثقافة المجتمع الهندي الإسلامي إذ ذاك . ثم إنه عرفنا على الآلاف المؤلفة من المخطوطات المفهرسة وغير المفهرسة في الهند عمومًا في مكتبات لم نعرفها من قبل .

المخطوطات في إيران

ولا تقل براعة واصف فهارس إيران هادي شريفي عن سابقه في إيراد الإشارات الممتعة إذ عرفنا منه أن المكتبة الرضوية في مشهد تحتوي على أحد عشر ألف نسخة من المصحف الشريف . وهذا كمٌ هائل له دلالته الثقافية والدينية معًا ، وكنا نود أنه أعلمنا باختصار عن وسائل جمعها وأسباب وجود هذا العدد الكبير من المصاحف في مكان واحد . ومع هذا فإنه نسب كتاب نهج البلاغة المشهور في العالمين لعزالدين الآملي (١/٤٧٠) دون أن يزيل الإيهام في هذه النسبة ؛ لأن هذا الكتاب إنما هو ترجمة بالفارسية لكتاب نهج البلاغة المنسوب للإمام علي ابن أبي طالب مما جمعه الشريف المرتضى الموسوي سنة ٤٠٠هـ من خطب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فهو إذًا من تأليف الآملي .

وهو أيضًا لم يزل الإبهام والإيهام في إيراد نفائس المكتبة الرضوية حين قال : «وترجمة مختصر كتاب العين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله خطيب إسكافي ... كُتب سنة ٣٨٠هـ» ، فماذا نفهم من هذه الإشارة المقتضبة الموهمة لكل إشكال ؟ هل إن كتاب مختصر العين هو لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالخطيب الإسكافي أو إنه لمُخْتَصرٍ آخر لا يعرفه الخبير بينما قام الإسكافي بترجمته ؟ ولكن إلى أية لغة ؟ فقد ذكر سزكين كتاب غلط كتاب العين للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ وقال: «ولم يصل إلينا» (٨/٥٥) ، إلا أنه ذكر في الحاشية : «ويقال إن مختصر كتاب العين للإسكافي محفوظ في مشهد (رقم قديم ٣٨١، كتب سنة ٣٨٣هـ ، انظر : مجلة معهد المخطوطات ٦/١٩٦٠/٣٢٩). إلا أن النسخة فيما يظهر هي مخطوطة "مختصر" للزبيدي، مشهد ، رضا ٧٣٤٦ (نقلت من مخطوطة كتبت سنة ٣٨٤هـ)» ، وأشار إلى فهرس المكتبة ٩٩٥ . فمن أين جاء الخبير بكلمة A translation of Mukhtasar ...etc.

ومع هذا فإن الواصف قد أجاد كل الجودة في وصف فهارس إيران وأحسن في ذكر دقائق التفصيلات فيها ، إذ استوعب في وصفه المجموعات العامة والخاصة المفهرسة وغير المفهرسة استيعابًا يثير الإعجاب ويوقظ

الفضول عند المهتمين بالتراث الإسلامي ، فقد ظهر من وصفه الشامل أن كثيراً جداً من الإيرانيين ، العلماء والأطباء والتجار وغيرهم ، كانوا ولا يزالون يولون المكتبات الخاصة اهتماماً كبيراً ومن هنا فإننا نجد في هذا الوصف المضني أعداداً كبيرة من المكتبات الخاصة إضافة إلى المكتبات الخاصة الموقوفة تحتفظ بأعداد كبيرة من المخطوطات المحبوسة والمُسَبَّلة للدارسين ؛ بل إن جل المجموعات الموجودة في مكتبات إيران الخاصة والعامة قد فهرس أو في طريقه إلى الفهرسة إلا القليل وهذا ما لا نجده في كثير من الأقطار الأخرى .

المخطوطات في العراق

وخبير آخر (١٠/٢) يقول إن : «كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان هو للكاتب البغدادي المتوفى سنة ٤٩٣هـ» . والكتاب لأبي علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب الذي أسلم فكتب رسالة في الرد على النصارى ، ولا يعرف باسم الكاتب البغدادي (انظر : M. Steinschneider, Polemische ... etc,. p57 ووفيات الأعيان ٢٥٧/٧) .

والخبير أسامة ناصر النقشبندي (١١/٢) يرى أن «نسخة كتاب كنز الملوك في كيفية السلوك لسبط ابن الجوزي (ت ٥٩٤هـ) المحفوظة في جامعة بغداد ، نسخة فريدة من القرن التاسع للهجرة» . وأقول : إن هذا الخبير أخطأ هنا مرتين : **الأولى** : في سنة وفاة سبط ابن الجوزي والثانية : في قوله «نسخة فريدة "unique copy"» فقد ذكر سنة وفاة السبط في سنة ٥٩٤ والصواب سنة ٦٥٤هـ أولاً ، ومن ثم فإن النسخة البغدادية ليست فريدة ثانياً ، لأن منها نسخة في باريس وأخرى في أيا صوفيا .

والخبير نفسه يقول في الصفحة نفسها : إن نسخة «كتاب الملاحة في علم الفلاحة لعبدالغني النابلسي» المحفوظة في مكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد «نسخة فريدة بخط المؤلف» . وأقول : قد تكون النسخة بخط المؤلف وهذا فيه نظر ، وأما أن تكون النسخة فريدة فلا ، وذلك أن هذا الكتاب إنما هو تلخيص كتاب جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة لرضي الدين محمد الغزي العامري المتوفى سنة ٩٣٥هـ وتوجد منه نسخة في مجموعة حسن حسني عبدالوهاب بتونس ، وأخرى في المتحف البريطاني منسوبة لشهاب الدين أحمد الحموي (بروكلمان ملحق ٣٩٣/٢) . أما تلخيص النابلسي فمنه نسخة في توبنكن وأخرى في برلين وثالثة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم : ٣٨٤٦ ناهيك عن فهارس الظاهرية ودار الكتب المصرية وغيرها . ومع هذا فإن الكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٢٩٩هـ /١٨٨٢م وفي القاهرة سنة ١٩٧٩ ، فهي لذلك ليست فريدة .

وفي ذكر المخطوطات النفيسة في المكتبة العباسية يقول الخبير إن : «كتاب الهواتف في سلوك العوارف لابن أبي الدنيا ، نسخة فريدة ونفيسة ، كتبت في سنة ٨٨٥هـ» (٢٧/٢) . وأقول : قد تكون النسخة نفيسة ، أما أنها فريدة فلا ، فقد ذكر بروكلمان نسخة أخرى منها في القاهرة (ملحق ٢٤٧/١) ، وهذا شأن الذي يعتمد كلياً على ذكاء المفهرسين أو غفلتهم . فقد نقل الواصف الفاضل ما ذكره المفهرس في نسخة كتاب الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب للقاضي الخيضري المتوفى سنة ٨٩٤هـ ، إن النسخة «فريدة بخط المؤلف» . والسؤال : كم من المفهرسين يستطيع تمييز خطوط العلماء ؟ فقد يكون الناسخ قد نقل ما كتب المؤلف في نهاية كتابه حرفياً ودون أن يذكر اسمه أو سنة النسخ فيظن المفهرس غير المتمرس أن هذه النسخة بخط المؤلف ، ومثل هذا كثير جداً في المخطوطات ؛ ثم إن نسخة المكتبة العباسية في البصرة ليست فريدة فإن لها أختاً في المدينة المنورة (بروكلمان ملحق ١١٦/٢) .

ويذكر الخبير أيضاً كتاب العالي الرتبة في أحكام الحسبة لأحمد بن موسى بن نصر الدمشقي الخوي الشافعي ، «من القرن ١٤ ، نسخة بخط المؤلف» ، وهو يريد : القرن الثامن للهجرة . وهذا عنوان غريب لمؤلف أغرب ؛ لأننا نعرف من كتب الحسبة :

١ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبدالرحمن بن نصر الشيزري ، بتحقيق الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦ .

٢ - معالم القربة في أحكام الحسبة لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، مطبوع في لندن ١٩٣٨ بعنوان معالم القربة في أحكام الحسبة بتحقيق ليفي وفي القاهرة سنة ١٩٧٦ . ومنه مصورة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية من نسخة إستانبولية تحمل عنوان : الرتبة في طلب

الحسبة منسوبة للماوردي .

٣ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة لمحمد (أو : عبدالله) بن أحمد بن بسام ، وهو مطبوع بتحقيق حسام الدين السامرائي في بغداد سنة ١٩٦٨ .

٤ - نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عمر السنامي ، وهو أيضًا منشور بتحقيق موئل يوسف عزالدين في الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥ - المخبأ والرغبة في أحكام الحسبة ، منه نسخة مخطوطة في جامع الزيتونة بتونس (بروكلمان ١٢٥٤/٣) .

٦ - آداب الحسبة لأبي عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي ، من مطبوعات معهد العلوم المغربية في باريس ١٩٣١ .

٧ - الحسبة في خطة الحسبة لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط برقم ج ١٣٥ .

والسؤال : هل إن مخطوطة المكتبة العباسية هي إحدى هذه المؤلفات أم إنها تصنيف جديد لا نعرف عنه شيئاً ؟ والظاهر أنها نسخة من كتاب ابن الأخوة السابق .

وفي وصف فهارس جامعة البصرة (٣٨/٢) ، نسب الخبير كتاب اختلاق الأحاديث للإمام الشافعي، والصواب: إنه كتاب اختلاف الأحاديث . والفرق هائل بين العنوانين . والظاهر أنه خطأ طباعي لأن الكتاب مطبوع ومعروف . ولا يسلم كتاب في الخافقين من أخطاء طباعية قط .

وفي تعداد نفائس المخطوطات في المكتبة المركزية العامة بالموصل (٣٧/٢) ذكر الواصف الفاضل مخطوطة كتاب واقعة المفتين لعبدالقادر بن يوسف الحلبي الحنفي الشهير بنقيب زاده (وليس بقدوري أفندي) وقال : «المتوفى سنة ١٠٨٣هـ ، نسخة حسنة بخط المؤلف» . وأقول : المعروف إن وفاة المؤلف كانت في سنة ١١٠٧هـ (كحالة ٣٠٨/٥ ؛ بروكلمان ٣٨٧/٢ وملحقه ٥٢٥/٢) ؛ والمعروف أيضًا من بعض مخطوطات واقعة المفتين (وتسمى أيضًا : فتاوى عبدالقادر كما يظهر في نسخة ليدن Or. 6290 المؤرخة في سنة ١١٠٦ - ١١٠٧هـ) أن نقيب زاده فرغ من تأليفه في سنة ١٠٩٦هـ : أي قبل وفاته بـ ١١ سنة . فإذا افترضنا جدلاً أنه توفي سنة ١٠٨٣هـ وأنه ألف الكتاب سنة ١٠٩٦هـ فيكون عمره حين كتب النسخة ١٣ سنة إلا إذا كان المؤلف من بواقع الدهر ، فهل النسخة بعد ذلك بخط المؤلف ؟ وهذا أيضًا من فلتات المفهرسين التي تبناها الواصف دون تحقيق . والكتاب بعد كل هذا مطبوع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠١هـ .

وقال الخبير أيضًا (٤٦/٢) إن نسخة كتاب المسائل الشيرازيات لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار النحوي المتوفى سنة ٣٤١هـ «بخط المؤلف ومؤرخة في سنة ٣٩١هـ» ، فأنى يكون ذلك ؟ ! فهل كتبها بعد موته بخمسين سنة ؟ أم أن المفهرس قد أخطأ فنقل الواصف هذا الخطأ دون تمحيص ؟ أم أنه سهو أو خطأ طباعي وهو آفة لا يسلم منها كتاب قط ، فإذا كان هذا الكتاب لأبي علي الفارسي واسمه أيضًا الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن محمد الفسوي ، فإنه ولد سنة ٢٨٨هـ وتوفي سنة ٣٧٧هـ ، ولم يذكر سزكين هذا الكتاب ضمن ما ذكر من مؤلفات أبي علي الفارسي بيد أن النديم (٦٩ طهران) ذكره ضمن مؤلفاته وكذلك فعل ابن خلكان (٨١/٢ إحسان عباس ، وياقوت ٧ / ٢٤٠ أحمد فريد رفاعي) . ومع كل هذا فإن الكتاب حققه جابر منصور ونال بذلك شهادة جامعية سنة ١٩٧٦ من كلية الآداب - جامعة عين شمس .

وفي تعداد نفائس مكتبة الأوقاف العامة في السليمانية (٤٧/٢) ذكر الخبير الفاضل كتاب طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن لابن وهّاس الخزرجي اليمني المتوفى سنة ٨١٢هـ ، وقال إن النسخة «فريدة في جزءين ومؤرخة في سنة ٩٩٩هـ و ١٠٠٠هـ» . وأقول : إن هذه النسخة حسنة بيد أنها ليست فريدة ، لأن مكتبة جامعة ليدن تحتفظ بنسخة منها مؤرخة في سنة ١٠٣١هـ، وذكر بروكلمان نسخة أخرى في المتحف البريطاني (١٨٥/٢) . فلعل هذا وغيره من أخطاء مفهرس المجموعة فنقلها الواصف دون توثيق لها .

وفي الصفحة ذاتها ينقل الواصف الكريم معلومات المفهرس حول كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان لأبي عبدالله الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي (بكسر الطاء كما ورد في بغية الوعاة ٥٢٢/١ وليس الطيبي كما ورد في وصف الواصف) المتوفى سنة ٧٤٣هـ فيقول : «نسخة مهمة وفريدة كتبت في سنة ٧٣٨هـ وقرئت على المؤلف» . وأقول : إن كل هذا قول حسن جميل فقد تكون النسخة مهمة بسبب أنها قرئت على المؤلف بيد أن هذه النسخة ليست فريدة إطلاقًا ، فقد ذكر بروكلمان (٦٤/٢

وملحقه (٦٧/٢) أن المؤلف فرغ من تصنيفها سنة ٧٢٥هـ وشرحها في سنة ٧٣٧هـ وأن منها نسخًا في برلين وباريس ونسختين في المتحف البريطاني وواحدة في الأسكوريال وأخرى في نور عثمانية وأخرى في الإسكندرية مع شرح تلميذه علي بن عيسى وأخرى في القاهرة وفي بانكبور ؛ ناهيك عن الفهارس الحديثة التي لم يرها بروكلمان ، فهل بعد كل هذا يصح أن نقول إن نسخة مكتبة الأوقاف العامة في السليمانية فريدة ؟

ومثل ذلك قول الخبير الفاضل (٤٨/٢) : «تذكرة الحفاظ لمحمد المقدسي الشيباني ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ» . وأقول : إن ابن القيسراني المعروف باختصار المصنفات ليس له كتاب بهذا العنوان . فإذا كان كتاب تذكرة الحفاظ هذا في الموضوعات من الحديث الشريف فهو بعنوان تذكرة الموضوعات ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٣هـ وسنة ١٣٢٧هـ وحققه محمد أمين ونشره في القاهرة أيضًا سنة ١٩٣٥ بالمطبعة المحمدية التجارية . وإن كان في الرجال فعنوانه : ذخيرة الحفاظ على الحروف والألفاظ وقد اختصر فيه كتاب الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث لعبدالله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٧٥هـ ، ومنه نسخة في مكتبة كوبر لوزاده برقم : ٢٩٠ .

ومع هذا فإن الواصف الخبير يستحق كل مديح وثناء على جهده الذي لا يعرفه إلا من عانى مثل عمله بالرغم من الصعوبات والإحباطات التي لابدَّ منها فقد أوفى في معلوماته الجمة وخبراته الواسعة واستوفى الوصف في ما هو متوافر بين يديه إلا أنه أغفل ذكر كثير من المجاميع الخطية الأخرى في مختلف المدن العراقية الأخرى مثل مجموعة المكتبة العامة في سامراء التي رأيت لها فهرسًا لم ينشر بعد كتبه السيد عبدالرزاق بن شاكر البدري – رحمه الله – أمين المكتبة منذ سنين . ثم مجاميع المدارس العلمية في المدن العراقية المختلفة كالحلة مثلاً . ثم هناك المجاميع الصغيرة التي لم تفهرس بعد في كل من المكتبات العامة في بعقوبة وخانقين والعمارة والكروت والرفاعي وغيرها إضافة إلى المجموعات الخاصة المسجلة التي أشار إليها الواصف في مقدمته (١٩،٤/١) بأنها بلغت خمسين ألف مخطوطة (وانظر ما قاله الواصف في مجلة المورد : إن المخطوطات الخاصة المسجلة حتى عام ١٩٧٦ نحو ثلاثين ألف مخطوطة ، مج٥ ع١ /٦٤) ؛ كل ذلك ليس له ذكر في تقرير الواصف الكريم وأخيرًا ماذا حلَّ بمجموعة سعيد الديوه جي في الموصل التي احتوت على ٢٢٠ مخطوطة وضمت عددًا من المجموعات ؟ انظر : خزانة سعيد الديوه جي : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد التاسع / الجزء الثاني (١٣٨٣هـ/١٩٦٣) ، صفحة ٢٠٣ – ٢٣٠ .

وبعد : لا عذر لجفري روبر حين استبعد أكثر المجاميع الخاصة ومجاميع الأديرة والهيئات الكنسية النصرانية في مختلف المدن العراقية من هذا المسح بسبب التغييرات السياسية والعسكرية ، واقتصر فقط على المجاميع المعروفة رسميًا مع أنه أدرج أمثالها وبخاصة في لبنان في وصف الواصفين الآخرين ولسبب بسيط قد يجهله جفري روبر وهو أن هذه المجموعات الخاصة والعامة معروفة وفهارسها المنشورة وغير المنشورة متداولة بين المعنيين والمهتمين بالمخطوطات بعامة والإسلامية منها بخاصة ، وسبق لسزكين أن ذكر الكثير منها في ٣٥٩/٦ – ٣٧١ .

المخطوطات في إيرلنده

ومع وجود بعض المخطوطات الإسلامية الصغيرة في أماكن أخرى في إيرلنده فإن مجموعة جستر بيتي الخطية الإسلامية المعروفة في العالم العربي والإسلامي يمكن أن تعد أهم مجموعة خطية إسلامية فيها إذ لا تكاد تخلو مكتبات الجامعات من مصورات كاملة من هذه المجموعة فقد سهَّل القائمون على المكتبة الحصول على مصورة أية مخطوطة فيها أو حتى جميعها لقاء ثمن بالطبع إلا أنها أسرع المكتبات في تلبية طلبات التصوير فهم يستحقون كل ثناء وشكر .

لقد وصف فهارسها وفهارس المجموعات الأخريان كنابرت وديفد جيمس المحافظ السابق لها . فقد جمعها الثري الإيرلندي ألفرد جستر بيتي مثل ما جمع غيرها من التحف والآثار الشرقية عبر وكلاء معينين في الشرق بعامة والأوسط بخاصة ، وهذا ما يظهر في مجموعة المراسلات بين هؤلاء وبين جستر بيتي منذ سنة ١٩١٤ وهي محفوظة الآن في المكتبة حسب ما أشار إليها الواصفان وقالا : إننا نستطيع من خلالها التعرف على مصدر المخطوطات والأماكن التي كانت فيها قبل وصولها إلى حوزة المالك الجديد .

وذكر الواصفان الفهارس السبعة الأنيقة المعروفة التي صنفها آرثر جون آربري للمجموعة الفارسية بالاشتراك مع غيره وكتابه النفيس في المصاحف المزوقة إضافة إلى الجزء الثامن الذي نظمته أورزولا لايونز في فهارس الأعلام والعناوين للمجلدات السبعة.

ومع أن أورزولا لايونز أصلحت بعض المواضع القليلة فيها (Errata) إلا أنها أخطأت فيما ظنت أنه الصواب مثل قولها في التعريف بكتاب تحقيق الصفا في تراجم بني وفا لمحب الله (الصواب: محب الدين محمد بن عبدالعزيز) بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ: «معجم تراجم رجال من اسمه وفا». والصواب أنه في تراجم آل وفا الصوفية المشهورة طريقتهم في مصر وتسمى الطريقة الوفائية (انظر ما قاله الشعراني في طبقاته ١٩/٢ والعابد الفاسي في فهرس خزانة القرويين ١١٩/٤ فيهم مثلاً). ومع هذا فإن الفهارس السبعة بالرغم من فائدتها القصوى فإنها لا تزال مليئة في نسبة بعض المؤلفات إلى غير أصحابها وفي أخطاء تواريخ النسخ وفي سرعة حكم آرثر جون آربري على بعضها بقوله: «لا يظهر أن هناك نسخة أخرى مسجلة منها»، مثل ما قال في المخطوطة رقم: ٥٣٦٣ (آداب المريدين للوزان)، وذكر أن تاريخ نسخها في رجب سنة ٧٦٦هـ، والصواب ٩٠٦هـ ولم يذكر ناسخها حسن ابن محمد بن حسن الأفضل (...) علي بن السلطان الملك المظفر بن المنصور محمد بن المظفر بن الخطاب عمر بن شاه بن أيوب وذكر النساخ من شرطه. ثم إن هناك نسخة أخرى منها مسجلة في مكتبة قسطموني بإستانبول ضمن مجموعة برقم: ٢٧١٣ وهي مؤرخة في سنة ٦١٥هـ ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية.

وقوله في مخطوطة رقم: ٥٤٣٥ «قطعة من تاريخ الإسلام غير معروف بعد، كتبه يعقوب بن عبدالحق بن محمد القرشي». وأقول: إن المخطوطة قطعة من كتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وهي تحتوي على حوادث السنين ٣٦٥ - ٣٩٩هـ، وناسخها العريشي وليس القرشي.

وقوله في مخطوطة رقم [(١٩) ٥٥٠٠] وهي: المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة لابن حجر العسقلاني، «لا يظهر أن هناك نسخة أخرى مسجلة». وأقول: إن هناك نسخة منها في مكتبة البلدية في الإسكندرية وأخرى وصفتها حديثاً في المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم: ٦٣٣٩ وهناك مختصر لها في جوتا.

وقوله في مخطوطة رقم: ٥٣٤٩ إنها إرشاد المريدين في حكايات الصالحين لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ.

وأقول: إن عنوان المخطوطة هو أخبار الصالحين لتقي الدين عبدالملك الحسيني الحنفي كما ورد في نهاية المخطوطة؛ وهو مؤلف لا نعرف عنه شيئاً حتى الآن في الأقل، ثم إن محتويات الكتاب تنفي نسبته لابن الجوزي فهو يذكر حكايات عن يحيى بن شرف النووي المولود سنة ٦٣١هـ والمتوفى سنة ٦٧٧هـ (ورقة ٤٥ ب) وعبدالعزيز الديري أو الديرني المولود سنة ٦١٢هـ والمتوفى سنة ٦٩٧هـ (ورقة ٨٨ ب) وأبي الحسن الشاذلي المولود سنة ٥٩١هـ والمتوفى سنة ٦٥٦هـ وعن نجم الدين محمود الأصفهاني شيخ أبي الحسن الشاذلي (الطبقات الكبرى للشعراني ٤/٢)، وأمثال ذلك كثير لا مجال هنا لسردها.

وبعد: فإن الفهارس بجملتها تحتاج إلى توثيق شامل وتدقيق كامل وتنظيم جديد إذ إنه يورد عدداً من النسخ لنص واحد في أماكن متفرقة من الفهارس، ولعل محمود شاكر سعيد الذي ترجم هذه الفهارس لمؤسسة آل البيت في عمان قد أقام ما فيها من عَوَج وصحح ما حدث فيها من أخطاء على ضوء ما نشر من الفهارس الجديدة، وإلا فإن ترجمته لا فائدة جديدة ترجى منها.

ولعل الجديد في وصف الواصفين هو أننا عرفنا منهم أن مكتبة جستر بيتي قد اقتنت ١٥٢ مخطوطة عربية إضافة إلى ٢٣ مخطوطة بالفارسية بعد نشر فهارس آربري منها: ذيل تاريخ ابن قاضي شهبة بخط المؤلف ومؤرخة في سنة ٨١٠هـ. ويقول الواصفان إنه تكملة تاريخ ابن قاضي شهبة (٥٥/٢). والظاهر أنه المختصر من تاريخه الكبير الذي ذيل به على الذهبي والبرزالي وابن كثير. والمختصر منشور في دمشق بتحقيق عدنان درويش سنة ١٩٧٧. وتاريخ حضرموت لأحمد بن عبدالله المعروف بـ: شنبل (الصواب: ابن شُنْبُل) والعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لعلي أفندي بن بالي المتوفى سنة ٩٩٢هـ وهو تكملة كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده ودمعة الباكي ويقظة الساهي لشهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري وغير ذلك إضافة إلى ٢٧ وثيقة بردية يحتوي بعضها على أجزاء من المعلقات.

وذكر الواصفان أيضاً فهارس المجموعات الصغيرة

الأخرى المنشورة وغير المنشورة الموجودة في دبلن وبخاصة في مكتبة كلية ترنتي (١١٧: ٣٥ مخطوطة عربية؛ مخطوطتان بشتويتان ؛ و ٦٨ فارسية ؛ وواحدة بنجابية ؛ وواحدة سواحلية ؛ و ٧ تركية ؛ و ٣ أردية) والتي جاءت إلى هناك عبر قنوات مختلفة مثل غنائم الحروب من أقطار كانت تحت الحكم الاستعماري البريطاني كالهند ومصر ونيجيريا وقبرص . وازداد هذا العدد بعد سنة ١٩٠٠ فأضيف لها ١٨ مخطوطة عربية و ٦ مخطوطات فارسية وواحدة سواحلية وبشتويتان .

والذي لم نفهمه من الواصفين قولهم في وصف نسخة من المصحف الشريف في هذه المكتبة : «وفيها نسخة حسنة جداً من القرآن تعود للقرن ١٥ (أي : التاسع للهجرة) من فترة السلطنة» (٦٢/٢) . فلعلهم يقصدون سلطنة تيبو TIPU وإلا فإن كلامهم معمًّى غير دقيق . ومع كل هذا فإن وصف الواصفين يتسم بالدقة والشمول ويدل على معرفة دقيقة بالفهارس ومحتوياتها .

المخطوطات في إيطاليا

وصف فهارس إيطاليا ثلاثة من العارفين هم : باولا اورزاتي ، بارتولوميو بيرون ، الدو جالوتا وصفًا يدل على جهد جهيد يستطيع القارئ معه أن يخرج بانطباع واضح عن مجاميع المخطوطات الإسلامية في إيطاليا (لم يصفوا فهارس الفاتيكان لأنه دولة مستقلة) وفكرة أوضح عن اهتمام المؤسسات الكنسية والتنصيرية بالمخطوطات الفارسية بما فيها ترجمات الإنجيل للفارسية التي يجدها منثورة موزعة في معاهد كنسية كثيرة أو إنها نقلت من الأديرة إلى هذه المعاهد ، وهذا يرجع تاريخياً إلى النشاط التنصيري الكاثوليكي في إيران والهند بالذات إذ كانت الفارسية لغة البلاط في الهند أيضًا وهذه الظاهرة تذكرنا بكتاب أينه حق نما (مرآة الحق) الذي كتبه في سنة ١٥٩٦م (١٠٠٥هـ) المنصر الكاثوليكي الجزويتي زير ونمو زفير لتفنيد الإسلام وإثبات أن النصرانية الكاثوليكية أحق أن تتبع وقدمه إلى السلطان جهانكير فرد عليه أحمد بن زين العابدين العلوي بالفارسية أيضًا فرد عليه فليبو جوداجنولوس باللاتينية أولاً ونشر سنة ١٦٣١ ونشر هذا الكتاب ثانية بالعربية في سنة ١٦٣٧ بعنوان : اعتذار الديانة النصرانية (الفهرس الوصفي ٣٦) .

ويخرج القارئ أيضاً بفكرة أخرى وهي أن كثيراً من المخطوطات الإسلامية في إيطاليا قد تأثر بالحرب العالمية الثانية فبعضها أحرق أو أصاب بعضها الآخر التلف . ومع هذا فإن المخطوطات الإسلامية تكاد تنحصر في مركزين ، هما : مكتبة الأمبروزيانا في ميلان إذ تحتوي على ٢٣٥٥ مخطوطة عربية وفارسية وتركية ، ومكتبة الفاتيكان التي لم توصف فهارسها بعد . ومع ذلك فإن هناك مجموعات نفيسة في كل من بولونا وفلورنس ونابولي وبالرمو وروما وتورين تصل إلى ما يقرب من ألفين وخمس مئة مخطوطة ، بعضها فريد فعلاً مثل كتاب النخلة (وليس النخل ٩٦/٢) لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠هـ (بروكلمان ١٠٧/١ وسزكين ٣٣٦/٤) والمنسوخ في سنة ٣٩٤هـ ويعض قطع من المصحف الشريف مكتوبة على ورق البردي (٩٠/٢) أو من النوادر مثل كتاب لسان الشعراء وبيان الفضلاء وهو معجم فارسي قديم (٧٨/٢).

المخطوطات في ساحل العاج

في مدينة أبيجان العاصمة :

قام بوصف الفهارس فيها بابا يونس محمد ، وبدأ في وصف المخطوطات العربية المحفوظة بدار الوثائق (الأرشيف) الوطنية في أبيجان العاصمة ، والتي لم ينشر لها فهرس بعد ، فذكر أنها تحتوي على ١٥٣٠ مخطوطة عربية أهدت معظمها الإدارة الاستعمارية السابقة في ساحل العاج للدار (من أين جاءت بها ؟ !) والبعض الآخر اشترته الدار من الأفراد . فهناك ٢٠٨ مخطوطات في الفقه و ١٧٠ في علوم القرآن و ٩٠ في العقيدة و ١٤٧ في الحديث و١٠٠ في الحساب و ١٠٨ في الزهد و ٨٧ في الشعلا و ٧١ في النحو والقواعد و ١١٥ في التصوف و ٩٠ في علم الفلك والهيئة و ١٢٣ في التاريخ و ٥٤ في الترسل و ٥١ في الأنساب و ٦٠ في الطب و ٦ في التفسير و ٥٠ في الفتاوى . وذكر الواصف من مخطوطاتها المهمة : كتاب مرتقى الأصول إلى الضروري من الأصول (غير مؤرخة) لابن عاصم (١٢٠/٢) . وأقول : الصواب هو : مرتقى الوصول إلى معرفة علم الأصول إلا إذا كان الأول نوعًا من الشرح أو الاختصار . والمؤلف هو أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسي المالكي الغرناطي المتوفى سنة ٨٢٩هـ .

لعل الطريف في مجموعات ساحل العاج الخطية الموجودة في المكتبات الخاصة التي وصف الواصف محتوياتها في المدن المختلفة أن معظمها ، إن لم تكن كلها، لم تفهرس إلا محتويات دار الوثائق التي فُهرس أغلب ما فيها من مخطوطات على بطاقات فقط ؛ بل إنها لم تعرف خارج ساحل العاج إلا من إشارة مقتضبة في مقال نشره فنسنت مونتيل حول مخطوطة واحدة إلى وجود بعض المخطوطات في أربعة أماكن أخرى في ساحل العاج ومقال بول مارتي الذي ذكر فيه محتويات ٨ مكتبات ، وذلك بنشر سجلاتها بالعربية في : Paul Marty, Revue du Monde Musulman, Paris 1922, pp 274-277, Annexes III-IX, pp. 463- 480. والظاهرة الأخرى أن كل المجموعات الخطية التي وصفها الواصف إنما هي مجموعات خاصة أما في حيازة أفراد أو في مدارس إسلامية وإليك سرداً بهذه المجموعات لكي يتعرف عليها القراء :

في مدينة بوندوكو : ٤٨٦ مخطوطة في مكتبة الحاج عبدالباقي بن ناجي ، منها ٣٠ في التصوف و ٨٣ في التوحيد و ١٥ في الأساطير والقصص و ١٨ في القرآن وعلومه و ٩٣ في الشعر و ١٠٥ في التاريخ و ١٢٠ في الفقه و ٢٢ في الحديث وعلومه ، وتحتوي على بعض النوادر منها شرح العمليات الفاسية لمؤلف لم يعرف بعد وكتبت سنة ١٢٠٩هـ . وأقول : إن كتاب العمليات الفاسية لأبي زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي المتوفى سنة ١٠٩٦ وقد شرحها أبو القاسم سعيد العميري التادلي وأبو عبدالله محمد بن قاسم السجلماسي الرباطي (بروكلمان ملحق ٢/٦٩٤ – ٦٩٥) فلعل النسخة هي أحد الشرحين .

وفي مدينة بواكا : مكتبة الشيخ يوسف توري/ مدرسة إحياء الدين ٧٦ مخطوطة أهداها مؤسس المدرسة الشيخ يوسف توري إلى المدرسة ، منها ١٠ في التوحيد و ١٥ في الفقه و ٢٦ في السيرة و ٧ في الفلسفة وواحدة في التفسير و ٧ في المواعظ و ٦ في الأدب و ٤ في الأصول . ومن نوادرها كتاب فيض الفاتح المالك في أصول الإمام مالك للأرواني محمد بن محمود بن الشيخ .

وفي مدينة بونا : مكتبة الشيخ بكر كونتي / مدرسة الإرشاد ٥٤ مخطوطة ، اقتنى الشيخ بعضها بالشراء ونسخ البعض الآخر بيده ، منها ٥ مخطوطات في الأنساب و ٩ في الفقه و ٢٠ في أصول الفقه و ١٦ في التصوف و ٣ في الفلسفة ومصحف واحد . ومن نوادرها : فوائد من غابر الأخبار في تاريخ الدول وأصول الأنساب لمحمد السالك بن الخياط وكتاب أمهات الوثائق في الفقه لداوود التملي .

وفي مدينة بونديالي : مجموعة أحمد بن عثمان / المسجد المركزي ٩٧٠ مخطوطة وقال الواصف فيها : «لعلها أكبر مجموعة في هذه المدينة» (١٢٢/٢) ، فهل يعني هذا أن هناك مجاميع غيرها في المدينة لم يتسن له وصفها ؟ ثم أخبرنا الواصف أن هذه المجموعة إنما هي في الأصل لفائدة مريدي الطريقة التيجانية هناك وقد جمعها الشيخ أحمد بن عثمان إما بالشراء من الأفراد في داخل ساحل العاج أو من الأقطار الأخرى أو إنه وتلاميذه قاموا بنسخ بعضها الآخر ، وأن بعضها وصل إلى المكتبة بطريق الإهداء . وفيها ٢٢ مخطوطة في الفلسفة و ١٠٠ في التاريخ و ١٩ في البلاغة و ٢٨ في القصص والأساطير و٢٣٢ في التصوف و ٢٥٢ في الفقه و ٢١٥ في أصول الدين و١٠٢ في الطب ، ومن نوادرها : كتاب تكميل المنهاج إلى أصول المذهب لمحمد بن أحمد ميارة (المتوفى سنة ١٠٧٢هـ) وكتاب شرح الرسالة السمرقندية في الاستعارات للدمنهوري .

وكنا نود أن الواصف الكريم ذكر لنا بعضاً من نوادر التاريخ والتصوف والفلسفة والطب لا سيما وأن المجموعة غير معروفة بعد خارج ساحل العاج ، ولعل مؤسسة الفرقان تكمل هذا الصنع الجميل فتعهد إلى الأخوة في أفريقيا وغير أفريقيا بفهرسة ما لم يفهرس ومنهم الواصف وتقوم بنشر هذه الفهارس فإن ذلك من صلب مسعاها الجليل في الحفاظ على التراث الإسلامي ونشر معرفته .

وفي البلد نفسه هناك مجموعة خاصة لعالم مامي فودي ابن عباس وتحتوي على ٤٩ مخطوطة ، منها : ٥ في الفتاوى و ١٥ في علوم القرآن والحديث و ٧ في السيرة النبوية و ٨ في التصوف و ٤ في الزهد ، وواحدة في التاريخ و ٧ في الفقه واثنان في العقيدة . ومن نوادرها : كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

وفي مدينة دابكالا : هناك مجموعة السيد سليمان العلوي الخاصة : ٢٢٨ مخطوطة عربية ، وكان قد جمعها المالك أثناء دراسته وإقامته في فاس بالمغرب التي

استمرت عشرين عامًا ، وتحتوي على بعض النوادر بخط المؤلفين إلا أن الواصف لم يذكر واحدة منها وكنا نود أن قد فعل ، منها ٨ مصاحف (أو في علوم القرآن ؟) و ١١ في الشريعة و ١٥ في التصوف و ٩ في البلاغة و ٤ في المنطق و ٣٠ في الفقه و ١٩ في أصول الفقه و ٥ في النحو و ١٣ في علم الفلك والهيئة و ٤٨ في الحديث و ٤١ في الزهد و ٢٥ في العقيدة . ومن المخطوطات المهمة : شرح ألفية ابن مالك لشارح لم يعرف بعد ، نسخها حسن بن محمد الطاهر في سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧) . وكتاب «نظم الفرائض [لابن رشد] لعبدالرحمن ، مؤرخة في سنة ١٧٦٨» [١١٨٢هـ] .

وأقول : إن كتاب الفرائض هو كتاب المقدمة في الفرائض لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٢٠هـ ، أما كتاب نظم الفرائض فهو لعبدالرحمن الرقعي المالكي المتوفى بعد سنة ٨٥٣هـ (فهرس الخديوية ١٨٦/٣)، وذكر بروكلمان نسختين منه ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٠٠هـ (ملحق ٦٦٢/١) .

وفي مدينة فرنتلا : هناك مجموعة يعقوب بن موسى ١٢٨ مخطوطة عربية كان المالك قد ورثها من والده عالم أمامو موسى . وتحتوي هذه المجموعة على مخطوطة كتبت في سنة [٩٠٣هـ] ١٤٩٧م . أما محتوياتها فهي : مخطوطتان في الشعر و ١٧ في التاريخ و ٤ في الفلسفة و ٣٥ في القرآن وعلومه و ٨ في الحديث و ١٥ في الطب و ٢٢ في الفقه و ١٥ في العقيدة و ٦ في الترسل و ٤ في علم النجوم . ومن نوادرها : كتاب واسطة السلوك لأحمد السنوسي وتاريخ خلفاء الفواتيين لعباس الجباوي السوسيري ورسالة في العمل بالربع المجيَّب للمارديني . وهذه المجموعة أيضًا لم تفهرس بعد مثل السابقات .

وفي مدينة جونتجوالا : هناك مجموعة أبي الحسن محمد الخاصة / معهد الإسلامية ٧٠ مخطوطة عربية جمعها المالك بطريق الشراء من مصادر محلية ونسخ المالك أربع مخطوطات منها بخطه وهي تحتوي على: ٥ مخطوطات في علم النجوم ٢ من المصاحف (أو علوم القرآن ؟) و ٩ في الحديث و ٢ في التفسير وواحدة في السيرة النبوية و ٤ في التاريخ و ٢٥ في التصوف و ٨ في المنطق وطرق البحث و ١١ في الطب و ٣ في المواعظ . ومن نوادرها : كتاب ضياء التأويل في ٨ مجلدات لعبدالله فوديه

وللمجموعة سجل غير منشور بعد .

وفي مدينة كونج : هناك مجموعة ابن عمر كونج الخاصة ١١٠ مخطوطات وهي : ١٨ مخطوطة في القرآن وعلومه و ٤ في الحديث و ١٠ في الفقه و ٢٥ في العقيدة و ٢٢ في التصوف و ١٧ في الطب و ٥ في المنطق وطرق البحث و ٣ في التاريخ و ٥ في النحو وواحدة في الزهد . ومن نوادرها : كتاب الجواهر الحسان (لعله يريد الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعلبي أو الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٣هـ) وكتاب عقيدة الإيمان لمؤلف لم يعرف بعد وكتاب متن الجامع الصغير لابن أحمد السنوسي .

وأقول : إن كتاب عقيدة الإيمان هو نفسه كتاب ابن رشد السابق المقدمة في الفرائض (ويسميه بروكلمان عقيدة الإمام ، ملحق ٦٦٢/١) . للمجموعة سجل يحتوي على وصف المخطوطات .

وفي مدينة كورهوجو : هناك مجموعة صغيرة ١٠ مخطوطات في المسجد الجامع فيها ، جاءت إلى المسجد بطريق الإهداء من الصالحين وهي تحتوي على ثلاث نسخ مزوقة من المصحف الشريف وعلى كتاب تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي إضافة إلى كتاب الموطأ للإمام مالك وصحيح البخاري . ولا يعرف الواصف إذا كانت هذه المجموعة قد فهرست في سجل خاص .

وفي المدينة نفسها : هناك مجموعة محمد بابا كورهوجو ٢٣٠ مخطوطة . وقد جمعها المالك بالشراء بعد أن رأى أن بعض المستشرقين الفرنسيين أثناء الاستعمار الفرنسي لساحل العاج يشترون المخطوطات من أصحابها فرأى أن خير وسيلة للحفاظ عليها وإبقائها في بلده أن يقوم هو بشرائها فكان له ما أراد بالرغم من مصادره المالية المحدودة .

يوجد للمجموعة سجل خاص نظمه المالك لمجموعته .

وفي مدينة مانكونو : هناك مجموعة عالمامو (العالم الإمام) فوفانا بن سعيد كراموكو الخاصة / المسجد الجامع ٣٢٤ مخطوطة عربية . جمعها العالم الإمام فوفانو نفسه ، والذي كان معروفًا بالعلم وجمال الخط ، فنسخ أكثر مخطوطات مجموعته . ويقول أولاده أنه جمعها من الأفراد بالشراء من ساحل العاج وغينيا . ومنها : حوالي ٩٠ مخطوطة في القرآن والحديث وعلومهما و ٤٩ في الفقه و ٨ في السيرة و ٣٠ في العقيدة و ١٦ في

التاريخ و ٢٠ في الشريعة و ٩٠ في الحساب و ٦ في الزهد و ٣ في التصوف و ٢ في الشعر و ١٠ في الفلسفة ومن نوادرها : كتاب فتح الرب الجليل على بزوغ الهلال بتذييل لامية الأفعال ليونس بن عثمان بن عمر ، دون تاريخ؛ وكتاب شرح الدرة البهية في حل ألفاظ القرطبية لمحمد بن إبراهيم التتائي والمخطوطة مؤرخة في سنة ١٧٠٤ (١١١٦هـ) . وأقول : ذكر بروكلمان أن كتاب الدرة البهية في حل ألفاظ القرطبية هو لمحمد بن يحيى بن خليل التتائي المتوفى سنة ٩٤٢هـ أما القرطبية فهي أرجوزة الولدان وتسمى المقدمة القرطبية ليحيى بن عمر بن سعدون الأزدي القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧هـ (بروكلمان ٤٢٩/١ وملحق ٧٣٦/١ ، ١٢٣٢/٣) .

نشر بول مارتي صورة لقائمة يدوية غير كاملة (١٩٢٢) لبعض مخطوطات المجموعة ولا يزال أكثر من ثلثيها غير مفهرس .

وفي مدينة نبيله : هناك مجموعة صادق نديه (انشدايا) / المدرسة الوطنية وهي ٦٥ مخطوطة عربية أهداها والد المالك الفا نديه Alfa N'diaye إليه ويقول المالك : إنه ووالده قاما بنسخ كثير منها من الكتب الإسلامية المطبوعة ، أما محتوياتها فهي : ٦ مخطوطات في الزهد و ١٥ في علوم القرآن و ٧ في الحديث و ١١ في الفتاوى والمواعظ و ٨ في التصوف و ٨ في الفقه و ١٠ في التوحيد . ومن نوادرها : كتاب التوحيد ليوسف بن أبي بكر بن موسى ، مؤرخ سنة ١٨٠٨ (١٢٢٣هـ) .

المجموعة غير مفهرسة .

وفي مدينة أودينه : هناك مجموعة الشيخ عبدالله بن عمر تاج الدين الخاصة ١٠٥ مخطوطات عربية محفوظة عند أحفاده ، وقال حفيده الحسن إن جده جمع المخطوطات من مصادر متعددة في داخل ساحل العاج وفي خارجه ، وإن جده نسخ بعضًا منها بخطه وقد أثرى أحفاده المجموعة وذلك بالشراء أو بالإهداء من طلبة الشيخ وأصدقائه . أما محتوياتها فهي : ٢٣ مخطوطة في الفقه و ١٩ في العقيدة و ٢ في الشعر و ١٠ في الطب و ٨ في علم الفلك و ١٦ في المنطق و ٢ في الحساب و ٥ في التاريخ و ٢٠ في الفلسفة . ومن نوادرها : كتاب أخبار الزمان لمؤلف لم يعرف بعد . والبردة لمحمد المراكشي وكتاب معدن ذهب لعبدالله بن عمر تاج الدين صاحب المجموعة .

وأقول : لعل كتاب أخبار الزمان هذا هو للمسعودي (بروكلمان ١٤٤/١ وملحق ٢٢٠/١) أو لعله كتاب أخبار الزمان وعجائب البلدان وهو كتاب في القصص والأساطير (بروكلمان ملحق ٢٢١/١) . أما قصيدة البرءة (وليس البردة ، هذا من الأخطاء الشائعة) فلمحمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المتوفى سنة ٦٩٤هـ وتعرف باسم : الكواكب الدرية في مدح خير البرية وهي مشهورة إلا إذا كانت هذه النسخة شرحًا لها .

وقد نشر بول مارتن قسمًا من سجلها اليدوي بالتصوير سنة ١٩٢٢ .

وفي المدينة نفسها : هناك مجموعة الشيخ هوبو سالم الخاصة ٢٥١ مخطوطة عربية . الطريف في هذه المجموعة أن الشيخ وأولاده وتلاميذه ، وعلى مدى ست سنوات ، قاموا بزيارة عدد من الشيوخ وقاموا بنسخ ١٥٠ مخطوطة في أماكن متفرقة من ساحل العاج . أما باقي المجموعة فتم شراؤه من دكاكين الكتب .

أما محتويات المجموعة فهي : ٣ مخطوطات في التفسير و ٥٦ في الحديث و ١٨ في الأدب و ٨٠ في الفقه و ٣٩ في الأصول و ١٤ في التاريخ و ١١ في الحساب و ٣٠ في الطب . منها ١٢ مخطوطة تحتوي على بعض الجوانب الخطية والفنية . ومن نوادرها : تفسير البيضاوي وتفسير النسفي ومختصر بداية المجتهدين لمحمد بن يحيى ابن سالم . فلعل الكتاب هو مختصر لكتاب بداية المجتهد لابن رشد .

المجموعة لم تفهرس بعد .

وفي مدينة سامتجويلا : هناك مجموعة الشيخ أحمد سينا / مدرسة علوم الدين ١٠٠ مخطوطة ، جمعت لمنفعة طلاب المدرسة بطريق الشراء من ساحل العاج وغينيا .

أما محتويات المجموعة فهي : مخطوطة واحدة في التفسير و ٢٠ في علوم الحديث و ٤ مصاحف (علوم القرآن) و ٢ في السيرة و ١٦ في الطب و ٢٨ في الزهد و ١٥ في التصوف و ٥ في النحو و ٨ في الفقه وواحدة في العقيدة و ٢ في الشريعة . ومن نوادرها : كتاب التنوير لمؤلف لم يعرف بعد ودون تاريخ ، وكتاب نازلة في شأن الجامع الكبير بتنبكت للإمام محمد بن عمر ، مؤرخة في سنة ١٩٢٤ ومقدمة في الفقه المالكي لعبدالباري

العشماوي، غير مؤرخة .

للمجموعة سجل خاص في المدرسة .

وفي مدينة تيبينا : هناك مجموعة الشيخ محمد ابن ليما / مدرسة نور الإسلام ٩١ مخطوطة عربية . مالكها الشيخ محمد بن ليما من العلماء الفضلاء ، جمع ما يقرب من نصفها أثناء رحلة دراسية إلى غينيا والباقي بالشراء من الأفراد داخل ساحل العاج .

أما محتوياتها فهي : ٣٠ مخطوطة في الفقه و ٥ في الفلسفة و ١٤ في المنطق وطرق البحث ومصحف واحد و ٦ في الحديث و ٢٦ في التاريخ و ٧ في الطب و ٢ في الزهد.

ومن نوادرها : كتاب المرائي الحسان لعبدالله بن أبي حمزة ، بدون تاريخ وكتاب تهذيب مراقي الصعود غير مؤرخ ومكتوب في التصوف لمحمد بن مختار الديماني ، مؤرخ في سنة ١٨١٩م .

المجموعة غير مفهرسة .

وأقول : إن كتاب المرائي الحسان هو لعبدالله بن سعيد ابن أبي جمرة (بالجيم والراء) الأزدي الأندلسي والكتاب منسوب في نسخة دار الكتب المصرية لأحمد بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي ، والصواب أنه لابن أبي جمرة ، ومنه نسخة حسنة في جامع الشيخ بالإسكندرية برقم : ٢٠٨ .

أما كتاب مراقي الصعود لمبتغي الرقي والسعود فهو قصيدة في الفقه لعبدالله بن إبراهيم بن عطاء الله العلوي الشنقيطي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ وقد شرحها الناظم نفسه بكتاب نشر البنود على مراقي الصعود وشرحها أيضًا محمد بن يحيى الحوضي الولاتي وكل ذلك مطبوع .

وفي مدينة توبه : هناك مجموعة الحسن إبراهيم الخاصة ٢٩٤ مخطوطة عربية وصلت إليه بطريق الإرث من أحد العلماء المغاربة الذي استقر في المدينة وأضيفت إليها مجموعة أخرى تقدر بخمسين مخطوطة .

أما محتوياتها : ١٩ مخطوطة في الشعر و ١٠ في الأدب وواحدة في التاريخ و ٣٥ في الأنساب و ٥٣ في الفقه و ٧٠ في العقيدة و ٧ في علوم القرآن و ٢٦ في الزهد و ٣٢ في الحديث و ٧ في الفلسفة و ١٨ في الطب و١٦ في الشريعة .

ومن نوادرها : كتاب النصيحة المحمودة والعزة المصمودة لمحمد الكونتي ، ومؤرخ في سنة ١٧٥٧م (١١٧١هـ) ، وكتاب النصيحة المهمة لمن يريد السنة المحمدية لمحمد بن سالم ، ومؤرخ في سنة ١٨٢٣م (١٢٣٩هـ) وكتاب متن المنان وشرحه شكر الإحسان لعبدالله ابن عثمان فوديه، ومؤرخ في سنة ١٨٢٨م (١٢٤٤هـ) .

للمجموعة سجل خاص عند مالكها .

إن الكثرة الكاثرة من محتويات هذه المجاميع غير معروفة إطلاقًا وبخاصة مؤلفات علماء ساحل العاج وما يجاورها من الأقطار الأفريقية ؛ بل إن الكثير منها نسخ فريدة على ما يظهر ، ولذلك لم يتعرض لها بروكلمان مثلاً لغياب فهارسها أو حتى معرفتها في الشرق الإسلامي أو حتى المغرب مع امتداد المد الثقافي من المغرب إليها . وقد أحسن الواصف بالرغم من الاقتضاب البيّن في العرض ، في التعريف بها ، ولا أكاد أشك بعد وصفه هذا في أن هذه المجاميع سوف تحظى باهتمام المختصين والدارسين. ولا ندري لماذا لجأ إلى تأريخ المخطوطات بالتاريخ الميلادي وهي ولابد مؤرخة بالتاريخ الهجري ؟ ولم يتنبه المحرر جفري روبر إلى ذلك ولم يصححه .

المخطوطات في اليابان

مكتبة جامعة كيوتو للدراسات الأجنبية

إن اهتمام اليابان بالمخطوطات الإسلامية بخاصة والكتاب الإسلامي المطبوع بعامة اهتمام حديث لا يتعدى السنين القليلة الماضية نتيجة الطفرة الصناعية الهائلة وتدفق الأموال وازدياد اهتمامهم الاقتصادي بالعالم الإسلامي لكونه سوقًا استهلاكيًا هائلاً لمنتجاتهم فاتجهوا إلى اقتناء مكتبات بكاملها من المطبوعات القديمة والحديثة ومن ضمنها المخطوطات من أماكن متعددة . فقد اشتروا مجموعتين **أولاهما** في سنة ١٩٧٥ وتتكون من : ١٢٣ مخطوطة عربية و ٦٩ مخطوطة فارسية و ٣٩ مخطوطة تركية ، قيل إنها من مكتبة السلطان حميد (أي حميد هذا ؟ لعله السلطان عبدالحميد الثاني العثماني ؟) ويقول الواصف إن معظمها منسوخ في القرن الثالث عشر للهجرة بيد أن بعضها نسخ في القرون الأربعة الماضية (أي : التاسع والثامن والسابع والسادس للهجرة) ، وقد نشر فهرس للمجموعة الفارسية والتركية فقط .

والثانية : اشتراها معهد الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو في سنة ١٩٨٧ من هانس دايبر ، المستشرق الألماني الأصل الذي يعمل الآن في الجامعة الحرة

بأمستردام وهي تتكون من ٣٦٧ مخطوطة منها ٣٥١ عربية و ٣ فارسية و ٧ تركية و ٦ عربية / تركية ، كان قد جمعها أثناء ترحاله وسفره المتكرر في أقطار الشرق الأوسط ونشر فهرساً خاصاً لها ثم أعاد المعهد الياباني نشره في سنة ١٩٨٨ بتعديلات طفيفة . فبالرغم من أن صاحب المجموعة قد بذل جهداً شاقاً في وصف كل شاردة وواردة في مجموعته ومشيراً بعد كل ذلك إلى بروكلمان وسزكين وكشف الظنون وغيرها ، فإن الخبير الحصيف يرى بكل سهولة أن الواصف كان يحفر البئر بإبرة ويحاول جاهداً أن يجعل من بعضها نوادر أو بخطوط أصحابها لتعظم قيمتها المالية والعلمية ، والواقع أن غالبيتها الغالبة إنما هي نسخ مدرسية تمر المئات من أمثالها بين يدي كل مفهرس ومصدرها في الأغلب من مكتبات المدارس العثمانية في تركيا والشام والعراق ولبنان ومصر إذ كان طلاب المدارس الملحقة بالمساجد يقومون باستنساخها أو إنها كانت تنسخ لهم لدراستها على الشيوخ مثل شروح الرسالة السمرقندية في الاستعارات والطريقة المحمدية للبركوي وشروحها ورسالة «أيها الولد» للغزالي وملتقى الأبحر للحلبي والعوامل المئة وشروحها (نسبة الكتاب لعبدالقاهر الجرجاني أو للبركوي ؟ أنظر : مناقشة بهاء الدين عبدالرحمن الرصينة في مجلة عالم الكتب السعودية مج٧ ، ع٤ / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ ، ٤٧٤ – ٤٧٨ لمحقق شرح الأزهري على العوامل البدراوي زهران ورد للبدراوي زهران في مجلة عالم الكتاب المصرية ع١٣ ، يناير – فبراير – مارس ١٩٨٧ ، ٦٩ – ٧١) ورسائل الدواني وشروحها وحواشي شروح إيساغوجي وقصيدة الأوشي وعقيلة أتراب القصائد للشلطبي وأمثال ذلك ، وأوراق دشت متفرقة ما بين الورقة والورقتين وعدة أوراق أفردها الواصف بأرقام مفردة مستقلة .

ومن نوادر هذه المجموعة :

١ – كتاب نسب آل أبي طالب لأبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر [الحسيني] المتوفى سنة ٢٧٧هـ وهو يقع في ١٦ ورقة ومؤرخ في سنة ٥٥١هـ ومنه نسخة أخرى ببغداد (سزكين ١/٢٧٣) .

٢ – كتاب البحور الزاخرة في أحوال الآخرة لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨هـ وهو مؤرخ في سنة ١٢٧٧هـ ويقع في ٩ ورقات فقط .

ويقول الواصف إنه «لاتوجد منه نسخة أخرى مسجلة».

٣ – وصية زين العابدين لولده أبي جعفر محمد ورسالته إلى محمد بن فاتح مؤرخة في سنة ٨٦٧هـ ، وهي تقع في ٩ ورقات فقط .

٤ – كتاب الجواب الشريف للحضرة الشريفة لعبدالغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ ، وهو يقع في ٨ ورقات . ويقول الواصف إن موضوعها يدور حول «إن أبا يوسف والشيباني لا يختلفان عن أستاذهما أبي حنيفة في وجهات النظر الفقهية» ، وهو مؤرخ في سنة ١١٠٠هـ بالمدينة المنورة .

٥ – كتاب نهاية المجلّي ودرَّة المنتدي لأحمد (في بروكلمان: محمد) بن محمد بن عبدالعزيز الأندلسي التونسي ، وهو شرح لكتاب منية المصلي وغنية المبتدي لسديد الدين الكاشغري ، ومنه نسخة أخرى في جامع الزيتونة بتونس (بروكلمان ملحق ١/٦٦٠) .

٦ – ديوان الصفا لأهل الوفا ويسمى أيضًا الدر النفيس من كلام ابن إدريس لحسين الحصني المتوفى سنة ١١٧٣هـ ، ويقع في ١٢ ورقة ونسخ سنة ١٣١٢هـ .

وفي المجموعة أيضًا نسخ حسنة بعضها مهم جداً للمهتم بعلم الأكتناه (الباليوغرافي) عمومًا ومع كل هذا فقد بذل الواصف جهداً عجيبًا في التتبع والاستقصاء واصطياد المعلومات عن كل ما يمكن أن يلقي شيئاً من الأهمية على هذه القطعة أو تلك في مجموعته وكان لابدَّ أن تتسرب بعض الهنات هنا أو هناك أحببت إيراد بعضها عسى أن ينتفع بها المهتمون من اليابانيين إذا ما أعاد أحدهم وصف هذه المجموعة أو درسها .

١ – في صفحة ٥٥ ، قال الواصف عبدالله السكري الدمشقي : «قيل إنه كان حاكمًا اعتماداً على المدرسة الحنفية» واقتبس نصاً بالعربية هو «الحكيم في المذهب الحنفي» وأشار إلى (كحالة ٦/٥٣) وهذه العبارة لم ترد عند كحالة ، ومعنى حكيم هنا : عارف عالم متضلع ضليع واسع العلم وليس حاكما كما وردت عند الواصف is said to have been governor according to the Hanafite school .

٢ – وفي صفحة ٦٤ ، قال الواصف إن رسالة : «محمد

صالح (الصواب الصالح) بن عبدالرحمن الأوجلي تعليق مختصر على المنظومة التي جمع فيها ما يدخل تحت قول (وليس قولي) لا إله إلا الله محمد (وليس ومحمد) رسول الله ، «إن الرسالة والمؤلف لم يذكرا في أي مصدر بيو - ببلوجرافي» .

وأقول : لقد ذكرهما بروكلمان في ملحق ٩٢٤/٢ .

وأضيف : منها نسخة في مجموعة حسن حسني عبدالوهاب بتونس برقم : ١٨٥٦٦ .

٣ - وفي الصفحة نفسها نسب كتاب الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي ، وهذا خطأ شائع ، لعل الواصف تناوله في مقالته التي أشار إليها في الوصف ؛ لأن الكتاب قطعًا ليس من تصنيف السيوطي ، وإنما هو للمهدي بن علي بن إبراهيم الصنبري (وليس الصنوبري كما هو عند بروكلمان) الهندي اليمني المتوفى سنة ٨١٥ كما ورد عند حاجي خليفة ٨٣٦ (وانظر : مكتبة الجلال السيوطي ، أحمد الشرقاوي إقبال ، الرباط ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ ، ٢٠٢ وبروكلمان/ ١٨٩/٢ وملحقه ٢٥٢/٢ وفهرس الخزانة الحسنية لمحمد العربي الخطابي ، الرباط ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ ، ١١٠/٢ - ١١٤) .

٤ - وفي صفحة ٦٩ ، قال الواصف في وصف رسالة في علم آداب البحث : «إنها لطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ مع شرحه عليها» .

وأقول : إن الواصف قد كرر الخطأ المشهور الذي وقع فيه بروكلمان والورد وغيرهما في نسبة النص ، والصواب أن أصل الرسالة رسالة في آداب البحث والمناظرة لعضد الدين الإيجي وشرحها لمحمد بن محمد البردعي التبريزي المتوفى سنة ٩٢٧هـ وقد نص على ذلك طاش كبرى زاده نفسه في كتابه مفتاح السعادة (بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ ، ٢٨٠/١) ، وقد حققهما مويل عزالدين ونشرتهما دار أمية في الرياض سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١ .

٥ - وفي صفحة ١٢٣ ، قال في وصف شرح الداموني الدر الثمين لشرح الدور الأعلى لسيدي محي الدين : «إن هذا العنوان غير مذكور في أي مكان» .

وأقول : إن عثمان يحيى ذكره وذكر أكثر من نسخة من هذا الشرح ٢٩٥/١ بيد أنه أخطأ في سنة وفاته فقال : «توفي في سنة ١١٢٩» .

٦ - وفي صفحة ١٢٩ ، ذكر الواصف شرح عبدالغني النابلسي ورد الورود وفيض البحر المورود على كتاب الصلوات المحمدية وتسمى الصلاة الفيضية أو الصلاة الكبرى لابن عربي فقال : «ذكر بروكلمان نسخة واحدة منها» .

وأقول : ذكرها عثمان يحيى (٤٧١/٢) وذكر عدة نسخ منها وشروحها الأخرى ، وأشار إلى اختلاف العناوين التي وردت عند بروكلمان على أنها رسائل مختلفة؛ لأنه أعتمد - وله كل العذر - على فهارس سقيمة.

والغريب أن بعض المفهرسين يظنون أن كتاب بروكلمان حوى كل تراجم العلماء ومصنفاتهم ، فإذا لم يذكر بروكلمان عنوانًا أو أخطأ في تسميته جزموا بفرادة المخطوطة وهذا خطأ محض . فإن ما لم يذكره بروكلمان أكثر بكثير مما ذكره ومع هذا فإنه لم يزل المصدر الأول عند أكثر المخطوطيين لغياب البديل الكامل ، ولم ينفع كتاب سزكين في سد الثغرة بعد لأنه وقف عند سنة ٤٣٠هـ . ولا يظنَّ ظانٌ أن سزكين بمستطيع إكمال كتابه إلى ما وصل إليه بروكلمان حتى ولو عمِّر ما عمِّر نوح ، وهو بعد أضن من أن يسمح لغيره بإكماله .

المخطوطات في المملكة الأردنية الهاشمية

إن أعداد المخطوطات في الأردن قليل جداً إذا ما قورنت بغيرها في البلدان المجاورة إذ بلغ عددها حسب وصف الواصف إسماعيل عميرة ٦١٩ فقط ؛ أكثرها (٥٠٠ مخطوطة) محفوظة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية وهي بعد لم تفهرس . أما مؤسسة آل البيت التي تسمى الآن المجمع الملكي للبحوث والحضارة الإسلامية فلا تملك إلا ٩ (تسع) مخطوطات ، وهي لم تفهرس بعد أيضًا مع أنها نشرت مجلدات من فهارس الفهارس التي احتلت مكانًا مرموقًا في هذا الكتاب . أما [مكتبة] الجامعة الأردنية العريقة ؛ فإن فيها ٧٥ مخطوطة : ٦٢ عربية وواحدة فارسية و ١٢ تركية فقط . وتحتفظ مديرية الوثائق والمكتبات بـ : ١٥ مخطوطة ، وجامعة اليرموك بمخطوطة واحدة إضافة إلى ٢٢ مخطوطة متفرقة محفوظة عند الأفراد . ولعل الطريف في مجموعة مركز الوثائق والمخطوطات أن أغلبها مكتوب بالخط المغربي ما

بين القرن ١١ و ١٢ للهجرة بيد أن الواصف لم يخبرنا عن مصدرها إذ لا مثيل لها في مثل هذا العدد في أية مجموعة خطية في المشرق العربي فهي مهمة جداً للمعنيين من المشارقة بالتراث الإسلامي المغربي .

ومن نوادر المخطوطات الأردنية :

١ - في المجمع الملكي : كتاب محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر لعلي دده (وليس داده) بن مصطفى البوسنوي المعروف بشيخ التربة المتوفى سنة ١٠٠٧هـ ، بتاريخ ١١٥٠هـ ، كتبه على نسق كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي .

٢ - في مركز الوثائق : كتاب بغية الطلاب في شرح منية الحِساب (الصواب : الحُسَّاب بالتشديد) لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي (المولود سنة ٨٤١هـ المتوفى في سنة ٩١٩هـ) وتاريخ نسخها في سنة ٨٥٢هـ . والظاهر أن تاريخ النسخ في هذه النسخة خطأ محض إلا إذا كان المكناسي باقعة الدهر فيؤلف هذا الشرح وعمره ١١ سنة . ومنها ست نسخ في الخزانة الحسنية بالرباط .

٣ - وفيه أيضاً : نسخة من كتاب الأنوار الساطعة (اللامعة) في شرح الجامعة لابن حمدون مؤرخة في سنة ١١٨٣هـ وهي في الحساب - كما يقول الواصف - .

وأقول : لقد ذكر بروكلمان أن الأنوار الساطعة إنما هي شرح على قصيدة : الفريدة الجامعة في نظم العقيدة النافعة لصالح بن صديق بن عبدالرحمن بن عطية النمازي الأنصاري الخزرجي المتوفى في سنة ٩٧٥هـ وأن العقيدة النافعة هي نظم العقيدة العضدية للإيجي ، فأين الحساب ؟ ومع هذا إن كان الأمر كما ذكرنا فهي نسخة نادرة دون أدنى شك . (بروكلمان ٢/٤٠٤ وملحقه ٢/٢٩٢) .

أو إن النسخة هي الأنوار الساطعة في أحكام الجمل الجامعة لمحي الدين عبدالقادر بن محمد الحنفي المعروف بابن المصري المتوفى سنة ٧٧٥هـ ، وهي أيضاً نسخة نادرة (بروكلمان ملحق ٣/١٢٥٣) .

أو لعل النسخة هي كتاب الكوكب الساطع والعقد المنظوم لأبي عبدالله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي المعروف بابن حمدون أو ابن حمّاد المتوفى سنة ٦٢٨هـ (E.I 2. 111,782) .

٤ - وفيه أيضاً نسخة (الأقسام ٢-٤) من كتاب المعيار لأبي العباس محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد، مؤرخة سنة ١١٣٢- ١١٣٣هـ ، وقال الواصف إنها في الفقه [المعاملات] .

وأقول : إن كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي المتوفى بفاس سنة ٩١٤هـ المشهور في الخافقين لا يحتاج عنوانه إلى توضيح أكثر .

٥ - وفيه أيضاً نسخة من كتاب شرح اللَمعة (والصواب : اللُمعة بضم اللام) في حل الكواكب السيارة السبعة لشمس الدين محمد بن أحمد الخضْري al-Khidri (وليس الخُضَري al-Khudarî) ابن مصطفى الدمياطي المتوفى سنة ١٢٨٨هـ (بروكلمان ٢/١٢٧ وملحقه ٢/١٥٨) (ورد لقبه في مخطوطة رامبور : الخفري) وهو خطأ في القراءة أو النسخ .

ولا أكاد أشك في أن هناك مجاميع أُخَر في الأردن غير هذه امتنع أصحابها عن الإفصاح عنها خوفاً من أمر أو آخر وبخاصة تجار الكتب والمخطوطات . ومع هذا فإن الواصف لم يدُخر وسعاً وجهداً في وصفها والتعريف بما هو معروف أو منشور من فهارسها .

المخطوطات في كينيا

قام بوصف المجموعة الخطية الإسلامية في كينيا كل من أحمد شيخ نبهاني ويحيى علي عمر وديفد كولتون سبيرلنج في مسح مشترك استهلوه بمقدمة تاريخية بينوا فيها أن الثقافة الأدبية الإسلامية وصلت متأخرة نسبياً إلى شرق أفريقيا . ولعل كتاب السلوة في أخبار كلوة (لمحي الدين [؟] المولود في سنة ٩٠٤هـ كتبه للسلطان العماني محمد بن الحسين) هو أقدم مصدر عربي له علاقة بشرق أفريقيا بينما قصيدة العيدروسي التي نظمها باللغة السواحلية تعود إلى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م) . وهناك دلائل تشير إلى أن عدد المخطوطات الإسلامية بدأ ينحدر باستمرار منذ بداية القرن العشرين فمثلاً إن كثيراً من المخطوطات العربية والسواحلية (التي نسخت أو صورت والتي أودعت في مكتبة جامعة دار السلام في سنة ١٩٦٠ لتكون جزءاً من مجموعات الجمعية السواحلية لشرق أفريقيا) قد اختفت الآن ولا يعرف لها

أثر. ولم يبق إلا المحفوظ في مكتبة جامعة دار السلام، وأشار الواصفون إلى فهرس لها هو:

J.W.T. Allen, The Swahili and Arabic manuscripts and tapes in the Library of the Univ. College, Dar es-Salam, Leiden 1970.

وأشار الواصفون إلى عامل آخر في تناقص المخطوطات الإسلامية في كينيا، وهو أن غالبية هذه المخطوطات تملكها عوائل تتكلم السواحلية أو معاهد وإن هؤلاء لا يعرفون قيمة ما يملكون ولا نوعية هذه المخطوطات التي لديهم وهذا الجهل بها يرجع إلى الانطباع أن المطبوع خير من المخطوط. وقد صدق الواصفون كل الصدق في وصف العلة، وهذا حديث آخر يثير الأشجان ويبعث في النفس حسرة دفينة ولوعة مشبوبة. وأنهى الواصفون مقدمتهم التاريخية بقولهم: إن هذه المخطوطات السواحلية مهمة لهذا القسم من العالم وهي بعد تمثل جانباً فريداً من التراث الإسلامي.

الغريب أن عدد المخطوطات لا يتجاوز ٢٣٠ مخطوطة بالعربية والسواحلية في كل كينيا عدا القسم الكيني الذي يتكلم الصومالية إذ لم يتسن للواصفين وصف ما فيه لسوء الأوضاع السياسية هناك. وينفرد مسجد الرياضة في مدينة لامو: بـ ٧٥ مخطوطة والمتحف فيها بـ: ٢٥ مخطوطة منها ١٥ نسخة من المصحف الشريف، والشريف علوي حسني جمال الليل فيها أيضاً بـ: ١١ مخطوطة. وفي ممباسا: ١١ مخطوطة عند عبدالرحمن الحاتمي. وفي نيروبي: ٢٣ مخطوطة في مكتبة إسماعيل رحمة الله العامة والبقية موزعة على بعض العلماء والمعاهد.

ولم تفهرس هذه المجموعات بعد.

أما نوادرها العربية فهي:

١ - كتاب مجمع البحرين للشيخ الأمين المزروعي قاضي القضاة في كينيا بخط المؤلف، في حيازة الشيخ عبدالله محمد شيخ في مدينة مالندي. والسؤال: هل الكتاب من تأليفه أم أنه انتسخه؟

٢ - كتاب مثلث قطرب وشرح لامية الأفعال لابن مالك، في حيازة عبدالرحمن الحاتمي في مدينة ممباسا.

٣ - تاريخ المزارعة وتاريخ ممباسا في حيازة الشريف عبدالرحمن علوي السقاف في ممباسا. (عن تاريخ المزارعة، انظر المقال التحليلي الذي كتبه إبراهيم الزين صغيرون في مجلة عالم الكتب ٦/٢: ١٩٠ - ٢١٨).

وفي المجموعة الكينية أعداد من نسخ القصيدة الوترية المشهورة ومن شروح محمد بن عبدالعزيز الوراق اللخمي القرطبي التي تسمى عندهم «تبارك».

المخطوطات في الكويت

قصة المخطوطات الإسلامية في الكويت قصة محزنة لكل معني بها، وهي بارزة الملامح متجهمة الأسارير دامية النبرات في تقرير السيدة الفاضلة إلهام المفتي، وهي بعد من أعجب العجائب في امتهان التراث وإذلاله واستباحة حرماته في الوقت الذي بذل السادة الأجلاء أموالاً طائلة في جمعه وصونه ورعايته. ولولا هذا الحب الدافق له والحرص العميق عليه لما عنوا به وتطلبوه ولعلهم سيتطلبونه في المزادات التي اقتنوه منها ولهم منا الشكر والعرفان. وفي التاريخ عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد؛ فقد عانى تراثنا المسكين نكبة إثر نكبة وامتهاناً إثر امتهان في سمرقند ونيسابور وبلخ وبغداد وغرناطة والجزائر ومصر وأندونيسيا والبوسنة والهرسك وأفغانستان وفي غيرها. ففي كل بلد من هذه البلدان قصص تدمي القلوب وتبعث في النفوس الحسرة والألم؛ وهو مع كل هذا لم يزل رغم كل النكبات يملأ الدنيا بهاءً ومتعة لمحبيه، لأنه إنساني الرسالة قبل أن يكون إسلامياً، فلا نامت أعين شانئيه.

فبالرغم من صغر الكويت في مساحته وسكانه فإن فيه ثروة رائعة من نفائس التراث الإسلامي جمعها أفراد دفعهم حبه إليه فحبَّسوه ووقفوه على من يود دراسته أو تحقيقه منهم الشيخ محمد الصالح آل إبراهيم الذي هيأ لمجموعته: ٦٦٢ مخطوطة؛ ٦٢٣ عربية و ١١ تركية و ٥ فارسية وغيرها مكاناً يليق بها وبه، ولم يمنعها عن الباحثين ولم يضن بها على المهتمين وهذا شأن العلماء العاملين. وذكرت الواصفة الفاضلة بعض نوادرها المهمة وهي:

١ - شرح السراجية في الفرائض لشمس الدين بن العلاء محمد النجار الكلاباذي الحنفي، بخط الشارح ومؤرخة في ٦٧٦هـ مع شروح واسعة في الحواشي.

وأقول: إن كتاب الفرائض السراجية هو لسراج الدين أبي طاهر محمد بن محمد بن عبدالرشيد

السجاوندي المتوفى في حدود سنة ٦٠٠هـ ، أما شرحها فهو ضوء السراج لمحمود بن أبي بكر الكلاباذي البخاري المتوفى سنة ٧٠٠هـ وقد أكمل شرحه فعلاً في سنة ٦٧٦هـ كما جاء في النسخة .

٢ – عنوان الشرف الوافي ... انظر : ما قلناه عنه في مخطوطات الهند في أعلاه .

وطارق رجب الذي أنشأ لمجموعته الخطية متحفاً عاماً لاهتمامه العميق بالخط العربي بصوره الفنية المختلفة، ولذلك كان اهتمامه منصباً على الروائع الخطية مثل المصاحف الشريفة التي منها – حسب ما أخبرت الواصفة – ورقة مصحف مكتوبة بالخط [الكوفي الحجازي] المائل الذي يعود إلى القرن الثاني للهجرة ؛ ونسخة من كتاب العدسات الحارقة لابن الكندي .

وأقول : إن موضوع العدسات (أو المرايا) الحارقة ألصق بالحسن بن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٣هـ منه بالكندي. ولابن الهيثم أكثر من رسالة في هذا الشأن طُبع بعضُها في حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ . (انظر : الموسوعة الإسلامية ٣/٩-٧٨٨) .

وخالد سعود الزيد ٣٠١ مخطوطة : ٢٦٣ عربية و ٩ فارسية و٢٧ تركية و ٢ (عربية – تركية) . وذكرت الواصفة الفاضلة أن المجموعة بكاملها سرقت أثناء الاحتلال العراقي للكويت . وهذه فاجعة كبرى حلَّت بالمخطوطين والباحثين قبل أن تكون فاجعة خالد بن سعود الزيد الذي دفعه حبه لهذا التراث فرعاه وحرص على صيانته ولم شعثه بيد أن هذه الرعاية صارت مغنماً لغيره .

إضافة إلى الأفراد فإن في الكويت أيضًا بعض المؤسسات التي رعاها أفراد مثل دار الآثار الإسلامية التي ألحقت بالمتحف الوطني إذ كان للاهتمام الجم الذي أولته حصة الصباح للتراث أنها جمعت نفائس الآثار الإسلامية بما في ذلك المخطوطات التي عُرضت في بلدان عديدة للتعريف بالحضارة الإسلامية . وقد كان آخرها المعرض الجميل لبعض مقتنيات المتحف الوطني التي عُرضت في المتحف البلدي في لاهاي – هولندا ما بين ١٣ يونيه و ١٧ أكتوبر من هذا العام ، ونشر المتحف دليلاً لبعض المعروضات اعتماداً على الدليل المنشور في نيويورك سنة ١٩٩٠ والذي سبق أن نشرته مجلة ANTIEK الهولندية في عددها الأول (يونيو سنة ١٩٩٣) وهو :

Kunstschatten uit Koeweit, 1000 jaar islamitische Kunst en mecenaat, Haags Gemeentrmuseum, overdruk uit Antiek, juni 1993 .

وتحتفظ جامعة الكويت بعدد جيد من مُختار المخطوطات : ١١٠٥ مخطوطة ، منها ١٠٧٨ مخطوطة عربية و ١٥ فارسية و ١٠ تركية و ٢ أردو . وذكرت الواصفة أن مفهرس المجموعة قال لها إن أنفس ما في المجموعة مخطوطة : التقريب في شرح الترغيب والترهيب لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المنذري المتوفى سنة ٨٦٢هـ ، وهي مؤرخة في سنة ٨٥١هـ ومنسوخة أثناء حياة المؤلف . وأضاف المفهرس : «وفي مقدمة المخطوطة قال الشارح إنه قرأ كتابه في علم الحديث على المؤلف» (١٦٧/٢) .

أقول : في هذا القول أمور غريبة . فإن المعروف أن كتاب الترغيب والترهيب هو لزكي الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ . وقد شرحه :

١ – حسن بن علي الفيومي المتوفى سنة ٨٧٠هـ ، بعنوان: فتح القريب المجيب بشرح الترغيب والترهيب وكان قد انتهى من تأليفه في ربيع الأول سنة ٨٥٩هـ ومنه نسختان في جامع القرويين بفاس ، واحدة منها بخط الشارح . (فهرس مخطوطات خزانة القرويين ٢١٦/١؛ ١٢١/٣) .

٢ – سالم المرتضى بن عبدالله بن غنيمة الواسطي الحويري (ربما الحويزي) السعدي بعنوان التقريب المنتزع من [فتح القريب] (بروكلمان ٣٦٧/١ وملحق ٦٢٧/١) . وأشار بروكلمان إلى نسخة منه في المتحف البريطاني برقم : ١٥٩٤ .

٣ – فإذا كان مؤلف الشرح قرأ الحديث على مؤلف الترغيب والترهيب فهذا يعني أنه من تلاميذ المنذري ، فإذا أسقطنا لقب المنذري منه فهو لابد أن يكون أبا عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي الأصل الدمشقي الشافعي أحد تلاميذ المنذري والذي يظهر اسمه في سماعات كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذري ، والذي لم يستطع محقق التكملة بشار عواد العثور على ترجمة له (١/٢٥ – ٢٧) .

٤ – واختصر محمد بن عمَّار المالكي المتوفى سنة ٨٤٤هـ كتاب الفيومي بعنوان التيسير والتقريب ومنه نسخة في باريس برقم : ٧٤٢ .

من كل هذا نفهم أن النسخة لم تكتب في حياة المنذري إلا إذا كان الموصلي مؤلف الشرح . فلعله أحد هذه الشروح المذكورة أو إنه شرح آخر .

ثم هناك المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الذي كان يحتفظ بـ : ١٦٠٠ مخطوطة لم يسلم منها إلا ٦٠٠ مخطوطة فقط بل إن ١٥٠ مخطوطة منها أصابها الماء فعفَّى عليها ، وهذا خسران مبين لا عوض له ولا إرجاع لفقده وعزاؤنا أن من سلبه قد يحافظ عليه أو يعيده إلى مستقره وإلا ضاع ما بين حانة ومانة .

ثم هناك مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابع لـ: جمعية إحياء التراث الإسلامي ، يحتفظ بـ : ٢٥٠ مخطوطة عربية .

ثم هناك مكتبة الموسوعة الفقهية التي تحتفظ بـ ٦٨٢ مخطوطة وصلت أغلبها إلى المكتبة بطريق الإهداء والتبرع من العلماء والصلحاء .

وبعد : فقد روت الواصفة الفاضلة قصة المخطوطات الإسلامية في الكويت ببراعة ويسر بيد أن هذه البراعة وهذا اليسر لم يخلوا من غصص العارفين بقيمة هذا التراث المنكود الذي ابتلي بأهله قبل غيرهم ؛ فأحسنت وأجادت في الوصف وفي سرد ما نشر من الفهارس ، وما لم ينشر فنقلتنا من صميم الهمِّ إلى غمرات الأسى فصح علينا قول الشاعر المتألم :

تَحِنُّ فَتُبدي ما بها من صَبَابَةٍ
وأُخْفِي الذي لولا الأَسى لقضاني

المخطوطات في ليتوانيا

ليتوانيا هي إحدى جمهوريات البلطيق التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي المندثر ، روى قصة المخطوطات الإسلامية فيها هادي شريفي الذي وصف مجاميع إيران وقبرص ومالطة . والعجيب أن قصتها التي رواها الواصف لا تكاد تختلف عن قصص المستعمرين الذين حاولوا طمس هوية ثقافات الأمم التي استعمروها . فقد رزحت ليتوانيا زمنًا طويلاً تحت الحكم الشيوعي البغيض فأُغلق المسجد الصغير الوحيد في العاصمة فلنيوس ونقلت مخطوطاته إلى المتحف . وبالرغم من قلة المجموعة التي أكثرها مصاحف وبالرغم من الصعوبات التي جابهها الواصف فإنه استطاع أن يصف لنا ما وجده هنا وهناك ، فعرفنا منه أن المسلمين هناك من أصول مختلفة ، وأنهم لم يهجروا الحرف العربي كماهجره الأتراك فكتبوا به شروحهم على القرآن الكريم وكتب أدعيتهم بلغتهم ، وبهذا يستحق الواصف منا كل ثناء.

المخطوطات في مدغشقر

وصف حامد أو حميد حجي الوضع المزري للمخطوطات الإسلامية في جزيرة مدغشقر حيث شاع استعمال الحرف العربي بين قبيلة انتيامورو في جنوب شرق الجزيرة . ولما بدأ الاستعمار الفرنسي للجزيرة بدأ الهاوون بما فيهم السياح الأوربيون والموظفون في الإدارة الاستعمارية والمنصرون بشراء أو نهب أو مصادرة المخطوطات بجمعها ونقلها إلى أوربا ، ولهذا فإن أكثر المخطوطات المدغشقرية المكتوبة بحروف عربية لا توجد في مدغشقر بل في فرنسا والنرويج وإنجلترا . وكل ما استطاع الواصف إحصاءه لا يبلغ أكثر من ٦٥ مخطوطة، بعضها مصورات من الأصول الموجودة في النرويج وهي موزعة ما بين الأكاديمية الملاغاسية في تانريف والجامعة التي اقتنت مجموعة أحد الموظفين الاستعماريين الفرنسيين في سنة ١٩٦٣م . ولعل أهم ما في وصف الواصف هو المقدمة التاريخية التي لا أكاد أشك في أن جفري روبر قد كتبها لشيوع الروح الاستشراقية فيها .

المخطوطات في مقدونيا

وصف فهارسها محمد زدرالوفج ، فذكر أن أكبر مجموعة خطية إسلامية محفوظة في مكتبة الجامعة الوطنية في سكوبيا وعددها : حوالي ٤٥٠٠ مخطوطة ، منها حوالي ٣٨٠٠ مخطوطة عربية و ٢٠٠ فارسية و ٥٠٠ تركية إضافة إلى ٨٠ مخطوطة عربية وتركية في معهد الآثار والمتاحف في أوهرد وحوالي ٥٠ مخطوطة عربية وفارسية وتركية في الأرشيف التاريخي و ٣٣٢ مخطوطة في مكتبة عيسى بك الملحقة بمدرسته في سكوبيا أيضًا . وذكر الواصف أن أغلب هذه المجموعات لم تفهرس بعد فهرسة شاملة بالرغم من أن بعض المهتمين ذكر بعض محتوياتها في بحوثهم .

المخطوطات في ملاوي

وصف أوغسطين مسسكا المجاميع الإسلامية في ملاوي وتتبع مقتنيها وأعاد الشكوى التي نعرف شنشنتها من أخزم قبله في امتناع بعض الناس ممن لديه مجموعة من المخطوطات عن التعاون معه أو حتى عن الإفصاح عن ملكيتهم لها . ومع هذا فقد استطاع الواصف أن يتجول في المدن والقرى الملاوية ويحصر المخطوطات الإسلامية التي بلغت أكثر من ١٤٧٥ مخطوطة موزعة بالدرجة الأولى بين العلماء المسلمين من أئمة المساجد أو طلاب العلم الذين درسوا في كينيا أو زنجبار أو المدينة المنورة . ولعل مجموعة مولانا آدم في مدينة زومبا التي تبلغ ٣٠٠ مخطوطة هي أكبر المجاميع في ملاوي وتليها مجموعة عبدالعزيز امباركو ١٦٥ مخطوطة في مدينة انخوتا كوتا ثم مجموعة الشيخ سليماوا يوسفو عليا ١٤٧ مخطوطة ثم مجموعة الشيخ فلجالا أحمدو الذي يدرس الآن في الجامعة الإسلامية ١٢١ مخطوطة . وتغلب كتب الفقه والحديث والتفسير والسيرة النبوية الشريفة والتوحيد والتاريخ على الموضوعات الأخرى ؛ بل إن الظاهرة البارزة في مخطوطات ملاوي هي غياب كتب التصوف والسحر والتعاويذ بكل صورها مما يدل على عدم اهتمام المسلمين في ملاوي بهذا النوع من الخرافات الدخيلة .

وغالب هذه المجاميع لم يفهرس بعد بل إن بعضها في حالة تنذر بتلاشيها السريع .

المخطوطات في مالي

وصف بابا يونس محمد المجموعات الإسلامية في مالي . والمعروف تاريخياً أنه كان لمالي علاقات سياسية وثقافية وروحية وثيقة بالمغرب فبرز منهم علماء أجلاء درسوا في المغرب ، منهم أحمد بابا التنبكتي (المتوفى سنة ١٠٣٦هـ) مصنف نيل الابتهاج في الذيل على الديباج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج الذي ذكر فيه جملة من هؤلاء العلماء ، وهما ذيلان على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩هـ . وهو في تراجم علماء المذهب المالكي .

المخطوطات الإسلامية في مالي - كما هي في ساحل العاج وملاوي وغيرها من الدول الأفريقية - يمتلكها ويحرص عليها العلماء من المسلمين وأئمة المساجد والمعاهد الدينية الإسلامية أو المدارس الملحقة بالمساجد إلا مركز أحمد بابا التنبكتي في تنبكتو فهي مكتبة عامة تمتلك الآن ٢١٧٤ مخطوطة عربية ، ويليها مجموعة الشيخ حبيب ابن لنتوني ٨٠٠ مخطوطة عربية في مدينة كواتيالا ، ثم مجموعة الشيخ سعد توري ٧٠٥ مخطوطات في مدينة سيجو ومجموعة الشيخ عبدالله ماهي (أو ماحي) ٤٤٦ مخطوطة عربية ثم مجموعة الشيخ محمد محمود البكي (أو البكاي) ٣٢٩ مخطوطة عربية في مدينة كايس والمجموعات الأخر موزعة بين الأفراد والمدارس . وفي هذه المجاميع نوادر كثيرة لمؤلفين محليين مثل :

١ - الدرر السلكية على القواعد الفرضية لعلي ولد يحيى الخزري ، في مجموعة عبدالقادر علي (المسجد الجامع) بمدينة سان .

٢ - الدرر المنظومة في تدمير الدنيا المقبَّحة ليوسف بن سعيد الفولاني ، في مجموعة الشيخ ألفا أحمد كونتي في مدينة نيورو .

٣ - الجرعة الصافية والنفحة الكافية لمختار الكونتي، في مجموعة الشيخ عبدالله ماهي أو (ماحي) في مدينة سيجو .

٤ - تذكرة الغافلين عن اختلاف المسلمين لعمر بن سعيد الفوتي ، في مجموعة الشيخ سعد توري في مدينة سيجو أيضاً .

٥ - تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأخبار الناس لمحمود بن المتوكل الكعتي الوكعري التنبكتي، في مركز أحمد بابا في تنبكتو . وقد نشره المستشرق الفرنسي هوداس بباريس سنة ١٩١٣م .

المخطوطات في المغرب

ليس هناك أحد من بين المشتغلين بالمخطوطات الإسلامية يستطيع الاستغناء عن ثروة المغرب النفيسة ؛ دارساً كان أو محققاً ، فقد كانت المغرب ، ولم تزل ، محط أفئدة المخطوطيين المشارقة إذا أعياهم العثور على فريدة من الفرائد أو خريدة من الخرائد فيما حولهم من المظان ودور الكتب . وقصة العثور على كتاب البرصان والعرجان والعميان للجاحظ في بلدة بزو المغربية واحدة من جملة من

القصص . وبالرغم من سطوة المستعمرين ونهب الناهبين (انظر : ما قاله محمد إبراهيم الكتاني في : المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي ، الدار البيضاء ١٩٩٠ ؛ صفحة ١٤) فما زال في المغرب والجزائر وموريتانيا تراث جم لم يزح عنه الستار بعد بالرغم مما تعرضت إليه المكتبات من نهب وسلب وإحراق وإجبار الناس على تسليم ما لديهم من المخطوطات للمستعمرين الفرنسيين أو الأسبان ، ومن ثم نقلها إلى الخارج لتستقر في الدور الوطنية (انظر ما قاله محمود بوعياد في الكتاب السابق ، صفحة ١٨٤) . ومع هذا فإن الوصول إلى المخطوطات في مكتبات المغرب ليس سهلاً ميسوراً إذ يحتاج الباحث إلى رخصة خاصة من وزير الشئون الثقافية تضيّع عليه وقتًا وجهداً إذا كان زائراً إلا أن بعض المسئولين في هذه المكتبات لا يضنون بالمساعدة في حدود الظروف المتاحة لهم مثل المكتبة الملكية الحسنية في الرباط ومكتبة القرويين في فاس ومكتبة محمد المنوني - حفظه الله ومدَّ في عمره - في الرباط . فإن محمد المنوني يذكرنا بالعلماء الأوائل الأفذاذ الذين تعلموا العلم فعملوا به وعلموه ونشروه . فهو بقية السلف الصالح أدباً وعلماً وفضلاً وتواضعاً وإفادة .

وصف الواصف المصطفى بن عبدالله بوشوك فهارس المكتبات في المغرب المنشورة وغير المنشورة إلا أنه أغفل فيما أغفل ما نشره محمد بن عبدالعزيز الدباغ عن المخطوطات العربية ونوادرها في جامع القرويين والتي ذكر بعضاً منها في بحثه خزانة القرويين ودورها الإيجابي في حفظ التراث المخطوط المنشور في كتاب المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي - وضعية المجموعات وآفاق البحث (الدار البيضاء ١٩٩٠ ، ٤٩ - ٧٦) فقد وصف فيه اثنتين وعشرين مخطوطة نادرة من مخطوطات القرويين . ولو قرأ الواصف بحث الدباغ - ولا أظنه فعل - لرأى أن الدباغ قد انتهى من بطاقات «ما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة وما زال يواصل العمل لإتمام ما بقي» وكان المفروض أن يدخل هذا في باب الفهارس غير المنشورة . بل إن الواصف تجاهل كل المقالات النفيسة التي وصف فيها مؤلفوها جملة من المكتبات والخزائن في المغرب في هذا الكتاب إضافة إلى ما نشرته عن مخطوطة مناقل الدرر ومنابت الزهر لابن رأس غنمة المحفوظة نسخها في الخزانة الحسنية (مجلة عالم الكتب ١/١٢ ، ١٩٩١ ، ٢٥ - ٢٩) . ومع هذا فقد أدرج الواصف ما توافر لديه من معلومات هائلة عن المكتبات وفهارسها ، فبدأ بمكتبة قصبة تنموغلت العامة في أغدز التي حوت ٥٣ مخطوطة عربية فذكر منها :

١ - تفسير الرؤية لابن سيرين ، والصواب أن عنوانه : تعبير الرؤيا وهو كتاب منحول قطعًا ، وقد طبع مراراً . ومثله منتخب الكلام في تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين المتوفى سنة ١١٠هـ وهو منهما براء . فلعله كتاب الإشارة إلى علم العبارة لمحمد بن أحمد السالمي المتوفى سنة ٨٠٠هـ كما جاء في كشف الظنون أو أنه أحد المنحولات الدخيلة التي تبرز في النكبات والطامات التي تحل بالأمة أمثال ملحمة دانيال .

٢ - مختصر فضائل القرآن للوادي آشي ، ولم يزد .

٣ - تقييد على حديث من كذَبَ (والصواب : كَذَبَ) عليَّ متعمداً [فليتبوأ مقعده من النار] للحسن بن محمد ، ولم يزد .

وذكر محتويات مكتبة مدينة بزو القريبة من مدينة دمنت ٧٠ مخطوطة عربية وذكر بعض نوادرها التي منها نسخة من كتاب المُجتمع في شرح المُقَنَّع لمحمد بن سعيد السوسي . والصواب : المُمتع في شرح المُقنع لمحمد بن سعيد السوسي المرغثي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ (فهرس الخزانة الحسنية ١٦٩/٣ و ١٩٨/٤ وبروكلمان ٤٦٣/٢ وملحقه ٧٠٧/٢ حيث سماه : المرغيثي) .

والغريب أنه أغفل ذكر مجموعة جامع بزو المحبسة التي وجد فيها كتاب الجاحظ الفريد : البرصان والعرجان والعميان والحولان ضمن مجموعة حوت أيضًا من كتب الجاحظ كتاب الوكلاء وكتاب الصوالجة .

ثم انتقل إلى وصف فهارس مكتبة القرويين العريقة بفاس فذكر أنها تحتوي على ٢٠٣٠ مخطوطة عربية ، وأضاف :

"There are collections of papers (with numerous gaps and omissions) which still need to be collected, arranged, sorted and catalogued" .

ماذا يفهم القارئ الخطوطي وغير المخطوطي من هذا النص الذي معناه : «وتوجد مجموعة من الأوراق (أو الجرائد) (بفجوات ومحذوفات كثيرة) لم تزل محتاجة لأن

تجمع وتنظم وتفرز وتفهرس» . فإن هذه اللغة ليست لغة عارف بالاصطلاحات التي تعارف عليها المخطوطيون . ولولا الدباغ لما أدركنا أن الواصف يريد : أن خزانة القرويين تحتفظ أيضًا بقطع كثيرة من المخطوطات وأوراق مفروطة وهي بلغة العارفين (loose folios and fragments) والتي سماها الدباغ بـ «الخروم» وقسمها إلى ما يعرف بالخروم الجديدة وبخروم القبة السعدية ، وقد استخرج الدباغ نحو ٧٠٠ قطعة ناقصة من هذه الخروم . وقال إنه استطاع التعرف على بعض هذه المخطوطات فذكرها بعناوينها وأسماء مؤلفيها . وذكر الواصف الفاضل ثلاثة من نوادر الخزانة القروية هي :

١ – الباب في علم الكتاب لابن عادل أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحسني الدمشقي ، في ثمانية أجزاء .

٢ – كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء للكلاعي أبي الربيع سليمان ابن موسى المتوفى سنة ٦٣٤هـ . بجزأين .

٣ – تأويل الأنوار في الفقه للقاضي البرهان عبيد الله بن محمد العبيدلي الشريف الفرغاني ، قاضي تبريز المتوفى سنة ٧٤٣هـ .

وأقول : إن الكتاب الأول هو اللباب في علوم الكتاب (وليس الباب) ، وهو كتاب في التفسير لعمر بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني ، وكان قد فرغ من تأليف هذا التفسير سنة ٨٧٩هـ ومنه نسخة في برنستون ، واثنتان في أيا صوفيا ، واثنتان في دار الكتب المصرية ، وقطعة منه في الأسكوريال ، ونسخ أخر ذكرها بروكلمان . أما الموجود في الخزانة القروية فهو خمسة أجزاء كما قال العابد الفاسي (٦٤/١) وليس ثمانية ، وهاك قول الفاسي : «وقد علمنا من وثيقة الحبس أنه في أسفار ٨ فينقصه الآن أجزاء ٣ : الأول والثاني ثم الثالث» . (انظر عنه : كحالة ٣٠٠/٧ وبروكلمان ١١٤/٢ وملحقه ١٤٠/٢) .

أما كتاب تأويل الأنوار فهو شرح طوالع الأنوار من مطالع الأنظار للبيضاوي المتوفى سنة ٧١٦هـ في علم الكلام كما قال العابد الفاسي – رحمه الله – (٣٤٤/٣) ومن هذا الشرح نسخة في مكتبة جامعة ليدن بخط الشارح مؤرخة في سنة ٧١٨هـ برقم : Or . ٢٥٨٦ ومنه نسخ عديدة ذكرها بروكلمان (٤١٨/١ وملحقه ٧٤٢/١) .

أما كتاب الاكتفاء المشهور للكلاعي فهو كتاب الاكتفا (بدون همزة هنا وفي الخلفا) وفي خزانة القرويين أكثر من جزأين ، إذ هناك نسخة بجزأين (رقم : ٢٨٠ من فهرس العابد الفاسي) وأخرى في أربعة أجزاء (رقم : ٢٨١) وأخرى بجزأين (رقم : ٢٨٢) وأخرى بجزء واحد (رقم : ٧٣٥) وأخرى بجزأين (رقم : ٧٧٥) وأخرى بجزء واحد (رقم : ٧٧٦) وأخرى بثلاثة أجزاء (رقم : ١٠٩٢) وأخرى بجزء واحد (رقم : ١٤٢٧) .

وهذه النماذج التي رؤي أنها من النوادر ليست من نوادر مكتبة القرويين إطلاقًا وإن كانت من النسخ الحسنة. وقد رأيت نسخة سير أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفزاري (المتوفى سنة ١٨٦هـ) المؤرخة في سنة ٢٧٠هـ والمكتوبة على الرق والورق ؛ تفضل الدباغ فسمح لي برؤيتها أثناء زيارتي للمكتبة في شهر شعبان من سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٨) فعجبت من خطها وقدمها وندرتها .

فمن نوادر المكتبة :

١ – محاذي الموطأ لأبي عبدالله محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، نسختان ١٨١ و ١٤٤٩ .

٢ – مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري (المتوفى سنة ٢٤٢هـ) ، ٨٧٤/٨٠ ، وقع الفراغ من نسخها سنة ٣٥٩ بمدينة قرطبة .

٣ – سيرة ابن إسحق المطلبي (المتوفى سنة ١٥١هـ) ، ١٠٧٧ والتي تحتوي على سماعات ؛ أقدمها سنة ٤٥٦هـ وآخرها سنة ٥٠٦هـ ، وقد نشرها محمد حميدالله في الرباط سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م مع النسخة الدمشقية .

٤ – نسخة من الإنجيل ترجع إلى القرن الخامس للهجرة ، برقم : ٧٣٠ .

٥ – البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (المتوفى سنة ٥٢٠هـ)، مؤرخة في سنة ٧٢٠هـ.

ثم هناك نسخ نفيسة من كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي ، والألفاظ في اللغة لابن السكيت ، ومختصر كتاب العين للزبيدي ، والمستعيني في الطب لابن بكلارش المتوفى سنة ٥٠٠هـ ، والأرجوزة الطبية لابن الطفيل .

أما فهارس عابد الفاسي التي تدل على علم واسع وتحرٍ دقيق وسعة في التدقيق ؛ فإنها لم تحظ بعد بفهارس تفتح المغلق من كنوزها بالرغم من محاولة ولد المؤلف في

إلحاق فهرس بأسماء المؤلفين بها إلا أن هذا الفهرس لا ينفع الباحث كثيراً لاضطرابه ونقصه المؤلم .

أما ما يتعلق بخزانة ابن يوسف في مراكش التي احتوت على ٧٣٢ مخطوطة عربية واثنتين بربرية ، فقد استوعب الواصف دقائق المعلومات عنها ونقلها للقارئ بوضوح وحسن أداء إلا أنه سرد ما ظنه من النوادر فيها ، وهي ليست كذلك أخذاً بالظن أن كل ما ازداد طلب القراء عليه فهو من النوادر ، وهذا مفهوم غريب . ثم إنه لم يذكر ما أعلنه محافظ المكتبة الصديق بلعربي في بحثه الذي ألقاه في مؤسسة الملك عبدالعزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م «فتم الآن وضع فهرس جديد بلغت جذاذاته نحو الألفين» ، فهو يدخل في باب ما لم ينشر من الفهارس .

ثم وصف لنا فهارس مكتبة الجامع الكبير بمكناس التي حوت ٦٠٧ مخطوطات عربية وقال إن بعضها قد أثر عليها أو فيها البرد (cold) [؟] وأردف ذلك بقوله : «إن قسماً مهماً من هذه المجموعة يتناول الملوك السعديين والعلويين وأن بعضها يحمل توقيعاتهم» ، وهذا قول مبهم في شقة الأول وصحيح في شقة الآخر ، إذ لم يذكر الصديق بلعربي أية معلومات عن تواريخ تتناول حكم السعديين أو العلويين ، وكل ما ذكره أن بعض الملوك السعديين والعلويين وجهوا العناية لهذه الخزانة ، حيث أوقفوا عليها عدة كتب وحبسوها لطلاب العلم . وذكر الواصف مخطوطتين من مخطوطات الخزانة المهمة ، وهما :

١ – جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر لمحمد بن إبراهيم بن خليل التتائي ، بقسمين .

٢ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ، بقسمين.

بيد أن الواصف الفاضل لم يعلل سبب أهمية هاتين المخطوطتين ؟ وكنا نود أن قد فعل . ومع هذا فإن النوادر في الخزانة غير ما ذكر ، مثل :

١ – البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسرى من يد العدو الكافر لأبي عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن عثمان المكناسي المتوفى سنة ١٢١٣هـ ، برقم : ٥٠٣.

٢ – الجمهرة في اللغة لابن دريد ، «عورض به نسخة مقروءة سمعتها من أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد سنة سبع عشرة وثلاثمائة» ، برقم : ٥ .

٣ – نفائس الأصول من شرح المحصول للرازي لأحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤هـ ومؤرخة في سنة ٦٨٥هـ ومثلها أيضاً تنقيح الفصول في الأصول للقرافي أيضاً ، وشرح على تنقيح القرافي لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الفاسي ومؤرخة في سنة ٧٤٣هـ .

٤ – الإجماع والاختلاف لأبي بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٣١٩هـ ، برقم : ٥١٠ .

٥ – كتاب النكت في شرح البخاري لتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، برقم : ١٥٤ .

أما خزانة المسجد الكبير في وزّان فقد وصف بعض محتوياتها الشيخ محمد المنوني (دعوة الحق ، ١٩٨٧، ٢٨ – ٣٢) وهي تحتوي على ١٢٤٨ مخطوطة بما فيها المطبوع على الحجر، وذكر الواصف بعض مخطوطاتها المهمة، وهي:

١ – أرجوزة في طريقة العمل بقوس ملة الإسلام لمحمد بن المفضل بن كيران الفاسي .

٢ – الكتيبة الكامنة [فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المئة الثامنة] (بتصغير لفظ الكتيبة كما جاء عند الواصف) للسان الدين ابن الخطيب .

٣ – ذخيرة المحتاج [في الصلاة على صاحب اللواء والتاج] للشيخ محمد المعطي بن الصالح الشرقي .

واستعرض الواصف الفاضل أيضاً فهارس الخزائن في الرباط فبدأ بمكتبة باب شالة التي حوت ١٠ مخطوطات كان كتاب فيض الفتاح على نور الأقحاح لعبدالله بن حاجي إبراهيم العلوي الشنقيطي ، من المخطوطات المهمة فيها .

وأقول : إن عنوان الكتاب الصحيح هو : فيض الفتاح على نُوْر الأقاح (Nawr al-Agah) وليس نُور الأقحاح كما ورد في وصف الواصف . ثم إنه شرح للمؤلف على قصيدته نور الأقاح في علم البيان (كحالة ١٧/٦ وبروكلمان ملحق ٨٧٣/٢) .

وذكر أيضاً مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية التي احتوت على ٥٠٨ مخطوطات ، منها ٥٠٠ عربية و ٤ بربرية وواحدة فارسية وواحدة سواحلية ، وأفادنا معلومات حسنة عن تاريخ جمع مخطوطاتها وفهارسها التي نظمتها المؤرخة المعروفة حليمة فرحات ، وذكر من مخطوطاتها المهمة :

١ – فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم في نظم نقاية العلوم لشهاب الدين أحمد بن أحمد السنباطي .

٢ - منتخب من غريب كلام العرب لمؤلف غير معروف ، ويعتقد أنه لكراع النمل الأندلسي .

٣ - الهداية المقبولة في حلال الطب المشمولة لأبي العباس أحمد بن صالح الدرعي .

وأقول : إن عنوان الكتاب الثالث الصحيح هو : الدرر المحمولة على الهدية المقبولة في حُلَل الطب مشمولة كما جاء عند بروكلمان (ملحق ٧١٣/٢ بتغيير مشمولة إلى معمولة) وفي فهرس الخزانة الحسنية (١٠٠/٢ - ١٠٢ و ١٨٠/٤) وهي شرح على منظومته في الطب الهدية المقبولة في حُلَل الطب مشمولة . وأوردها الصواف أيضًا في وصف مخطوطات مكتبة الإمام علي بمدينة ترودنت بصورتها الخاطئة (hilal) (٣٣٦/٢) .

ثم وصف لنا محتويات الخزانة الحسنية ووصف فهارسها وصفًا شافيًا كافيًا (إلا أنه أخطأ في قوله عن الجزء الرابع إنه في وصف مخطوطات الأدب .. والصواب: آداب البحث) وقال إنها تحتوي على ٦ آلاف مخطوطة عربية تكون كلها ٢٠ ألف مجلد . وهو عدد من المخطوطات لا يوازيه في المغرب إلا ما في الخزانة العامة بالرباط التي حوت ١١٠٨٧ مخطوطة ، منها : ١١٠٦١ مخطوطة عربية و ٢٠ بربرية و ٦ فارسية . وقال في معرض وصفه للمخطوطات المزوقة النفيسة كالمصاحف وغيرها إن هناك نسخة من كتاب كليلة ودمنة منسوخة بخط شرقي [والصواب : مشرقي] في أثناء حكم أبي جعفر المنصور . وقد سبق أن علقنا على هذا القول في أعلاه . ونأمل صدقًا أن يكون الأمر كما صرح به الواصف .

ثم ذكر الواصف بعض نوادرها ، وهي :

١ - نسخة من المصحف الشريف نسخت سنة ٩٨٤هـ بخط مغربي حسن ، نسخها مبارك بن عبدالكريم ابن داود .

٢ - كتاب الشهاب من حديث رسول الله ﷺ في الحُكم والمواعظ والوصايا والأدب للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ ، برقم : ١٨١٠ .

٣ - كتاب التيسير في المداواة والتدبير لأبي العلاء زُهْر بن عبدالملك بن زُهْر الإشبيلي المتوفى سنة ٥٢٥هـ ، ويعتقد أنه يعود في تاريخه إلى عهد السعديين ، برقم: ١٥٣٨/٢ .

أقول : لا ندري ما المقياس الذي اتبعه الواصف في هذا الاختيار ؟ والخزانة الحسنية تعج بالفرائد والنوادر . فإن الكتاب أولاً ليس لأبي العلاء زهر بن عبدالملك ، وإنما لولده أبي مروان عبدالملك المتوفى سنة ٥٥٧هـ (بروكلمان ٤٦٧/١ وملحقه ٨٩٠/١) ، ومن ثم فإنَّ الخطابي لم يقل إنها نسخة لا ثانية لها ، أو إنها تحفة فنية مثلاً ، ثم إن رقم الحفظ كما ذكره الخطابي هو ١٥٣٨ (مجموع) وليس كما ذكر الواصف ، وأشار إلى الصفحات في مجلدين يحويان مؤلفات آل زهر (فهارس الخزانة الحسنية ٨٨/٢) . أما اسم المؤلف فهو Zuhr وهذا ما ورد واضحًا جليًا في الصورتين اللتين نشرهما العربي الخطابي في أول صفحات فهرسه (الصفحات ١٦ و ١٨) وليس Zahr كما جاء عند الواصف .

أما عنوان كتاب القضاعي الصحيح فهو : شهاب الأخبار في الحكَم [وليس الحُكْم hukm] والأمثال والأدب من الأحاديث المروية عن الرسول المختار .

ثم ينقلنا الواصف إلى الخزانة العامة التي تحتفظ بأهم مجموعة خطية وأوسعها في المغرب العربي ؛ ١١٠٨٧ مخطوطة حسب وصفه بيد أن محمد إبراهيم الكتاني أعلن أمام مؤتمر دولي في الدار البيضاء أن عدد المخطوطات في الخزانة العامة وصل فيها في سنة ١٩٧١م«ناهز ثلاثين ألف مخطوط» ونُشر هذا الإعلان في وقائع المؤتمر (الدار البيضاء ١٩٩١م ، صفحة ١٧) الذي تجاهله الواصف تمامًا ؛ بل إن هناك اضطرابًا بين ما أعلن عنه محمد إبراهيم الكتاني وبين ما ذكره الواصف في الفهارس المنشورة وغير المنشورة . فقد أشار الكتاني إلى الجزء الأول من القسم الثالث المنشور سنة ١٩٧٣ الذي وضعه مع صالح التادلي ، لم يرد في الفهارس المنشورة . وأشار الكتاني إلى الجزء الثاني من القسم الثالث الذي وضعه مع صالح التادلي أيضًا «منذ سنوات» إلا أنه لم يرد مع الفهارس غير المنشورة عند الواصف . ثم ذكر لنا الواصف الفاضل بعض المخطوطات المهمة فيها :

١ - ثلاثة أقسام من المصحف شريف مكتوب بالخط الكوفي على رَقّ الغزال .

٢ - كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع لإبراهيم بن أحمد بن قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي كاتب سيرة السلطان زيدان بن المنصور السعدي . وقد أنهى سيرته في سنة ١٠٤٨هـ . وهذه أول نسخة معمولة من الكتاب الذي كتبه ووقعه المؤلف .

أقول : إن هذا القول لا يقوله إلا من ليس له إلمام بتاريخ المغرب إطلاقًا أو إن الأمر اختلط عليه ، وذلك :

أ - أن كتاب العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع هو لإبراهيم بن أحمد [نافع ؟] غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي المعروف بالربَّاس من نولش من إقليم غرناطة ، كما ورد اسمه في أول المخطوطة . وقد سمعت أن حسين مؤنس يقوم بتحقيقه فلعله نشره .

ب - إن أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي قد ترجم هذا الكتاب من اللغة الأسبانية إلى العربية وهو مؤلف كتاب رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب المفقود ، الذي اختصره في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين الذي حققه محمد رزق ونشرته كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م على نسخة بخط المؤلف محفوظة بدار الكتب المصرية انتهى من نسخها بتونس سنة ١٠٥١هـ ، وكان عمره أربعًا وسبعين سنة . ومنها قطعة مضطربة بباريس . وسبق للمستشرقة الإيطالية سرنللي أن نشرت فصولاً منها وترجمتها إلى الإيطالية ، وأقوم الآن بتحقيقها وترجمتها إلى الإنجليزية بالاشتراك مع المستشرقين الهولنديين بيتر شورد فان كوننكزفيلد وخيرارد فيخرس لوجود بعض الهنات في طبعة محمد رزوق الذي له الفضل الأول في نشرها .

ج - إن الحجري لم يكن مؤرخًا في بلاط السلطان زيدان ، ولم يكتب سيرته ، وإنما كان ترجمانًا في بلاطه فحسب إذ ترجم للسلطان زيدان السعدي الزيج الزكوطي لإبراهيم السلمنكي من اللاتينية بمساعدة أسير راهب ومنه نسختان في الدار الحسنية . ثم إنه انتهى من ترجمة كتاب العز والمنافع بتونس في حلق الوادي منها في ١٣ ربيع الأول عام ١٠٤٨هـ كما ورد في آخر المخطوطة . وهو لذلك لم يكن مؤلف الكتاب حتى يوقعه بخطه . فقد تكون النسخة بخط الحجري ، ولكنها ليست فريدة فإن منها نسخة في الخزانة الحسنية وأخرى في فينا وأخرى في الجزائر . (انظر : بروكلمان ٢/٤٦٦ ، ذكره بعنوان : العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع).

٣ - كتاب البرصان والعرجان والعميان [والحولان] للجاحظ.

وأقول : إن نسخة الخزانة العامة نسخة مصورة يا سيدي برقم : ٨٧ والأصل المخطوط في مسجد مدينة بزو ، فهي لذلك ليست من محتويات المكتبة إلا إذا نقلت هذه النسخة بعد ذلك إلى المكتبة العامة ، ولا أظن أن ذلك حدث. والحق هي من أندر النوادر بالرغم من نشرها مرتين بتحقيق محمد مرسي الخولي سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م بدار الاعتصام بالقاهرة ، وبتحقيق محمد عبدالسلام هارون سنة ١٩٨٢م ببغداد .

ثم نقلنا الواصف الفاضل إلى الجانب الآخر من أبي رقراق - النهر الجميل الذي يفصل الرباط عن سلا - حيث تقع الخزانة الصبيحية التي عرفنا من العلامة الفاضل محمد الحجي تاريخها ونوادر مخطوطاتها في بحثه الذي ألقاه في الدار البيضاء . وهو الذي وصف ١٣٣٧ مخطوطة من محتوياتها في الجزء الأول من فهارسها الذي نشر في الكويت سنة ١٩٨٥ .

ويذكر الواصف أنها تحتوي على أربعة آلاف مخطوطة إضافة إلى ٢٥ ألف وثيقة أدبية وتاريخية لم تسمع بها من غيره . بيد أنه أشار إشارة مبهمة إلى قطعة من مخطوطة قال عنها إنها كتبت في القرن الثاني للهجرة، من إشارة المؤلف إلى شيخه إلا أنه لم يذكر لنا شيئاً يزيل هذا الإبهام الشديد ، وكنا نود أن قد فعل فهي والحال هذه لابدَّ وأن تكون تحفة تاريخية . وأضاف إن أقدم المخطوطات الكاملة في المكتبة تعود في تاريخها إلى ذلك القرن نفسه ، إلا أنه هنا أيضًا لم يخبرنا عنها ، وكنا نتوقع أنه سوف يذكرها مع النوادر بيد أنه لم يوردهما ضمن النوادر ؛ بل ذكر :

١ - كتاب صحيح البخاري بأربعة أجزاء .

٢ - كتاب الإتحاف الوجيز (تاريخ شاطئ النهر the history of the two river banks) لمحمد بن علي الدكالي .

٣ - كناشة القاطني أحمد بنَّاني والسيد بوشنتوف والسيد أحمد الصبيحي .

وأقول : إن كتاب صحيح البخاري يعد بحق من النفائس دون شك فهو بخط أندلسي جميل وعشاري

التجزئة . أما الكتاب الثاني فإن عنوانه الصحيح هو : الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين لمولاي عبدالعزيز لمحمد بن محمد بن علي الدكالي السلوي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) ، وهو في أخبار الرباط وسلا اللتين تسميان بالعدوتين ، وليس في تاريخ الشاطئين إلا إذا كان هذا الخطأ يعود إلى سوء في الترجمة . وقد ذكره ابن سودة (دليل مؤرخ المغرب الأقصى ٢٧ – ٢٨) وقال : «يتضمن الخبر عن مدينة سلا بعدوتيها» وأشار إلى نسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط ، بينما صرح محمد حجي في بحثه السابق بقوله : «بالعدوتين سلا والرباط» (ص ١١٤) وأتحفنا بعناوين عشرين مخطوطة من نوادر الخزانة الصبيحية ونفائسها ، والتي منها : كتاب الفتيا في الفقه على مذهب مالك لمحمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي المتوفى سنة ٣٣٦هـ وكتاب زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي وهي نسخة ملوكية مذهبة مجدولة مشكولة جزئياً إلا أنها ناقصة وكتاب غاية الأمنية وارتقاء الرتبة العلية في ذكر الأنساب الصقلية ذات الأنوار السنية لعبدالواحد بن محمد بن أحمد الفاسي الفهري المتوفى سنة ١٢١٣هـ . وذكر ابن سودة نسخة أخرى منها بخط المؤلف بالخزانة الفاسية (١/١١٥) .

أما مكتبة الزاوية الحمزية التي كانت تسمى الزاوية العياشية في سيدي حمزة فتحتوي على ١٢٠٢ مخطوطة عربية . ذكر الواصف من نوادرها :

١ – منظومة في منافع ومضار المواد الغذائية لصالح بن المعطي .

٢ – النوازل والأحكام للشريف العِلْمي ('Ilmî) .

٣ – شرح صغرى عقيدة السنوسي للإمام السنوسي .

أقول : إن العنوان الأول ينضح بالتكلف والحداثة ، وأظنه من وضع مفهرس معاصر . أما الثاني : فهو عند العابد الفاسي (٢/٣٦٩) النوازل الفقهية لعلي بن عيسى بن علي الحسيني ، الشريف العَلَمي وهو أيضًا كذلك عند بروكلمان ('Alamî ملحق ٢/٩٦٠) وسماه: نوازل العلمي. أما الثالث : فإن المعروف أنه شرح العقيدة الصغرى ، وليس كما أورده الواصف الفاضل وهي التي تسمى : أم البراهين لأبي عبدالله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥هـ وهذه كلها ليست من نوادر الزاوية العياشية .

وفي تمكروت بإقليم ورزازات تقع دار الكتب الناصرية التي تحتفظ بـ ٤١٨٤ مخطوطة عربية ، وأشار الواصف إشارة خاصة إلى كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧هـ وقال : «ومما يبدو محتملاً أن هذه النسخة هي أقدم مخطوطة في هذه المكتبة القديمة تعود بتاريخها إلى بداية القرن الخامس للهجرة . إنها نسخة تامة وفي مجلد واحد ومكتوبة بخط شرقي (الصواب : مشرقي) .

أقول : هذا قول حسن جميل فإن أقدم نسختين منه في المشرق مكتوبتين بخط أندلسي رائع في حلاوته ونضارته وجمال تركيبه وسمو بيانه ، وأقدم نسخة منه مكتوبة بخط مشرقي موجودة في مكتبة الزاوية الناصرية في المغرب العزيز ، وهذا دليل ساطع ناطق على وحدة هذه الأمة وإن تباينت أصقاعها . أما الأولى فهي في الخزانة التيمورية ومؤرخة في سنة ٤٩٠هـ والثانية في المكتبة الأحمدية في حلب ومؤرخة في سنة ٥٤٥هـ وعليها خطوط الشقندي والربعي والطبنجي، وهذه كلها من الأندلس والمغرب . وقد نشر الكتاب مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بتحقيق ياسين محمد السواس الذي قال عن خط النسخة التيمورية «بخط مغربي دقيق تصعب قراءته» ، فلو كان للسيد السواس ذوق فني مرهف ودربة على قراءة الخطوط بأنماطها لما نطق بما نم على جهله بالخطوط . وهو لم يفهم أن قطعة منها سقطت وأكملت بخط مشرقي مغاير كما يظهر من الصور التي نشرها مع الكتاب .

وذكر الواصف الفاضل أيضًا كتاب لطائف الإشارات في علم القراءات لأحمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣هـ ، وكتاب المنتخب في الأحكام القضائية لمحمد بن عبدالله بن أبي زمنين القرطبي المتوفى سنة ٣٩٩هـ.

أقول : إن الكتاب الأول له عنوان آخر هو : لطائف الإشارات لفنون القراءات وعنوان الكتاب الثاني هو منتخب الأحكام ، وليس كما ذكر الواصف فإن لفظة «القضائية» تفوح بـ «الحداثة والعصرنة» والتعمُّل وهي من صنع المفهرسين .

ثم يأخذنا الواصف إلى طنجة ونعلم منه أن مكتبة الجامع الكبير فيها تحتوي على ١٠٠ مخطوطة بالتمام والكمال منها البحر الجديد في تفسير القرآن المجيد لأحمد ابن عجيبة وزجر الواقعة لأبي العباس السبتي وشرح مقدمة الأجرومية لابن عجيبة أيضًا . ولا ينسى الواصف

في طنجة مكتبة عبدالله كنون التي تحتوي على ٧٩٠ مخطوطة عربية أهمها :

١ – شرح الوثائق القشتالية للونشريسي .

٢ – الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي .

٣ – المفردات في الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية لأحمد بن محمد بن الحاج .

٤ – كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا اليوناني .

أقول : إن عنوان الكتاب الثالث الصحيح هو : الدرر الطبية المهداة للحضرة الحسنية كما في نسخة الخزانة الحسنية (٩٨/٢) . أما الكتاب الرابع فهو لقسطا بن لوقا البعلبكي كما جاء عند النديم وغيره ومنه نسخة في الخزانة الحسنية أيضاً (٣٩٥/٣) .

وفي ترودنت ذكر الواصف مكتبة الإمام علي التي حوت ١٩٠ مخطوطة عربية ومكتبة المعهد الإسلامي التي حوت ١٨٣ مخطوطة عربية، وأورد بعض النوادر فيها مثل: فتح الباري لأحمد بن حزم السقيلاني al-Siqilânî وكتاب كفاية المتحفظ لابن الأجدعي الحافظ أبي إسحق الطرابلسي وأوائل كتب الحديث لعلي عبدالله بن سالم محمد البصري المكي وفهرسه (كذا) لمحمد بن محمد الأمير .

أقول للأخ الفاضل : إذا كنا لا نعرف السقيلاني فإننا نعرف أن كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية هو للأجدابي وليس لابن الأجدعي . أما كتاب أوائل الحديث فهو الإمداد بمعرفة علو الإسناد لعبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري المكي المتوفى سنة ١١٣٤هـ . ويسمى أيضاً : الإفراد في معرفة علو الإسناد . والظاهر أن المفهرس أو الناسخ صنع العنوان مما يظهر في أول الثبت : «أما بعد فهذه أحاديث من أوائل الكتب الستة وغيرها» . وقد يسمى بـ : ثبت البصري أيضاً . أما ثبت الأمير أو فهرسة الأمير فهو مشهور مذكور (انظر مثلاً : فهرس الأزهرية ٣٣٠/١) .

أما مكتبة الجامع الكبير بتازه فقد ذكر الواصف أنها تحتوي على ٧٠٣ مخطوطات ، وأن أقدم مخطوطة فيها مؤرخة في سنة ٧٣٠هـ إلا أنه لم يذكر لنا عنوانها وإنما ذكر من مخطوطاتها المهمة :

١ – شرح خطبة الكتاب المختصر لخليل بن إسحق بن أبي البركات يحيى بن أبي البركات .

٢ – العقد المنظم للأحكام لابن سلمون الكتاني .

٣ – حاشية على شرح كتاب فقهي لمجهول .

أقول : إن العنوان الصحيح للكتاب الأول المشروح هو: كتاب المختصر في فروع الفقه المالكي لخليل بن إسحق بن موسى الجندي المالكي المتوفى سنة ٧٦٧هـ أو ٧٧٦هـ على اختلاف الروايات أما شرح كتاب المختصر فهو لناصر الدين محمد بن حسن اللقاني المتوفى سنة ٩٥٨هـ .

أما الكتاب الثاني فهو : العقد المنظم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من الوثائق والأحكام لأبي القاسم بن سلمون بن علي الكناني (al-Kinânî وليس الكتاني al-Kattânî) البياسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٦٧هـ ومنه نسخ عديدة .

ويصل المطاف بنا مع الواصف الفاضل إلى مدينة تطوان فيذكر فيها المكتبة الدعودية التي أنشأها الفقيه الشيخ محمد دعود وذكر أنها تحتوي على ٢٠٩ مخطوطات، ومكتبة المسجد الكبير التي تحتوي على ٨٠ مخطوطة ومكتبة المعهد الديني العلمي، وفيها ١٠٠ مخطوطة ومكتبة مولاي حسن للبحث، وفيها ٤١ مخطوطة ومكتبة الخزانة العامة والمخطوطات، وفيها ١٨٨٠ مخطوطة إلا أن هذا العدد ارتفع إلى ٢٤١١ في قائمة المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان التي ذكرها ضمن ما لم ينشر من فهارسها (٣٤٢/٢) .

الغريب جداً أن الواصف الفاضل لم يستفد كثيراً من المنشورات الكثيرة التي وصفت الكثير من النوادر في المكتبات المغربية ، وبخاصة بحوث المنوني ومحمد الحجي وأحمد التوفيق ومحمد بن عبدالعزيز الدباغ وغيرهم وبالأخص كتاب أحمد شوقي بنبين : Histoir des Bibliotheques au Maroc .

الواضح أن الواصف لم يضن بالجهد في وصف الفهارس المنشورة وغير المنشورة في المغرب إلا أنه واضح أيضاً أنه لم يحسن اختيار النوادر من المجاميع ؛ لأنه اختار جملة منها على أساس عشوائي ، ولم يعلل هذا الاختيار ، ويصح هذا على المخطوطات التي لا يعرف لها مؤلف أو إن عناوينها مشوك فيها . ومع كل هذا فإنه أحسن كل الإحسان في تعريف القارئ المهتم على مظان المجموعات المعروفة والمجهولة . ولابدّ أن هناك ثروة هائلة لم تكتشف في المغرب بعد .

[وللبحث صلة]

معجز أحمد الحقيقي

محمد بن عبدالله العزام

(١) تمهيد

كنت نشرت في عالم الكتب ١٤/٢٤٢-٢٦٢ (١٤١٣=١٩٩٣) مقالة بعنوان (ليس للمعرّي) عن الكتاب الذي نشر منسوبا إلى أبي العلاء المعرّي باسم (معجز أحمد) وقدّمت براهين كافية على أنه كتاب مزوّر ، وتعرّضت خلال ذلك للكتاب الذي يقال إن أبا العلاء ألفه باسم معجز أحمد وجئت بالنصوص والوقائع التي تتصل به وما يَرِدُ عليها على قدر ما وصل إليه العلم والإنصاف والاجتهاد ، وانتهيت إلى أن حاصلها أحد أمرين : فإما أنه كان كتابا موجزا غير اللامع ، وإما أنه هو اللامع نفسه ويكون للكتاب اسمان أو أكثر مثل كثير من كتب أبي العلاء . ولم يكن من غرضي إثبات أحد الإحتمالين لأن ثبوت أيّهما كان يفي بالمطلوب وهو أن المنشور مزوّر ، ولكني مِلتُ في النهاية إلى أن اللامع هو المعجز .

وكنت أنتظر تعقيبا من محقق الكتاب الدكتور عبدالمجيد دياب يضع الأمر في نصابه ، فسرّني أن بادر الأخ الكريم الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع بمقالة أقفل فيها باب النقاش في أمر الكتاب بتأييده أنه كتاب مزوّر بكل قناعة وبلا أدنى تردد كما قال زاده الله توفيقا ، واستفدت منه بعض فوائد (ومنها وجود مخطوطة اللامع وذكر المعجز لدى الصفدي وإسماعيل البغدادي) ولكنه فتح بابا لم يكن في الحسبان بانتصاره للرأي الآخر وهو أنهما كتابان ، وساق النص الآتي من مقدمة اللامع العزيزي ظانّاً أنه يدلّ على أن اللامع كان مسبوقا بكتاب آخر ، ولم يُشر في أثناء مقالته إلى ما يحيط بالمعجز من وجوه اللبس والإبهام فالأمر عنده واضح كل الوضوح . وفسّر كلامي بأنه إصرار على محاربة المعجز الحقيقي وإنكار وجوده .

وقد حفزني قوله إلى معاودة البحث واستقصاء الموضوع ، فاجتمع لي جملة أشياء ، وما زالت تتزايد حتى رأيت أنه لابد من إطلاعه وإطلاع القراء الكرام عليها . وكنت أردت أن تكون تعقيبا ولكن ظهر أن ذلك يستلزم نقل نصوص كثيرة على طريقة قال وقلت ، وأيضا عرض الحقائق التي استجدت على شكل استدراكات . فرأيت تبسيطا للأمر كتابة مقال جديد يقتصر على المعجز الحقيقي ويتضمن ماورد عنه في المقال الأول مع التوسّع في بعضه أو التغيير حسب الحاجة ، وجعلت بعض ذلك بمثابة الإجابة عن بعض اعتراضات الدكتور عبدالعزيز المانع .

وما بيدي أنني انتهيت إلى نتائج قد لا تتفق مع ما رآه ، ولست - علم الله - حريصا على خلاف أحد ، ولكن الذي يجمل بالبحث أن يطلب الحق ويجتهد قدر الطاقة ولو خالف رأيه رأيَ إخوانه ، مع الحرص على حفظ منزلتهم وفضلهم وإحسان الظنّ باجتهادهم . وإني لأحمد للأخ الكريم إخلاصه وصراحته وسالف يده على هذا التراث العزيز ، ولعلي فهمت من كلامه أنه معنيّ بتحقيق اللامع فأرجو أن ينهد لذلك وهو أهل له .

ولا يفوتني أن أذكر بالخير طيّب الذكر الأستاذ الأديب عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي رحمه الله ، أحد مؤسّسي هذه المجلة ، الذي توفّاه الله قبل بضعة أشهر . وكنت عرفته في سنواته الأخيرة وشاركت في بعض اللجان التي كان من أبرز أعضائها فعرفت فيه الفضل والخُلُق والعلم والحرص على نشر الثقافة وإشاعة المعرفة ، وبعد وفاته سمعت الثناء عليه ممن عمل تحت رئاسته في السنين الخوالي . وحدثني أخي الدكتور يحيى ساعاتي أنه كان في أيامه الأخيره حريصا على متابعة الحوار حول معجز أحمد وكان على أهبة المشاركة فيه ، ولكن قدر الله لا مردّ له ، ولا نملك وقد انقطعت الأسباب إلا الدعاء له بالرحمة والرضوان .

(٢) مدخل

كان أبو العلاء شديد الإعجاب بشعر أبي الطيب المتنبي فشرح ديوانه بكتاب سمّاه (اللامع العزيزي)، ويظهر أنه ألّفه في شيخوخته بدليل أنه أهداه إلى الأمير عزيز الدولة ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي تولّى إمارة حلب سنة ٤٣٣ وكان أبو العلاء في السبعين. وقد تواترت المصادر على ذكره وبقيت منه نصوص وافرة في شروح ديوان المتنبي وكتب النقد والأدب، ثم أفادنا الدكتور عبدالعزيز أن مخطوطة الحميدية التي ذكرها بروكلمان وسزكين مع غيرها من مخطوطات المعجز المزوّر هي مخطوطة اللامع، فهذا الشرح لا شكّ فيه بأي وجه من الوجوه.

ولكن يتردد في بعض الكتب القديمة والحديثة، ذكر كتاب عنوانه (معجز أحمد) لأبي العلاء المعرّي وموضوعه شعر أبي الطيب أيضا. وقد فهم أكثر الناس أنهما كتاب ذو اسمين، وفهم آخرون أن أبا العلاء شرح الديوان مرتين: مرة باللامع ومرة بالمعجز، واستغلّ بعض الماكرين من النسّاخ ذلك فوضعوا اسم المعجز على شرح مجهول وانتشرت نُسَخه في الآفاق ثم نشره الدكتور عبدالمجيد دياب منسوبا إليه، ورأيت كما رأى غيري أنه كتاب مزوّر على ما ترى في المقال الأول.

ومن المقرّر أن كثيرا من القدماء لا يلتزمون بالدقة الحرفية في أسماء الكتب فتتعدّد الأسماء والكتاب واحد، ويسمّون الكتاب بغير اسمه لأدنى مناسبة. والأمثلة على ذلك لاتحصى ومنها جبهة الأدب للحاتمي الذي يأتي الإلماع إليه، والفتح الوهبي لابن جني الذي يقال له معاني شعر المتنبي والفسر الصغير وغير ذلك من الأسماء. وألصق منهما بالموضوع أن عبدالقادر البغدادي، وهو المحقق المدقق، يسمّي عبث الوليد في الخزانة ٦/ ٣٧١ (شرح ديوان البحتري) وأخشى أن يأتي من يزعم أن البغدادي وقف على شرح آخر غير عبث الوليد!

لا شكّ أنه يجوز عقلا أن يشرح أبو العلاء ديوان المتنبي مرتين، ولكن لا شكّ أيضا أن الإنسان في العادة لا يفعل ذلك إلا لسبب يدعوه إليه، ولا بدّ من تفسيره وإيضاح ما بين الشرحين من فروق في المقدار والتاريخ والمضمون والمنهج وهل كان أحدهما تكملة للآخر أو شرحا له أو اختصارا له أو إصلاحا لخلله. وقبل ذلك: يجب البحث في مبلغ الثقة بوجود الشرح الآخر وأنه ليس مجرد عنوان ثان للكتاب الأول، لئلا نرقم على ماء أو ننفخ في رماد.

وقد عرضت في هذه الكلمة للأدلة كما وجدتها، وبذلت الوسع في تحقيقها ومناقشة أمرها ولم أخلط بين الرأي والحقائق، **وانتهيت كما يرى القارئ الكريم إلى أن المعجز لايثبت**، وربما يكون بعض القدماء أطلقوه عنوانا رديفا على اللامع نفسه، ورأيت أن هذا الفرض يحلّ كافة الإشكالات التي لا بد من مواجهتها إذا فرضنا أنهما كتابان.

ويحسن التأكيد منذ البداية على أنه يوجد فرق دقيق بين إنكار وجود المعجز وبين الإقرار بوجوده مع القول بأنه هو اللامع، فالأول نفي قاطع والثاني إيجاب من حيث الجملة أو إنه إيجاب باعتبار ونفي باعتبار آخر، فإذا قلت (لم يوجد معجز أحمد أصلا) أو عبارة نحوها: فالمراد أنه لم يوجد كتاب منفرد بهذا الاسم ولا يمنع ذلك أنه كان عنوانا ثانيا لكتاب آخر.

(٣) ما ورد في مقدمة اللامع العزيزي

أورد أبو العلاء في بعض كتبه أسماء كتب أخرى له، ومع ذلك لا نجد لمعجز أحمد ذكرا في أي كتاب مما انتهى إلينا. ولكنه قال ما يلي في فاتحة اللامع التي أتحفنا بها الدكتور عبدالعزيز المانع، وأنا أنقله مشكولا كما أورده (سألني بعضُ النَّاس أنْ أَقْتَفِيَ مُخْتَصَراً في تَفْسِير شِعْرِ أبي الطيب فكرهتُ ذلك وسألتُه الإعفاءَ فأجاب، ثم تكرَّرَ السُّؤالُ فأصْحَبْتُ معه في القياد، وأنا كما قيلَ: مُكْرَهٌ أخوك لا بَطَل، وكم حَلْي فَضَلَهُ العَطَلُ، وأمليتُ شيئا منه)، فهل يُعَدُّ قوله (مختصرًا) إشارة إلى شرح سابق على اللامع؟ إذا كان الأمر كذلك فالقضية منتهية تقريبا ولا يبقى إلا إثبات أن اسم ذلك المختصر معجز أحمد، ومن الواضح أن الأمر كله يتوقّف على كلمة (أقتفي)، فما مدلولها؟

ورد في اللسان ١٥/ ١٩٤ (قَفَاه واقْتَفَاه : تَبِعَه) وفي القاموس (قفوتُه قَفْوا وقُفُوّاً تبعتُه، كتقفيّتُه واقتفيتُه)، وهذا هو المعنى الشائع للكلمة كما تقول اقتفى فلانٌ أثرَ فلان أي تَبِعَه وسار على خُطاه . ولاح لي أن الدكتور عبدالعزيز المانع يفسِّرها بهذا المعنى وإن لم يصرِّح، ولكن يَردُ عليه ثلاثة أمور :

* أن سِياق الكلام يصبح هكذا (سألني بعض الناس أن أتْبَعَ مختصرا . . .) فيجعل أبو العلاء نفسَه تابعا لكتابه الأوّل، ولا أراه يستقيم لأن الإنسان ربما يستدرك على كتابه الأوّل بوجه من الوجوه ولكنه لا يقول في مثل هذا المقام: تَبِعتُه أو اقتفيتُه، وإنما يتبع الكتابَ كتابٌ مثله لا إنسانٌ .

* أما التعبير عن الإتْباع - وهو المعنى المطلوب ليصح ماذهب إليه الأخ الكريم - فيقتضي أن يقول أبو العلاء (سألني بعض الناس أن أُقَفِّي) أو نحو ذلك ليكون التابع كتابا والمتبوع كتاباً مثله، ففي سورة البقرة ٨٧ قال تعالى (وقفّينا من بعده بالرسل)، وفي سورة المائدة ٤٦ (وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم)، وفي سورة الحديد ٢٧ (ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم)، وفي شعر المتنبي (وأصرع أي الوحش قفّيتُه به) . فكان الحَريّ بأبي العلاء وحسبك به فصاحةً أن يقول (سألني بعض الناس أن أُقَفِّيَ من بعد المختصر بمطوّل) على غرار الآيات، أو (أُقفّي المختصر بمطوّل)على غرار بيت المتنبي ، أو نحو ذلك .

* وأيا ما كان الأمر فإن هذه الكلمة تتضمن معنى الحركة والانتقال على وجه الحقيقة أو المجاز، فيجوز أن تقتفي أثر فلان أو تُقَفِّي من بعد الرسول الأول برسول آخر أو من بعد الرسالة برسالة ، ولم يتضح لي قيام هذا المعنى لمجرد أن المعرِّي أملى كتابًا جديدًا يشبه كتابًا قديمًا . وربما يصحّ كلامه لو قام الدليل مثلاً على أنه بعث الكتاب الأول إلى رجل ما والآن يُتبعه بكتاب آخر . ولا جرم أن إحاطته بدقائق اللغة وأسرارها توجب التدقيق والتوثيق قبل تشييد نتائج علمية بعيدة الأثر على كلامه .

والحاصل أن توجيه الكلمة إلى معنى الإتْباع والاتِّباع لا يستقيم . والذي أراه أن المعنى أقرب من ذلك، ففي القاموس ٤/ ٣٨٢ (اقتفى الشيءَ : اختاره)، وفي اللسان (اقتفى الشيء وتقفّاه: اختاره وهي القِفْوَة، والقِفْوَة : ما اخترتَ من شيء، وقد اقتفيتَ: أي اخترت)، وزاد الزَّبيدي في التاج ١٠/ ٣٠١ (ومنه المقتفى للمختار)، وفي المعجم الوسيط ٧٥٢ (اقتفاه: تَبِعه، والشيءَ : اختاره) ،ففرّق بين ما مفعوله إنسان أو نَحوه وما مفعوله شيء . فهذا التفسير يناسب الجملة أتمّ مناسبة، وفيه المعهود من إغراب أبي العلاء وفصاحته، ويكون سياق الكلام هكذا (سألني بعض الناس أن أختار مختصرا في تفسير شعر أبي الطيب) ، وهو مستقيم واضح لأن الرجل التمس منه أن يختار أشياء من الديوان باختصار فاستجاب له وصنّف اللامع . وإذا صحّ هذا القول منّي يكون سكوته وهو في السبعين عن ذكر المعجز في مقام يدعو في العادة لذكره : قرينة على أنه لم يُخلق .

وقال الدكتور عبدالعزيز المانع (ثم يعلّل المعرِّي هذا الكرّةَ لإعادة التأليف والشرح لديوان أبي الطيب المتنبي فيعزوه إلى تقدّم العمر) . ولا يدلّ قول أبي العلاء على معنى الإعادة، ولا ريب أنها غير الاقتفاء وبينهما فرق ظاهر، فقولك (اقتفيتُ أثرَ فلان) لا يفهم منه أنك أعَدْتَ أثرَه .

ولعلي أستعين على هذا التفسير بخمسة أمور :

* أن أدب السؤال يقتضي أن يطلب السائل تأليف كتاب ما أو يقترح موضوعا ويترك له حريّة التصرّف، ولكنه لا يَجبَهُ الشيخ بما يُفهم منه ضمنا قصور كتابه الأول .

* يدل قوله «مختصرا» بلا قيد من تعريف إو إضافة أو صفة : أنه كتاب لا يزال في عالم الغيب لم يُصنَّف بعد، ولو كان معهودا في ذهن السائل أو أبي العلاء لكان الأوْلى أن يقول «المختصر» أو «مختصر تفسير شعر أبي الطيِّب» أو«مختصرا كنتُ صنفته قديما» أو عبارة نحو ذلك . ومثله أنّك تقول لصديقك (اكتُبْ رسالة إلى فلان) بالتنكير، ثم تقول له بعد أيام (هل كتبت الرسالة ؟) بالتعريف ولو لم توجد بعدُ؛ لأن

الذهن كان خاليا في المرّة الأولى دون الثانية . فقول أبي العلاء عن كتاب موجود معهود يُراد النسج على منواله (مختصرا) لا يأتلف مع المعتاد من سنن العربية .

* إذا كان المختصر المذكور كتابا قديما فأين يعود الضمير في قوله : أمليت شيئا منه ؟ فإن كان يعود على المختصر ذاته - وهو الظاهر الذي لا محيص عنه - فيكون هو اللامع الذي سُئل أبو العلاء تأليفه ولم يكن موجودا إبّان السؤال .

* لم يتضح لي من كلام الدكتور عبدالعزيز المانع أن للمختصر المزعوم ذكرا في غير هذا الموضع من اللامع ، وطالعتُ جملة من المخطوطة فلم أر شيئا ، ونقل الناس منه نصوصا بالغة الكثرة فلم تتضمن ذكر كتاب سابق . والمعقول أن يتضمن اللامع إحالات وإشارات إليه لو وجد .

* لم يُذكر المختصر في المصادر ، وسبق أن قلت في دفع المعجز المنحول إن المعرّي لو كان له كتاب آخر في شرح ديوان المتنبي لسارت بذكره الركبان وحرص التلاميذ والشراح والنقاد على الإفادة منه ومقارنة ما فيه بما في اللامع .

وقد يقول قائل : هل اللامع مختصر ؟ والجواب أن هذا هو الذي طلبه السائل والباقي على المعرّي ، ومعروف عن الشيخ شدة التواضع في صفة نفسه وكتبه فلعله جعله مختصرا من هذا الباب ، أو لأنه يراه كذلك لطول نَفَسه ولو أراد لأملى أضعافه كما يتضح من مقادير كتبه الأخرى . ثم إن اللامع مختصر فعلا باعتبارين: فهو أولا يتكلّم فيه على البيت بعد البيت ولعلّه شرح فيه ثلث أبيات الديوان تقديرا وهو نحو ألفي بيت ، وهو ثانيا لا يطيل كثيرا في الكلام على البيت الواحد . ولا يخرجه كونه كتابا كبيرا ، لكثرة الأبيات التي تعرّض لها ، عن كونه مختصرا ، ولهذا الاعتبار يسمي ابن خلّكان كتابه مختصرا (انظر ١/ ٢٠) مع أنه سبعة مجلّدات .

(٤) فهرس كتب المعرّي

لقد حرص أبو العلاء على إملاء فهرس كتبه ولا غرابة في ذلك لأننا نجد كثيرا من العلماء فعلوا ذلك ، وربما حرّصه على الإملاء خشيته من دسّ أشياء عليه للأسباب التي يعرفها الجميع . وقد بقي لنا هذا الفهرس في ثلاثة مصادر جليلة : فأثبته ياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١٤٥-١٦٢ (الطبعة الجديدة بتحقيق الدكتور إحسان عبّاس) والقفطي في إنباه الرواة ١/ ٩١-١٠٢ وابن العديم في الإنصاف والتحرّي ٥٢٧-٥٤١ (وسوف أشير إليهم اختصارا بالحلبيين الثلاثة لأن ابن العديم حلبي صميم والقفطي قضى أكثر حياته فيها إلى أن مات وياقوت بغدادي قضى سنواته الأخيرة في حلب ومات بها) . والثلاثة متعاصرون ويعرف بعضهم بعضا أتم المعرفة ، وتدلّ المقارنة على أنهم لم ينقل بعضهم من بعض [1] وانفرد عنهم ياقوت برؤية نسخة بخطّ أحد مستملي أبي العلاء فنقل زياداتها .

والفهرس المذكور دقيق جدا : ففيه أسماء الكتب ومقاديرها وأسباب تأليفها وبيان مضمون كلّ كتاب منها ، وأسلوبه هو أسلوب أبي العلاء المعروف ، وأول جملة فيه قوله (قال أبو العلاء : لزمت مسكني . . .) ويتردّد فيه ضمير المتكلّم هنا وهناك ، ونجد في بعض مفرداته أمارات علمه الغزير في علوم العربية كافة . ولا يقف في سبيل ذلك أنه تحوّل إلى ضمير الغائب لأنه المعهود المنتظر في هذا المقام ، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون التلاميذ أو غيرهم من اللاحقين أضافوا أشياء من عندهم إليه . والفهرس تام إجمالا بدليل قلّة مااستدركه الناس عليه ، وقولهم بعد ذكر أحد الكتب (وهو آخر شيء أملاه) وقولهم في آخر النسخة التي رآها ياقوت (وله بعض كتب في العروض والشعر بدأها ولم تتم أو تمت وشذّ عنا أسماؤها) . والحاصل أن قيمة الفهرس وصحّته من حيث الجملة لا شك فيها .

> وكتبه محصورة ، ولولا خوف الإطالة بذكرها لذكرت أسماءها وبيان حجم كل مصنَّف منها ، وقد استوعبت ذلك في كتاب دفع الظلم والتجرّي عن أبي العلاء المعرّي
>
> ابن العديم ، بغية الطلب ٢/ ٨٧٩.

فمما يلفت النظر أن معجز أحمد، رغم عنوانه الجذّاب الذي يَعْلق بالخاطر، لم يذكر في هذا الفهرس لا كتابا منفردا ولا اسما ثانيا لكتاب آخر. فهذا يدلّ على أنه لم يوجد أصلا (إلا إذا قيل إنه كان مجرد رسالة صغيرة بحيث تدخل في عموم القول المذكور في آخر الفهرس)، وبعيد جدا أن يكون لأبي العلاء شرح ثان على ديوان المتنبي بالذات له هذا الاسم بالذات ويخفى على أصحاب الفهرست ثم يخفى على هؤلاء الثلاثة بالذات.

وإني لأرى أن هذا الدليل وحده، إذا تأمّله الباحث وقدّره حقّ قدره، كاف للشكّ في وجود الكتاب. على أنه قد يقال إن سقوطه من الفهرس لا يلزم منه لزوما قطعيا أنه لم يوجد لأن عدم الوجود لا يدل على وجود العدم، فهذا صحيح إذا كان الغرض هو اليقين المطلق لأن من المقرّر في قواعد علم المنطق أنّه يستحيل إثبات القضايا السلبية. أما إذا كان الغرض الوصول إلى نتيجة يطمئن لها الباحث فلا شكّ أن ما ذكر يعدّ قرينة قوية جدّا على أن الكتاب لم يوجد. والشيء ذاته يقال عن الشواهد التي يأتي الكلام عليها فليس منها شيء يدلّ دلالة قاطعة على أنه لم يوجد، ولكن إذا تكررت الجهالة من عشرات الناس من التلاميذ فمن بعدهم، مع وجود المقتضي وارتفاع المانع، فإن الشك يتزايد لأن القرائن تتضافر ويقوّي بعضها بعضا، وليس من المنطق أن تعدّ كل قرينة على حدة ويقال إنها غير قاطعة.

(٥) تتمة القول في الفهرس

لقد متح مترجمو المعرّي ودارسوه جيلا إثر جيل من هذا الفهرس، ولم أعرف من شكّ في صحته قبل الدكتور عبدالعزيز المانع (على ما ظهر لي من إشاراته وإن لم يصرّح بأنه مزيّف)، ولم يقدم دليلا إلا الاختلاف في عدد الكتب بين ما لدى ياقوت والقفطي، وأن فيه كتابا عن فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وما يقال عن دسّ تراجم في الكتاب ليست منه. وأجدني مضطرا إلى تناول المسألة لأن الدكتور عبدالعزيز المانع أشار في أثناء ذلك إلى بعض ماورد في كلامي مع أني لم أقل ما يشير تصريحا ولا تلميحا إلى الشك في الفهرس.

لقد تأملت الفروق بين ما أورده ياقوت والقفطي فوجدتها أقل مما رسم الدكتور عبدالعزيز المانع، ولا يشك الناظر أن القائمة لديهما واحدة من حيث الأصل، يتضح ذلك جليا من أسماء الكتب والكلام على مضامينها ومقاديرها، فالعبارة إجمالا هي هي وقد استغرقت القائمة نحو عشر صفحات من كتاب القفطي ونحوها من كتاب ياقوت، وقد جمع ياقوت مافي نسختين أو أكثر وإحداها بخطّ أحد كتّاب أبي العلاء، وذكر ما تنفرد به نسخة عن نسخة، أما القفطي فالظاهر أنه نقل ما في نسخة واحدة. ولا تخلو الكتب التي انفرد بها معجم الأدباء من اضطراب لا يتسع المقام لبيانه وتفسير بعضه، ولا أستبعد أن منه ما كان حواشي متأخرة دخلت إلى صلب الكتاب، ومعلوم أن نسخ المعجم ليست مما تنعقد عليه الخناصر.

وأيّا ما كان الأمر فالمهمّ أن الفهرس في رواياته الثلاث لا يتضمّن المعجز فلا طائل من وراء الإشارة إلى الفروق إلا التشكيك في صحة الفهرس من أصله ليقال بعد ذلك إن عدم اشتماله على المعجز ليس بحجّة.

أما القول إن الفهرس ربما يكون مما دُسّ على كتاب ياقوت فلا دليل عليه، والذين أشاروا إلى ما وقع في كتاب ياقوت - كالميمني في كتاب أبي العلاء ٢٦٢ والزركلي في الأعلام ١/ ١٥٧ - استفادوا من الفهرس ولم يقولوا إنه مدسوس. ولم يتطرق الدكتور إحسان عباس في طبعة المعجم الجديدة إلا إلى الاختلاط بين تراجم معجم الأدباء ومعجم الشعراء، فإذا كان هذا هو ما ذكره الميمني والزركلي فالقضية شكلية لأن القول يظلّ قول ياقوت لا قول غيره. ولم يتضح لي من تحقيق الدكتور إحسان عباس هل جاءت القائمة في المخطوطات التي رآها ولا سيما مخطوطة المختصر العُمانية، ولكن ورودها في كتاب القفطي يكفي للاطمئنان إلى صحّتها إجمالاً.

والفهرس ثابت أيضا في كتاب صديقهما وبلديّهما المؤرخ السريّ النبيل كمال الدين بن العديم الذي وقفه

على إنصاف أبي العلاء والذبّ عنه ، وزاد فيه أشياء أهمها رسالة في معاني شعر المتنبي سنشير إليها لاحقا (تعريف القدماء ٥٢٥-٥٤١) . وجاء الفهرس مختصرا في النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبي والوافي بالوفيات للصفدي وهدية العارفين للبغدادي، والظاهر أنهم أخذوه عن بعض هذه المصادر الثلاثة .

أما كتاب فضائل علي : فلا غرابة في تأليف المعرّي إياه، وقد ألف كثيرا من كتبه لأعيان عصره من الولاة والأمراء وغيرهم ومنها اللامع العزيزي (وقرأت للشيخ حمد الجاسر، حفظه الله، أن أبا العلاء شرح شعر ابن أبي حصينة لهذا الغرض لا أنه شعر جيد يستحق أن يشرح) . فلا غرابة إذن أن يكتب جزءا في فضائل عليّ ولعله أهداه إلى بعض أعيان الدولة العبيدية طلبَ صلاتهم أو اتقاء شرهم، ولا يعني أنه كان شيعيا(٢) . وفَضائل أبي الحسن لا تكاد تحصى فلا يستغرب أن يؤلف فيه أحد من المسلمين، والكتاب إياه ثابت لدى القفطي وابن العديم ولم يقفا عنده فلا أدري لم يستشكله الدكتور عبدالعزيز المانع ويعبر عليه للشك في الفهرس .

وفهم الدكتور عبدالعزيز المانع من كلمة القفطي (نقلته على فصّه) أنها (تبرئة منه لنفسه ومطالبة ضمنية لقارئه بعدم تحميله مسئولية صحة هذه القائمة زيادة ونقصانا، وخاصة أنه نكّر الراوي لهذا الفهرس بقوله أحضرني بعض البغداذيين فلم يسمّه ولو كان مشهورا أو من العلماء أو من أعوان أو أصحاب أبي العلاء لسمّاه)، وأراني أخالفه في ذلك فالأصل أن مجرد إيراده إياه دليل على أنه يرضاه، وعبارته أقرب إلى التوثيق منها إلى الشك، ففي اللسان (يأتيك بالأمر على فصه أي يفصّله لك) واستشهد بقول الشاعر :

ورب امرئ تزدريه العيون
ويأتيك بالأمر من فصّه

والفصّ : حجر الخاتم وحَدَقة العين ومَفْصل الأمر، وفي المعجم الوسيط ٦٩١ (الفصّ : ملتقى كلّ عظمتين، . . . ومن العين : حَدَقتها، ومن الأمر : حقيقته وجوهره، ومن الشيء : مَفْصله ومَحَزّه)، وفي إحدى مخطوطات ديوان حسان (المقدمة ٣٤) يقول الراوي (وكل ما كان فيها عن العدويّ فإني وجدته على جوانب النسخة وليس من فصّها)، والأمثلة كثيرة وليس فيها ما يفهم منه معنى الرِّيبة والشك .

وقول الدكتور عبدالعزيز المانع : (ولو كان مشهورا . . .) فيه نظر ولا يدل على ما أراد، بل ربّما يدلّ على شيء من أخلاق القفطي واستعلائه على بعض معاصريه ولا سيما على (ياقوت الرومي الناسخ بائع الكتب مولى عسكر الحموي)(٣) ، وفي كتابه رحمه الله أشياء مثل ذلك . وأجدني أميل إلى أن قوله (بعض البغداذيين) هو ياقوت نفسه فهو ورّاق بغدادي حريص على إرضاء القفطي (مولانا الصاحب الكبير العالم الخطير ذي الفضل الشائع والإفضال الشائع . . . الوزير الأكرم مالك الرقّ وليّ النعم) ويعرف شدة حرصه على النوادر وآثار أبي العلاء خاصة، وقد قام الدليل على أنه رأى الأوراق فربّما تقدّم بها إلى القفطي بيعا أو إهداء، وكنت قرأت هذا الرأي لأحد المعاصرين وفاتني قيده ولم أفرغ لتحصيله .

والدكتور عبدالعزيز المانع جدّ عليم بأن بين وفاة المعرّي ومولد القفطي نحو ١٢٠ عاما فلا يتصوّر أصلا أن يأتيه أحد أعوان المعرّي أو تلاميذه بالقائمة ، ولا شك أنه سبق قلم .

(٦) جهل تلاميذ المعرّي بالمعجز

بقي لنا قدر صالح من تراث تلاميذ أبي العلاء مما له صلة قريبة أو بعيدة بديوان المتنبي وشعره، فمن ذلك :

* كتاب الفتح على أبي الفتح لابن فورّجة بقي كاملا .
* كتاب التجنّي له : جمع أحد الباحثين طائفة كبيرة من بقاياه .
* كتاب أبي المرشد المعرّي بقي كاملا .
* شرح ديوان المتنبي للتبريزي لا يزال مخطوطا .
* سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي بقي كاملا .
* كتاب القوافي للقاضي أبو يعلى التنوخي بقي لنا كاملا .

* ونجد أثارات مما ضاع من كتبهم في كتب اللاحقين .

ومع ذلك لم يذكر أحد ممن وقفنا على كلامه منهم أن للمعرّي شرحا ثانيا على الديوان، ولا شأن لنا بمن ضاعت كتبهم . فهذه قرينة ثانية قوية جدا على عدم وجود شرح آخر، ولو قيل إن المعجز انقرض في سقوط المعرة بيد الروم سنة ٤٩٢ ما منعهم ذلك من معرفته لأنهم صحبوا أبا العلاء قبلها بعشرات السنين ثم تفرقوا في البلاد .

فأبو علي بن فورّجة لقي المعرّي في بغداد بيقين وأخذ عنه (وقيل إنه رحل إليه في المعرّة، ولم أحقّق صحّة ذلك) وأثنى عليه أبو العلاء في قصيدة من سقط الزند، وكتاباه في الردّ على ابن جنّي (الفتح على أبي الفتح، والتجنّي على ابن جنّي) مليئان بالاقتباس من كلام الشيخ بما يدلّ على مبلغ إجلاله إياه ومنزلته في نفسه . هذا الرجل الحريص كلّ الحرص على كل قول لأبي العلاء عن المتنبي، المهتمّ بالنقد ومعاني شعر المتنبي أكثر من عنايته بالشرح اللغوي، إنما اطّلع على اللامع فقط .

وأبو المرشد سليمان بن علي بن محمد بن عبدالله بن سليمان المعري هو حفيد أخي الشيخ وابن كاتبه وراويته، وأبوه علي بن محمّد نسخ جميع أمالي عمه بخطه، وربما يكون هو رآه وأخذ عنه (كما تجد في حواشي المقالة الأولى) . وقد نقل في كتابه مئات النصوص من اللامع، ولم يُخْفِ شدة إعجابه بالشيخ وإكباره إياه، وتقلّد قضاء المعرّة قبلَ سقوطها بيد الروم وضياع أكثر كتب الشيخ . فهذا الرجل الذي عاش طويلا في الزمان والمكان والمحيط العلمي والأسَرِيّ الذي كانت فيه ذكرى الشيخ حية وكتبه موجودة حاضرة وسار على خطاه في تأليف كتاب عن المتنبي : لم يذكر شيئا ألبته عن وجود شرح آخر، ولو وجد لكان أولى الناس بمعرفته وأحرصهم على الاطلاع عليه .

ولا يقال إن اللامع ربّما أغناه عن الشرح الآخر بدليل قوله (وقد أورد [أبو العلاء] في كتابه المعروف باللامع العزيزي ما لا فائدة فيما عداه ولا حاجة معه إلى سواه)؛ فهو من باب الثناء المعتاد بدليل أنه نقل كثيرا من شروح ابن جنّي وابن فورّجة والعجلي والمخزومي والأحسائي، وأجزم أنه لو كان ثمّت شرح آخر لأبي العلاء لعرفه ووجد فيه ما لا يوجد في غيره(٤) . وحاله في ذلك كابن فورّجة لأنه معنيّ بجانب المعاني أكثر من الشرح اللغوي، فالمعجز المزعوم أقرب إليه من اللامع ومع ذلك لم يذكر إلا اللامع فقط .

والخطيب التبريزي شدّ الرحال من أذربيجان ليلقى أبا العلاء ويأخذ عنه وأقام عنده نحو ثلاث سنوات قبل وفاته بقليل، ثم صنّف الموضّح شرحا لديوان المتنبي (وهو مخطوط في باريس وقد نقل منه القدماء ووصفه بلاشير في كتابه ٣٩٢، ولم يذكر أحد ممن رآه أنه نقل فيه من معجز أحمد) . وإذا تأمّلت كتبه المطبوعة رأيت أنه ضمّن بعضها كتبا للمعرّي بتمامها تقريبا ولا أرتاب في أنه أقام شرحه على اللامع ، ومع ذلك يظنّ ظانّ أنه كان للشيخ شرح غير اللامع فلم يسمع به .

فهؤلاء التلاميذ وهم من علماء اللغة والأدب لا يخفى عليهم كتاب كهذا ولو كان لشيخهم عشرة كتب غيره عن المتنبي، وهم ليسوا ممن يكتفي بقراءة العناوين أو يطلبون كتبه عند الورّاقين، وإنما همّهم السماع أولا ثمّ الإجازة ثانيا . بل ان وجود شرحين مختلفين من شأنه أن يغريهم وغيرهم على مر العصور بالاطلاع عليهما معا والمقارنة بينهما والاقتباس منهما . ولو أن الناس استشهدوا بالمعجز مرّة واحدة مقابل كل مئة استشهاد باللامع لهان الأمر وأمكن التخريج، أما أن يستشهدوا باللامع ألوف المرات ولا يستشهدوا بالمعجز إلا مرة واحد (والظاهر أنها لا تصحّ كما يأتي لاحقا) فالأمر يحيّر العقول ويدعو إلى التأمّل وإمعان النظر لأنه في غاية الغرابة، ولا سيما إذا وضعنا في الحسبان منزلة المتنبي وأبي العلاء ودعوى أن المعجز عرفه ابن أبي الإصبع وابن خلكان في منتصف القرن السابع .

(٧) جهل الواحدي بالكتاب

وممن لم يعرف المعجز : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري معاصر أبي العلاء – ولم يُذكر أنه لقيه أو استجازه – شارح ديوان المتنبي المتوفى سنة ٤٦٨ ، وكتابه من أحسن الشروح أو أحسنها كافّة . وقد ذكر

مصادره في المقدّمة وهي شرح ابن جني وشرح المعرّي وكتابا ابن فورّجة، فلم يرَ المعجز ولا أشار إليه . ولا ريب أن عدم وقوف مثله على كتاب بمثل هذه الأهمية لمثل أبي العلاء جدير أن يعزّز الشكّ في أصل وجوده . وتحسن الإشارة إلى أنه أشار إلى شرح المعرّي في المقدمة فقط ولم أجده استفاد منه في أثناء الكتاب إلا في موضعين لا أستبعد أنه استفادهما من ابن فورجة .

(٨) جهل الكلاعي بالكتاب

وممن لم يقف على المعجز ولا اللامع : أبو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي من علماء الأندلس في القرن السادس وكان موجودا سنة ٥٣١ وتاريخه غير واضح(٥) . والرجل شديد الاهتمام بأبي العلاء وآثاره كما يظهر من كتابه إحكام صنعة الكلام ومعارضته بعض كتب المعرّي، وذكر فيه (صفحة ٢٣٢) آثار أبي العلاء التي وقف عليها وهي نحو العشرين ثم قال (وكتاب في شعر أبي الطيب لم يبلغني ولا رأيته، إلى غير ذلك من التواليف التي لم تصل إلينا ولا ورد ذكرها علينا) . والشاهد أنه لم يسمع إلا بشرح واحد ولا شك أنه اللامع، أما عدم وصول اللامع إليه فلا يخلو من بعض غرابة لشهرة الكتاب ويحتاج تفسيره إلى فضل تحقيق وزيادة معرفة بتاريخه وأحواله .

وقال كوركيس وميخائيل عوّاد في رائد الدراسة عن المتنبي ٧٢ تعليقا على كتيِّب المعاني الذي يأتي الكلام عليه في فقرة ابن العديم (ومن هذا الكتاب نسخة في معهد المخطوطات - راجع مجلته ١/ ١٥٤، ١٩٥٥ - ولعله هو الكتاب الذي أشار إليه الكلاعي في إحكام صنعة الكلام) . أقول : أما الجزم بأن المخطوط هو كتاب المعاني فهو غلط صرْف لأنهما لم يقفا على المخطوط وإنما قرءا ما في المجلّة فربطاه بقول ابن العديم، والذي في المجلة سبق قلم أو هفوة مفهرس لأن الكتاب هو مختصر أبي المرشد المصوّر من مكتبة الحرم المكيّ . وأما أنه الكتاب الذي أشار إليه الكلاعي فبعيد لأن قوله لا يجوز صرفه عن الكتاب المشهور أي اللامع إلا بقرينة .

(٩) جهل الحافظ السلفي بالكتاب

كان كتاب الحافظ السلفي المتوفى سنة ٥٧٦ عن أبي العلاء مصدرا مهمّا لأخباره(٦) وقد وقف عليه الحلبيون الثلاثة ونقلوا منه . ونجد ابن خلكان والصفدي وغيرهم يسندون بعض أخبار المعرّي إلى السلفي ولا أدري أوقفوا على الكتاب أم نقلوا منه بالواسطة .

ويظهر أن الكتاب ضائع، ومع ذلك نستطيع أن نستظهر إن المعجز لم يذكر فيه لأن الثلاثة وقفوا عليه ولا شكّ أنهم قلّبوه وقرأوه خبرا خبرا ومع ذلك لم يَجْرِ المعجز على أقلامهم . ولا يشك المنصف أنهم لو وجدوا ذكر المعجز فيه ما تأخّروا كلّهم أو أحدهم عن إدراجه في قائمة كتب المعرّي وهم يسردون مؤلفاته على وجه الحصر ويستدركون عليها . ويقوّي ذلك أن معجم السَّفَر للسلفي المطبوع يحتوي على بعض أخبار المعرّي وليس فيه ذكر المعجز .

(١٠) النصّ المنسوب لابن عساكر

يعدّ هذا النصّ من أهمّ الأدلة على وجود كتاب مستقل باسم المعجز وهو قوله في معرض الحديث عن شرّاح المتنبي (وكان محظوظا في حال حياته : ما زال معظما عند الملوك، وفي حال وفاته : قد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة، وهما [كذا] ضربان : منهم من تكلم على ديوانه أجمع ومنهم من تكلم على بعضه . فمَنْ تكلم على شعره أجمعَ، فهو أول من شرحه : ابن جني له كتاب في شرح ديوانه وقد سمّاه الفَسْر، وكتاب اللامع العزيزي ومعجز أحمد أيضا لأبي العلاء المعرّي . . .) ، وأورد أسماء اثنين وأربعين كتابا عن المتنبي وشعره وديوانه . ولعل هذا هو النصّ الوحيد الذي يجمع بين الكتابين في جملة واحدة ولكنه لم يصرّح بالوقوف عليهما، وظاهر القول إنهما كتابان . ولكن هل القول حقّا قول ابن عساكر؟

قال الجاحظ (إذا رأيت الرجل يقول : ما ترك الأول للآخر شيئا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح) ، وإن في هذا

النصّ لموعظة لي ولغيري ممن يكتب حرفا في مسألة من مسائل التراث وهي أن لا يأخذ كلاما إلا بعد التوثّق منه كائنا ما كان مصدره . اطّلعت على النصّ أول مرّة في مقدمة المعجز المزوّر، ووجدت الدكتور عبدالمجيد دياب يوثّق الكتاب بناء عليه لأنه كان مترددا ونصحه ناصح بأنه ليس لأبي العلاء، فلما رأى النصّ اطمأنّ إلى أن أبا العلاء شرح الديوان مرتين وفهم من كلمة (أجمع) أن المعجز شرح تام للديوان كاللامع فنشر المزوّر منسوبا إليه .

ولما كتبت المقالة الأولى راجعته في مصدره المعروف وهو كتاب المتنبي للأستاذ محمود محمد شاكر، حفظه الله، (الطبعة الثالثة ١٩٨٧، صفحة ٦٦٠) فوجدته كما نقل دياب، ولم أنظر فيه ثقةً بعمل الأستاذ محمود شاكر لأني أراه الغاية في التحقيق، وأوردت النصّ على ما فيه من شذوذ، ولم أجد مقالا إلا أن ابن عساكر لم يصرّح فيه بالوقوف على المعجز. وكتب الدكتور عبدالعزيز المانع ما كتب ورأى أنه كان ينبغي اعتماد قول ابن عساكر جملة واحدة: فإما أن نقبل وجود المعجز أو ننكر وجود اللامع (ولم يوضح ما الذي يوجب قبول الخطأ إذا كان مقرونا بقول صحيح).

ذكرت بعد ظهور المقالة أنني لم أطالع الصبح المنبي للبديعي مع أنه كان قريبا مني، فلما راجعته وجدته يسرد الكتب ذاتها بالترتيب نفسه: أولها الفسر وآخرها الإبانة للعميدي، ووجدت بينهما خلافا مهمّا في كلمات قليلة حول المعجز (كما يأتي في موضعه)، فوضعني ذلك على الطريق الصحيح وهو ضرورة توثيق القول المنسوب إلى ابن عساكر ما دام أن تقديم كلمة وتأخيرها يؤثر على دلالة الكلام .

أشار الأستاذ محمود شاكر (في صفحة ٥٥) إلى أن بعض تراجم الأحمدين مفقودة من جميع مخطوطات تاريخ دمشق وأن الأستاذ أحمد راتب النفاخ - رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان - وجد ترجمة المتنبي على ظهر نسخة كتاب الإبانة للعميدي (رقم ٢٠٣٩ بدار الكتب المصرية) فنسخها بخطه وأعطاه إياها فنشرها قائلا (ومجرد وجودها كنز لا يقدّر) . فلما بان أن أصل الكلام تعليقة على ظهر كتاب لا نسخ مسموعة متظاهرة - ذهبت أتأمله فلم أصدّق ما وقعت عليه بلا أدنى مشقة، فإن صاحبه ينقل في البداية خبرا عن ابن عساكر فخبرا عن الخطيب البغدادي ثم يقول (قال الحسن المتطبّب : وظفرت بمختار صغير في أخبار المتنبي قد اختاره ياقوت بن عبدالله العربي من مختار ألّفه ياقوت بن عبدالله الرومي الأصل البغدادي المنشأ الحموي المولد رحمه الله تعالى فنقلت منه ما يأتي ذكره)، ثم ينقل بعض أخبار، ثم النصّ المشار إليه غير منسوب صراحة إلى ياقوت وفيه أسماء الكتب ثم يقول (قال أبو عبدالله ياقوت الرومي الحموي : ولم نسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شُرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان، ولا يتداول شعر في أمثال أو طُرف أو غرائب على ألسنة الأدباء في نظم أو نثر أكثر من شعر المتنبي)، وأكثر ما يأتي بعد ذلك إلى آخر الترجمة منسوب إلى ياقوت .

لم أجد شيئا عن الحسن المتطبّب ولا ياقوت العربي بعد بحث غير مستقص، أما ياقوت الرومي الحموي فأشهر من أن يعرّف، وقد ولد سنة ٥٧٤ وتوفي رحمه الله سنة ٦٢٦ وكتابه في أخبار المتنبي مذكور في وفيات الأعيان ٦/ ١٢٩ والأعلام ٨/ ١٣١ . أما ابن عساكر فتوفي رضي الله عنه سنة ٥٧١ قبل أن يُخلق هؤلاء الثلاثة وكان ياقوت من تلاميذ تلاميذه ! فكيف ينقل ناقل عن ياقوت ويُقال: قال ابن عساكر؟ وزيادة: أجزم أن مياها غزيرة جرت في أنهار الشام قبل أن يلخّص ياقوت كتاب ياقوت ثم يأتي الحسن المتطبّب فيختار من المختار (أو يقتفي من المقتفى!) ثم يأتي ناسخ الإبانة فينقل هذه الأخبار منه مباشرة أو بالواسطة، وإذا عثرنا على ترجمة المتطبب فربما نجد أنه كان من أهل القرن التاسع أو العاشر مثلا .

ويقطع بأن النصّ ليس لابن عساكر : أن بعض أصحاب الكتب الأربعين هم في طبقة تلاميذه أو تلاميذهم كأبي اليُمْن الكندي وأبي البقاء العُكْبَري والكمال الواسطي والضياء بن الأثير . وأوضح من ذلك : أن ترجمة ابن عساكر للمتنبي ثابتة في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ٤٨-٥٢ (دمشق : دار الفكر،

١٩٨٤) وهو إنما يحذف الأسانيد والمكرّرات، وتختلف عن هذه الترجمة الدخيلة تمام الاختلاف وليس فيها النصّ المزعوم، وطُبع جزء الأحمدين من التاريخ نفسه وليس فيه ترجمة المتنبي ولا المعرّي وأوّله ترجمة أحمد بن عتبة .

أما كيف لم يفطن لهذا الأمر الأستاذان محمود شاكر وأحمد راتب النفاخ وهما ما هما من العلم والضبط والتحقيق فلا أدري كيف صار، وذاكرت بذلك أخي الكريم الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عُسيلان فهاتف به أبا فهر أطال الله بقاءه فأجاب بأنه خلطٌ واضطراب في تلك الأوراق لم يتنبه إليه إلا بعد نشره .

(٦) هل هو قول ياقوت؟

ربما يقال، وقد تزحزح النصّ من ابن عساكر إلى ياقوت الحمويّ، إنه لا يقلّ وزنا في توثيق الكتب عن ابن عساكر، وهذا صحيح بشرط إثبات أن أسماء الكتب ولا سيما قوله (ومعجز أحمد أيضًا) من كلامه .

لم يذكر ياقوت في معجم الأدباء كتاب نفسه في أخبار المتنبي مع أنه ذكر المتنبي كثيرا، ولكن يخفّف ذلك أن ترجمة المتنبي لم ترد في المعجم، ولا أدري أكانت فيه ثم ضاعت أم استغنى ياقوت بالكتاب عنها أم كانت في كتابه الضائع (معجم الشعراء) فلم تنتقل إلى معجم الأدباء كغيرها من تراجم الشعراء (٧). فيجوز إذن أن لبعض هذه النصوص أصلا من حيث الجملة في أخبار المتنبي لياقوت، ولكنه كما جاء على ظهر كتاب الإبانة لا يمكن أن يكون كله من قوله لانقطاعه وكثرة وجوه الخلل فيه ومنها :

* قوله في فاتحة النصّ (وكان **محظوظا** في حياته ... قد انتدب العلماء لشرح ديوانه وشرحوه شروحا كثيرة، فمنهم من تكلم على ديوانه أجمع ومنهم من تكلم على بعضه ...) ثم سرد اثنين وأربعين كتابا من مطوّل ومختصر وقال (**ولم نسمع بديوان شعر** ...)، فهذا يشبه قول ابن خلكان ١/ ١٢١ (**واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه**، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفت له على أكثر من أربعين شرحا ما بين مطوّلات ومختصرات، **ولم يُفعل هذا بديوان غيره** ولا شكّ أنه كان رجلا **مسعودا** ورُزق في شعره السعادة التامّة)، فهذا التشابه فيه غرابة، وشيخ ابن خلكان لم يكن ياقوتا بيقين فإنه دخل حلب في شهر ذي القعدة سنة ٦٢٦ بعد وفاة ياقوت بشهرين (والناس يثنون عليه ويذكرون فضله وأدبه ولم يقدّر لي الاجتماع به) كما قال في الوفيات ٦/ ١٣٩ .
* ولم يصرّح بأن قوله (وكان محظوظا في حال حياته ...) وما بعده من أسماء الكتب : من كلام ياقوت، وإنما نسب إليه ما قبله من أخبار وما بعده من تعقيب وهو قوله (ولم نسمع بديوان ...) المشار إليه أعلاه .
* لم يرد للمعجز ذكر في معجم الأدباء مع وجود المقتضى لأنه أورد فهرس كتب المعرّي على سبيل الاستقصاء من عدة نسخ كما مضى ولو علم بكتاب آخر وأثبته في أخبار المتنبي ما تأخر عن إثباته في المعجم الذي قضى عمره في تصنيفه واتهموه بالبخل لأنه لم يسمح بنسخه مادام في المسودة.
* لم يرد له ذكر في كتب صاحبيه القفطي وابن العديم مع وجود المقتضى ذاته، ولا يرتاب من يعرف أحوال القوم وشدة ضبطهم وتحريهم وحرصهم على السماع وتحصيل المصادر : أنهما يعرفان كتاب صاحبهما في أخبار المتنبي، وقد أسند إليه ابن العديم بعض أخبار المتنبي التي أوردها .
* لا يليق بياقوت ذكر المعجز مع الشروح التامة لأنه على فرض وجوده لا يمكن أن يكون شرحا تاما (وفرغنا من ذلك في المقال الأول)، والأشبه به أن يُؤخَّر ذكره إلى ما يماثله من كتب المعاني أو السرقات أو غيرها . فالقائل إذن لم يعاين المعجز .
* وذكر من الشروح التامة شرح ابن الإفليلي وشرح الأعلم الشنتمري، والذي في المعجم ٦/ ٢٨٤٨ أن الشنتمري ساعد ابن الإفليلي في شرح الديوان (وأوضح الدكتور محمد بن شريفة في كتابه القيم : أبو تمام وأبو الطيب عند المغاربة ١١٢ بناء على رؤية جزء الأعلم : أنه أكمل الكتاب، واعترض عليه

الدكتور مصطفى عليان في مقدمته لشرح ابن الإفليلي ولا أرى قوله يصحّ إذ لم ير ذلك الجزء)، فالشرحان في نظر ياقوت شرح واحد وإثبات شرحين تامّين يدلّ على أن القائل غير ياقوت .

* يذكر أن لكمال الدين الواسطي شرحا على الديوان (وهو آخر الشروح السبعة عشر المستوفاة) ، والغريب أن ياقوتا ترجم له في المعجم ٥/٢٢١٨ فقال ما لا مزيد عليه في الدقّة (صنّف عدة تصانيف وهي على ما أملاه عليّ هو بباب داره من حاضر حلب في جمادى الأولى سنة ٦١٣ . . .) وسردها وفيها أشياء لم تتمّ بعد وليس منها شيء عن المتنبي . وكان قال قبل ذلك (مات بحلب في يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة ٦٢٦) أي قبل وفاته هو بخمسة أشهر . لست أدفع أنه شرح الديوان ولكن أكاد أجزم أن ياقوتا لو علم بهذا الشرح وأثبته في أخبار المتنبي لأثبته في المعجم كذلك .

* قوله (فهذه سبعة عشر شرحا مستوفاة لسائر ديوان المتنبي) غلط بحت لا يقع في مثله ياقوت لأن نحو نصفها تقريبا كتبٌ في سرقاته ومختارات من الديوان وما إلى ذلك ، فالظاهر أن القائل لا معرفة له بتلك الكتب .

* ورد اسم الحاتمي فيه هكذا (أبو الحسن محمد بن المظفّر الحاتمي صاحب الرسالة الحاتمية وجبهة الأدب) . وهو محمد بن الحسن بن المظفّر وكنيته المشهورة أبو علي ، وجبهة الأدب هي الرسالة الحاتمية في نصّها المطوّل واسمها الصحيح (الرسالة الموضّحة) ، ودعاها بعضهم جبهة الأدب لعبارة وردت فيها كما ترى من مقدمة محققها الدكتور محمد يوسف نجم . وقد ترجم ياقوت له وكناه بأبي علي وذكر الموضّحة باسمها وساق نصّ الرسالة الموجز في المعجم ٦/ ٢٥٠٧-٢٥١٨ .

* يلاحظ أن الإبانة للعميدي (المتوفى سنة ٤٣٣) جاء الأخير في الترتيب مع أنه يأتي في أوائلها من جهة القدَم ومن جهة المضمون لأنه في سرقات المتنبي كالمنصف لابن وكيع الذي جاء ترتيبه الحادي عشر .

فهل من المصادفة أن النصّ انتهى إلينا مكتوبا على ظهر نسخة من الإبانة بخط ناسخها ؟

* جاء في النصّ المطبوع بعد الإبانة [الموجودة فيه هذه النسخة] هكذا بين مربّعتين ، ولاشك أن الأستاذ محمود شاكر وجدها في الأوراق وضبّب عليها لأنه رأى أنها لا يمكن أن تكون من قول ابن عساكر . أما وقد اتّضح أن النصّ كلّه ليس من كلامه فالظاهر أنها من أصل الكلام وأن الذي جمع هذه النبذة إنما جمعها لإلحاقها بهذه النسخة من الإبانة ولا سيما أن الناسخ واحد .

* لم أعثر على ثمانية عشر من هذه الكتب الاثنين والأربعين في معجم الأدباء ، ومن ذلك أنه ترجم للعميدي في ٥/٢٣٤٨ وذكر مصنّفاته وليس منها الإبانة مع شهرته . ووقعت في المعجم على بضعة عشر كتابا عن المتنبي لم تُذكر في القائمة .

* وفي النصّ وجوه أخرى من الاضطراب لا يتسع الحيز لبسط القول فيها .

والحاصل أنه قول شاذ منقطع ، وبينه وبين مصدره الأول في كتاب ياقوت مفاوز ، ولا يمكن القطع ولا الترجيح بأنه كان فيه ، بل الأقرب أن العبارة المقصودة لم تكن فيه لعدم ذكر المعجز في معجم الأدباء وسائر كتب معاصريه والسابقين عليه ممن وقفنا على آثارهم قبل ابن أبي الإصبع . ولا ريب في أن من يختصر كتابا لا يمتنع من إضافة أشياء هنا وهناك يرى أن فيها فائدة وقد لا يعتني بإيضاح أنها زيادات على الأصل ، فإذا تكرّر ذلك ضاعت المعالم وتعذّر أن تنسب الأقوال كلّها إلى صاحب الكتاب الأول .

وأغلب الظن أن أحد المتأخرين ، ياقوت العربي أو الحسن المتطبب أو ناسخ الإبانة أو غيرهم ، قرأ عبارة ابن خلكان وفيها إشارة إلى معرفة شيخه بأربعين شرحا وزيادة ما بين مطوّل ومختصر وما رزقه الديوان من عناية وسعادة ، فجمع أسماء اثنين وأربعين كتابا من هنا وهناك للوفاء بالعدد (ووجدت ما يشير إلى أن مصدره ربما يكون الوافي للصفدي ولم يتّسع الوقت لتحريره) ،

وكان من ضمنها المعجز المذكور في وفيات الأعيان وكتب المتأخّرين، وكسرها على قسمين : سبعة عشر شرحا مستوفاة والبقية مختصرات ونحوها، وخلط في ذلك غاية التخليط . وعقّب على الجميع بعبارة ياقوت (ولم نسمع بديوان شعر . . .) لأنه يختصر كتابه أو مختصره، واكتملت دائرة الجهالة بنسبة الكلام كلّه إلى ابن عساكر !

وبعد أن اتّضح أن القول لا يمكن أن يكون قول ضليع باللغة كالحافظ وياقوت : فلا بأس بذكر احتمال أن يكون قوله (اللامع العزيزي ومعجز أحمد أيضا لأبي العلاء المعرّي) إشارة إلى كتاب واحد . ويساعد على هذا التخريج ركاكة أسلوب جامع الأوراق، فإنه يقول في التعبير عن شهرة المتنبي حيّا وميّتا (وكان محظوظا في حال حياته : ما زال معظّما عند الملوك، وفي حال وفاته : قد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة)، ثم فصّل أسماء الشراح (وهما [كذا] ضربان : منهم من تكلم على ديوانه أجمع ومنهم من تكلم على بعضه . فمَنْ تكلم على شعره أجمعَ، فهو[كذا] أول من شرحه : ابن جني . . . وكتاب اللامع العزيزي ومعجز أحمد أيضا لأبي العلاء المعرّي) . ويساعد عليه أيضا أنه كرّر كلمة (كتاب) إحدى وأربعين مرّة أمام واحد وأربعين كتابا ومنها الكتابان والثلاثة لمؤلف واحد فكان المعجز هو الاستثناء الوحيد.

ورحم الله ياقوتا فلو رأى هذا القول يُنسب إليه لاعتصم بأنه منع الناس من اختصار كتبه وقال (اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خَلق سويّ فقطّع أطرافه فتركه أشلّ اليدين أبتر الرجلين أعمى العينين أصلم الأذنين) كما في البلدان ١/ ١٤ ولكنهم قديما وحديثا لا يسمعون ولا يطيعون !

(١١) قول البديعي

وقع البديعي على هذا الأوراق فساق منها خبرين أسندهما إلى ياقوت (الصبح المنبي ٦٨ و ٢٦٦ وهما في ٦٦٢ و ٦٦٤ من كتاب المتنبي) ولم يسند إليه غيرهما، فيدلّ على أنه لم يقف على كتاب ياقوت مطوّلا ولا مختصرا . ثم أورد النصّ المشار إليه في ٢٦٨ غير منسوب لأحد كأنه من كلامه هو، فقال (وقد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة، فمنهم من تكلم على ديوانه أجمع ومنهم من تكلم على بعضه، فمن شروحه : كتاب ابن جني وهو أول من شرحه، وكتاب اللامع العزيزي لأبي العلاء المعرّي وكتاب معجز أحمد لأبي العلاء أيضا) ، ثم مضى في سرد الشروح فذكر واحدا وأربعين كتابا أولها الفسر وآخرها الإبانة على ترتيبها هناك، وسقط كتاب سعد بن محمد الوحيد سهوا منه أو من الناسخين أو المحققين . ووقع البديعي في الأخطاء التي وقع فيها جامع الأوراق وأبهم من أسماء الكتب وعيّن كما وقع هناك، ولكنه حذف الإشارة إلى عدد الشروح التامة لأنه فيما يظهر أدرك ما فيها من خلل، وعقّب على ذلك الجملة نفسها وهي قوله (ولم نسمع بديوان شعر . . .) ولم ينسبها إلى ياقوت . ولا أستبعد أن البديعي رأى هذ النسخة من الإبانة أو نسخة منقولة عنها بدليل اقتباسه أكثر نصوص الإبانة أو كلّها وأشار في ١٨١ إلى وقوفه على كتاب العميدي ووعد بإيراد كلامه والردّ عليه .

هذا، وقول البديعي لا تقوم به حجة لأنه متأخر توفي سنة ١٠٧٣، فقد أورد أسماء الشروح كما وجدها ولم يستدرك شيئا حتى الشروح المتأخّرة . وقد تصرّف في النصّ فأصلح ركاكته كما ترى، ولكنه جعل الكلام نصّا على أن اللامع والمعجز كتابين وكانت العبارة تحتمل أنهما كتاب واحد . ولا يدلّ ذلك إلا على أنه هو يظنّهما كتابين، وليس لرأيه كبير قيمة لأنه لم يقف على اللامع بَلْهَ المعجز، ولم يوضح ما دعاه للتصريح بأنهما كتابان ، وقد ألّف كتاب (أوج التحرّي) خاصّا بأبي العلاء وسيرته وكتبه على سبيل البسط والتفصيل، وأطال في النقل من كتبه السبعة التي وقف عليها أو على أجزاء منها (وهي الفصول والأيك والألغاز والملائكة والغفران والسقط واللزوميات)، فلم يذكر عن اللامع والمعجز الا الخبرين الذين أوردهما ابن خلّكان (ويأتي حديثهما بعد) .

ويحسن الإلماع إلى نكتة هنا - وإن كان محلّها المقالة الأولى - وهي أن البديعي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٧٣ جمع كتابين عن المتنبي والمعرّي ومع ذلك نقل ذكر المعجز من ابن خلّكان وهذه الأوراق، ولم يعقّب عليه بما يدلّ على بقائه إلى عصره ولم يقف على شيء من نسخه المزوّرة مع أنه معاصر لأولئك النسّاخ الشاميين، والمتوقّع أنه يعرفهم أو يعرفونه. فهذه قرينة جيدة على أن المعجز المنحول لم يكن معروفا لعلماء الشام في القرن الحادي عشر.

(١٢) جهل القفطي بالكتاب

يقول ياقوت في معجم الأدباء ٥/ ٢٠٢٩ عن القفطي (وكان جمّاعة للكتب حريصا عليها جدّا، لم أرَ في من لقيت مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشدَّ اهتماما منه بها ولا أكثر حرصا منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد).

وقال ابن شاكر (جمع من الكتب ما لا يوصف وقُصد بها من الآفاق وكان لا يحبُ من الدنيا سواها! ولم تكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار) (٨)، ومن طالع إنباه الرواة يجد له نوادر في هذا الباب.

وكان القفطي، مع حرصه على الكتب عامة، حريصا على كتب أبي العلاء خاصة كما يتّضح من ترجمته في إنباه الرواة، ومن ذلك سؤاله عن الأيك والغصون حتى وجده في فهرس وقف نظام الملك الطوسي ببغداد، ورؤيته لنسختين فريدتين من إسعاف الصديق وقاضي الحق وعلمه بخبر الحريق الذي قضى عليهما لاحقا، وبلغ به الأمر أن نصَّ على كتب المعرّي التي سمع بها ولم يقف عليها (انظر إنباه الرواة ١/ ١٠٢ وتعريف القدماء ٩٤). فمن اللافت للنظر أن القفطي مع الحرص واليد الطائلة وقرب العهد والدار لم يقف على المعجز ولم يسمع به.

(١٣) دعوى وقوف ضياء الدين بن الأثير عليه

قال الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة في مقدمة المثل السائر ١/ ٢٥ في الحديث عن مصادر الكتاب (وقد اعتمد ابن الأثير نفسه على كثير من أمهات الكتب في كل فن من الفنون التي تعرّض لها، وقد أشار إلى تلك المراجع في أثناء دراسته)، وذكرا معجز أحمد وأغفلا اللامع!

وقولهما - وأظن القائل بدوي طبانة وحده - غلط بحت ومجرّد كلام إنشائي لابرهان عليه فيما ظهر لي، فليس في المثل السائر (المقصود بقولهما: دراسته) ذكر للمعجز، وقد راجعت فهارسه بحثا عن موارد المعرّي فوجدت الإحالة على بضع صفحات فيها الاستشهاد بكلامه وذكر اللزوميات لا غير. وراجعت فهرس الكتب ٣/ ٥٤٣ تحت معجز أحمد فلم أجد إلا الإحالة على ١/ ٢٥ أي كلامهما في المقدّمة! ولا أشك ألبتة أنهما ذكرا المعجز بلا تحقيق وأن المقصود هو اللامع كغيرهما من المعاصرين، مع أن اللامع لا ذكر له في الكتاب، والظاهر أنه مثال على التحقيق من الذاكرة.

وأيضا لم يرد للمعجز في الاستدراك وهي رسالة ابن الأثير في الرد على رسالة ابن الدهّان، والرسالتان موضوعهما شعر المتنبي.

(١٤) جهل ابن معقل بالمعجز

وممن لم يذكر المعجز: أبو العبّاس أحمد بن علي بن معقل الأزدي الحمصي المتوفى بدمشق سنة ٦٤٤، وكان من شيوخ الأدب البارزين في عصره وبقي لنا كتابه (المآخذ على شرّاح ديوان المتنبي) الذي يقول في مقدّمته (والشروح التي تتبّعتها واستخرجت مآخذها هي شرح ابن جنّي وشرح أبي العلاء المعرّي وشرح الواحدي وشرح التبريزي وشرح الكندي)، فلم يعرف إلا شرحا واحدا هو اللامع العزيزي الذي صرّح باسمه في موضعه من الكتاب (انظر عن ذلك كله مقدّمة هلال ناجي للمآخذ على أبي اليمن الكندي في المورد ٦/ ٣/ ١٦٥-٢١٢، ١٩٧٧).

(١٥) جهل ابن العديم بالكتاب

أما مؤرخ بلاد الشام كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ فإنه كتب في بغية الطلب ترجمة طويلة للمتنبي لو أفردت صارت كتابا لطيفا (تجدها بخطّه الجميل في المصوّرة ٢/ ٤٤-٩٤ والمطبوعة ٢/ ٦٣٩-٦٨٦ وكتاب المتنبي للأستاذ محمود شاكر ٦٠٧-٦٥٦، وأثنى على نفاستها إحسان عباس في وفيات الأعيان ٧/ ٣٠٩)، وترجم لأبي العلاء ترجمة نفيسة مماثلة لها في الطول (المصوّرة ٢/ ٣٧١-٤٣٠، والمطبوعة ٢/ ٨٦٣-٩١٣ وليست في تعريف القدماء)، وليس فيهما ذكر للمعجز.

وأيضا لم يأت ذكر له في الإنصاف والتحرّي وهو كتابه الحافل في الذبّ عن أبي العلاء، وقد أورد فيه فهرس أسماء كتبه والكلام عليها وعلى مقاديرها تفصيلا بما يماثل كثيرا ما عند صاحبيه ياقوت والقفطي وزاد في أسماء الكتب أشياء قليلة ليست لديهما. ولم يتطرّق له في تذكرته (وهي منشورة مصوّرة بخطّه أيضا) وفيها بعض أخبار للمتنبي والمعرّي. فلا ريب أنه لو عرفه لحرص على إثباته في هذه المظانّ أو أحدها.

ومن طالع سيرة ابن العديم ورحلاته وآثاره وما فيها من اللطائف والنوادر التي لاتوجد عند غيره: علم أن الرجل كان في غاية الاطلاع والتحقيق وكثرة الرواية والأسانيد ومجالسة فحول العلماء ومراسلتهم واقتناء نوادر المصنّفات، وكان حريصا غاية الحرص على أخبار المعرّي وآثاره خاصّة وما يتّصل بتاريخ حلب وبلاد الشام عامّة، وكان قريب العهد والدار من أبي العلاء، ثم إنه كان ثريّا جدا بحيث ينال من ذلك ما يريد. فمن الغريب أنه، على الرغم من ذلك كله، لم يعرف هذا العنوان المثير (معجز أحمد) المتعلّق برجلين أطال الكلام عليهما.

أقول: لم يعرف الكتاب مع أن ابن أبي الإصبع أوصل العنوان إليه! لأنه ألف إحدى نسخ التحبير باسم ابن العديم - كما يأتي - ولا ريب أن المعجز مذكور فيها إذ لم يذكر المحقق خلافًا بين النسخ في هذا الموضوع.

فإما إنه لم يقرأ خطبة الكتاب المؤلف باسمه وهو بعيد، أو إنه أدرك أن ابن أبي الإصبع لا يُتّكأ عليه في إثبات كتاب للمعري لم يعرفه الثقات ولا في تسمية كتاب موجود بغير اسمه المعروف (أي اللامع العزيزي).

(١٦) كراريس ابن العديم

يلفت النظر أن ابن العديم (في الإنصاف ٥٤٠) أضاف كتابا ذا صلة بالمتنبي إلى قائمة كتب المعرّي، فإنه لما فرغ من اللامع وذكر مقداره وهو ١٢٠ كرّاسة قال (وكتاب في معاني شعر المتنبي ومقداره ست كراريس). وبيّن جدا لمن تأمّل الفهرس في كتابه وكتابي ياقوت والقفطي ومن نقل عنهم وهم كثير: أن ابن العديم استدرك هذا الكتاب على القائمة، ولا تثريب عليه في ذلك لأن غرضه سردُ مصنّفات أبي العلاء لا رواية الفهرس بنصّه.

الأصل أن هذا الكتيّب لا صلة له بالموضوع - إلا إذا قام الدليل على أنه معجز أحمد أو جزء منه وهيهات - لأن رسائله ومصنّفاته الصغيرة كثيرة، فله أمال في مئة كرّاسة وديوان رسائل (وبعض كتب في العروض والشعر بدأ بها لم تتمّ أو تمّت وشذّ عنّا أسماؤها) كما قال أصحابه. ولدينا من ذلك رسالة صغيرة تتصل بشعر المتنبي عنوانها (الأوزان والقوافي في شعر المتنبي) نشرها محمد طاهر الحمصي (في مجلة المجمع الدمشقي ٥٧/ ٥٩٩-٦١٤، ١٩٨٢)، وهي في الواقع مفردة من اللامع العزيزي وقد وقفت عليها فيه، فلا يستغرب أن تكون له الرسالة التي ذكر ابن العديم رحمه الله أو أن يستخلصها بعضهم من اللامع مثلا ويجعلها رسالة مفردة. ولا يخفى أن ابن العديم كان يحصي آثار أبي العلاء فيقتضي ذلك أن يذكر الكتاب باسمه كما فعل بسائر الكتب، أما لو كان يذكر الكتاب في معرض الاستفادة منه فربّما يسمّيه بما تيسّر من الأسماء.

ولكن أحد محققي تعريف القدماء في صفحة ٢٧٥ قال جازما (ذكر ابن العديم كتابا في معاني شعر المتنبي مقداره ست كراريس ولم يذكر اسمه ومن الواضح أن هذا

الأخير هو معجز أحمد)، وسار الأستاذ محمد سليم الجندي على ذلك في كتاب الجامع لأخبار المعرّي ٢/ ٧٦٠ والدكتور السعيد عبادة في كتاب أبو العلاء الناقد الأدبي ١١٢ . وهذا يشبه ما وقع للشيخ الجليل علي الطنطاوي مدّ الله في عمره، إذ كان يكتب (مكة) فيهزّ مصحّح الجريدة رأسه عجبا من جهل الشيخ فيستدرك عليه (المكرّمة) بقلمه الأحمر! ويكتب (المدينة) فيجعلها (المدينة المنوّرة)! وذلك أن ابن العديم من المؤرخين الحفّاظ الأثبات وله الباع الطويل والقدم الراسخة في معرفة الكتب والمصنّفات وآثار أبي العلاء خاصة، إلى ثروة طائلة يستطيع بها نيل ما يريد، وكان قريبا منه في الزمان والمكان كقرب صاحبيه ياقوت والقفطي، وترجم له ترجمة مستفيضة وألّف كتابا لا مثيل له في دفع الظلم عنه، ويقول (روى عنه جدُّ جدّي)، ويقول (كتبه محصورة)، وخزائن الكتب لعصره حافلة ومجالس العلم عامرة، ومع ذلك لم يسمِّ هذه الرسالة الصغيرة معجز أحمد ولم يذكر المعجز إطلاقا (مع أن ابن أبي الإصبع أهدى إليه الكتاب الذي فيه ذكر المعجز!)، ثم يأتي رجل فاضل في القرن الرابع عشر فيصحّح (غلطته) ويقول جازما (لم يذكر اسمه ومن الواضح أنه معجز أحمد) بلا دليل ألبتة ولا وقوف على الكتاب. وهكذا ينقلب كلام ابن العديم - الذي لا يشكّ المنصف أن جهله بوجود المعجز وهو يكتب أخبار أبي العلاء وفهرس كتبه على سبيل التفصيل ويسرد أسماء مؤلّفاته ويستدرك عليها: قرينة قوية على أنه لم يوجد - فيصبح دليلا على أنه كان معروفا لابن العديم وغاية ما هناك أنه قصّر في تسميته.

أما مقدار هذا الكتيّب فهو ستّ كراريس كما قال ابن العديم وهو أدرى بما يقول. وقد ضبط المؤرخون الأثبات وهو منهم مقادير كتب المعرّي بالكراريس، فأضمن طريقة لتقديره بالأوراق هي مقارنته بالكتب الباقية، وقد كفانا الحافظ الذهبي مؤونة ذلك إذ قال عن ملقى السبيل وهو أربع كراريس (إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراسة زوجين من الورق) (٩)، أي ورقتين لاغير،

والكتاب مطبوع مع الحواشي في ١٦ صفحة (رسائل البلغاء ٢٨٣-٢٩٩). وأطبقوا على أن اللامع ١٢٠ كراسة ومخطوطته ٢٤٨ ورقة فهذا برهان ساطع على صحّة قول الذهبي، ومثله أن كتاب استغفر واستغفري ١٢٠ كراسة فيها عشرة آلاف بيت فيكون نصيب الصفحة واحدا وعشرين بيتا. ومقادير الكتب المطبوعة تؤيد ذلك: فاللزوميات ١٢٠ كراسة وهي مطبوعة في ١٢٨٠ صفحة (طبعة دار صادر البيروتية)، وعبث الوليد عشرون كراسة وهو في الطبعة المصرية بضع ومئتا صفحة، ورسالة الصاهل أربعون كراسة وهي مطبوعة في ٦٣٠ صفحة بسبب إطالة المحقّقة في الحواشي (وإحدى مخطوطتيها ثمانون ورقة والأخرى أكثر من ذلك لأنها نسخت بخط كبير لخزانة أحد السلاطين)، وسقط الزند خمس عشرة كراسة وهو نحو مئتي صفحة. فالكراسة إذن ورقتان أي أربع صفحات، ولا غرابة أن تخرج مطبوعة مع ما يضيفه الناشرون من مقتضيات التحقيق والشرح والطباعة في أكثر من ذلك إلى عشر صفحات. ويمكن الجدل في بعض هذه الأرقام ولكن الشاهد أن الكراسة فيها لا يمكن أن تكون عشر ورقات، وصرّح الميمني بذلك فقال في كتابه ٢٨٠ (وهذه الكرّاسة ليست بمعنى ١٠ أوراق) وأيّد قول الذهبي.

ويمكن تأكيد ذلك من وجه آخر باعتبار مقادير بعض الكتب المفقودة، فالأيك والغصون ١٢٠٠ كراسة وتضمين الآي ٤٠٠ كراسة وتاج الحرّة ٤٠٠ كراسة، فلو كانت الكراسة عشر ورقات فإن مقاديرها تتجاوز المعقول.

نعم، ثمت نصوص كثيرة تدلّ على أن الكراسة في غير فهرس المعرّي عشر ورقات كما نقل الدكتور عبدالعزيز المانع عن الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله، ويقابلها نصوص مثلها أو أكثر منها تدلّ على أن عشر الورقات عند المتقدمين يسمونها جزءاً (١٠). ولا بدّ أن له تفسيرا، والأشبه أنه اختلاف في معنى الكرّاسة بين الناس أو العصور بدليل أن الذهبي - ومعرفته بهذه الأمور أظهر من أن يشار إليها - لم يعرف مقدار الكراسة في

الفهرس إلا بالاستنباط، فلعلّ ذلك كان لأنها عشر ورقات في عصره. ولا ريب أن التفاوت بين ورقتين وعشر ورقات كبير جدا لا يفيد معه التعلّل باختلاف خطوط الناسخين، ولايسوغ أن يقال إن الكراسة التي تكرّرت عشرات المرّات في كتاب الإنصاف والتحرّي تدلّ على ورقتين ولكنها في هذا الموضع فقط تدلّ على عشر ورقات.

(١٧) جهل صاحب التبيان بالمعجز

طُبع التبيان في الهند سنة ١٢٦١ منسوبا إلى أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفّى سنة ٦١٦، وأعيد طبعه في بولاق سنة ١٢٨٧، ثم نشره بعض الأساتذة في مصر على غير مخطوطات بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة المتنبي فانتشر ذكره بين الدارسين. وهو من أحسن الشروح ولكنه ليس للعكبري ألبتة، والأقرب أنه لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي المتوفّى بمصر سنة ٦٦٦ وكان تلميذا لأبي البقاء (١١) وعرف القفطيَّ وياقوتا وابن العديم وابن خلكان وغيرهم من أعلام القرن السابع.

وقد اطّلع مؤلف الكتاب على كثير من شروح ديوان المتنبي المشرقيّة منها والمغربية وأكثر النقل منها، ومنها اللامع العزيزي لأبي العلاء الذي اقتبس منه نصوصا كثيرة. أما معجز أحمد فلم يشر إليه على الإطلاق.

(١٨) دعوى وقوف ابن أبي الإصبع عليه

ذكر ابن أبي الإصبع (لذي عاش بين ٥٩٥-٦٥٤)(١٢) معجز أحمد ضمن مصادره فقال في تحرير التحبير ٩٠ (ولقد وقفت من هذا العلم [علم البديع] على أربعين كتابا، منها ما هو منفرد به وما هذا العلم أو بعضه دخل في بعضه: كنَقْدَيْ قُدامة . . . وشروح أبي العلاء الثلاثة: ذكرى حبيب وعبث الوليد ومعجز أحمد) ثم نقل منه هذا النصّ الطويل (١٣) وهو قوله:

باب الطاعة والعصيان: هذا النوع استنبطه أبو العلاء المعرِّي عند نظره في شعر أبي الطيب المتنبي وشرحه له من قوله:

يردُّ يدا عن ثوبها وهو قادر
ويعصي الهوى في طيفها وهو راقدُ

وسمّاه الطاعة والعصيان أعني المعرِّي وفسّره بأن قال «وهو أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع، فيستعصي عليه لتعذّر دخوله في الوزن الذي هو آخذ فيه، فيأتي موضعه بكلام غيره يتضمّن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذي قصده، كهذا البيت الذي ذكرتُه للمتنبي فإنه أراد أن يكون في البيت مطابقة فيحتاج لأجلها أن يقول (يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ) حتى إذا قال (ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد) يكون في البيت مطابقة، فلم يطعه الوزن فأتى بقادر مكان مستيقظ لتضمّنه معناه، فإن القادر لا يكون إلا مستيقظا وزيادة، فقد عصاه في البيت الطباق وأطاعه الجناس لأن بين قادر وراقد تجنيس عكس».

هذا كلام المعرِّي على البيت وهذا المعنى من البديع، ولم يأت بشاهد غيره، وتبعه الناس بعد فأثبتوا هذا الباب وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام واستشهدوا بهذا البيت ولم يأت أحد منهم بغيره وأضربوا جميعهم عن النظر فيه إما لحسن ظنّهم بالمعرِّي وموضعه من الأدب واعتقادهم فيه العصمة عن الخطإ والسهو فيه وإما أن يكون قد مرّ عليهم ما مرّ عليه في هذا البيت (انتهى كلام ابن أبي الإصبع، ويليه ردّه على المعرّي).

يبدو من النظرة الأولى أن هذا النصّ هو أقوى الأدلة على وجود المعجز واستقلاله لأن ابن أبي الإصبع صرّح فيه بالوقوف عليه والاستفادة منه ونقل الكلام منه على لسان أبي العلاء (بدليل قوله: ذكرتُه) مع تعيين بداية الاقتباس ونهايته. ولم يصرّح بذلك غيره من المؤلفين منذ عصر أبي العلاء إلى اليوم إلا من نقل كلام ابن أبي الإصبع من المتأخرين. ولكن إذا تأمّلت هذا النصّ وجدتّه كالغربال! فممّا يلاحظ عليه أنه يقول في سياق

الإشارة إلى كثرة مصادره (شروح أبي العلاء الثلاثة) بهذه الصيغة الحاصرة وليس منها اللامع مع أن المطّلع على تراث أبي العلاء ومنزلة اللامع بين الشروح يدرك أن العهد الذهني في (الثلاثة) يقتضي ذكر اللامع وحده أو ذكرَه أولا ثم الإشارة للكتاب الآخر . ويلاحظ عليه أن قوله (عند نظره في شعر أبي الطيب وشرحه له) ينطبق على اللامع قبل غيره . فمن الغريب جدًا أن ابن أبي الإصبع يغفل كتاب أبي العلاء الذي طبّقت شهرته الآفاق ويذكر كتابا لم يعرفه تلاميذه فمن بعدهم من المترجمين والشراح ولا سيما المحققين الحلبيين الثلاثة ذوي الاهتمام الفائق بالتاريخ والكتب وآثار أبي العلاء المعرّي، ثم لا يشفع ذكره بما يدلّ على أنه كتاب نادر الوجود بل يسوقه على أنه أحد الشروح الثلاثة التي يعرفها الناس .

وفي عباراته تناقض آخر أهمّ كثيرا : فالذي يقرأ العبارة المنسوبة لأبي العلاء ، خاليَ الذهن لا يفهم إلا أن المعجز كان كتابا في علم البديع :

* فأسلوب الكلام إجمالا هو أسلوب أهل البديع كابن أبي الإصبع لا أسلوب أبي العلاء .
* وقوله (استنبطه . . . وسمّاه الطاعة والعصيان، أعني المعرّي) صريح بأن المعرّي استنبط الباب وسمّاه بهذا الاسم لا أنه استنبطه فقط ثم سمّاه اللاحقون بناء على كلامه، وهي دعوى عارية عن البرهان لأن كلامَ أبي العلاء الذي أورده لا يدلّ على أنه وضع الاسم .
* وقوله (فسّره بأن قال : وهو أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع . . . ويحصل به معنى من البديع . . . هذا كلام المعرّي على البيت وهذا المعنى من البديع) صريح في أن المعرّي كان يفسّر مصطلحا بديعيا، وتكرّرت كلمة البديع ثلاث مرات - والأولى والثانية على لسان المعري - تأكيدا لذلك .
* وقوله (ولم يأت بشاهد غيره) يعني أن المعجز كان كتابا في البديع ليصحّ قوله (شاهد) ومحاسبته للمعرّي على عدد الشواهد، أما إذا كان أورد بيت المتنبي أولا وعقّب عليه بهذه الملاحظة فلا معنى لهذا الكلام لأن الشاهد لا يكون شاهدا إلا بعد ذكر الدعوى .
* وقوله (تبعه الناس بعدُ **فأثبتوا هذا الباب** وتكلموا فيه بمثل هذا الكلام واستشهدوا بهذا البيت) يدلّ على أنه كان فيه باب الطاعة والعصيان فحذا الناس حذوه .

فإذا ذكرتَ أنه في صدر كتابه جعل المعجز شرحا لديوان المتنبي بقوله (شروح أبي العلاء الثلاثة) وأكّده في صدر هذا النصّ بقوله (عند نظره في شعر أبي الطيب المتنبي وشرحه له) ثم يقول على لسان المعرّي (كهذا البيت الذي ذكرتُه) فالبيت مذكور أولا، ووضعتَ في الحسبان أن أبا العلاء ليس له كتب أصلا في علوم البلاغة وأن أكثر تآليفه شروح وأمالٍ على كتب ودواوين، وأن (معجز أحمد) يصلح عنوانا لشرح ديوان أبي الطيّب لا لكتاب في علم البديع : اتّضح لك وجهٌ آخر من وجوه الخلل والاضطراب في قول ابن أبي الإصبع وأن العبارة لا يمكن أن تكون عبارة المعري . بل حتّى قوله (استنبطه أبو العلاء) لا يسلّم له لأن ابن جنّي يقول (ولو أمكنه في موضع قادر : يقظان، لكان أحسن) فردّ عليه أبو الفضل العروضي قائلا (هذا نقد غير جيد . . . وليست الصّنعة في قوله : قادر، وبناؤه من هذه الحروف بإزاء قوله : راقد، بأقلّ ممّا طلب) على ما ترى في شرح الواحدي ٤٦٠ ونحوه في التبيان ١/٢٦٨ . ومن الغريب أن ابن أبي الإصبع يزعم أن السابقين أضربوا عن النظر في هذا المعنى وأنه لم يسبق إليه . وله مناكير أعظم من ذلك كما يأتي بعد .

فإذا تتبّعنا باب الطاعة والعصيان في كتب البديع وقعنا على أمر لا يكاد يصدّق وهو أن الأمير الجليل المجاهد أسامة بن منقذ رحمه الله يستشهد بالنصّ إياه وينقله نقلا صريحا عن اللامع العزيزي في كتابه (البديع في نقد الشعر) ١٧٥ ! وهذا قوله بتمامه :

باب الطاعة والعصيان : اعلم أن هذا باب يُمتحن به العالم والناقد وتعرف به فضيلة الكاتب والشاعر، وهو أن يزيد البيت على ما تقتضيه صناعة النقد فلا يوافقه الوزن فيأتي بما لا يخرج عن الصناعة . ذكر الشيخ أبو العلاء أحمد بن

سليمان المعرّي في كتابه المعروف باللامع العزيزي في ديوان شعر المتنبي في قوله :

يــرد يــدا عن ثوبهــا وهــو قــادر
ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

قال : أوجبت عليه الصناعة أن يقول (يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ) فلم يطاوعه الوزن فلم يخرج عن الصنعة قوة منه وقدرة فقال (قادر) وهو عكس راقد في الصورة والمعنى : أما في الصورة فهو من جناس العكس وأما في المعنى فإن الراقد عاجز وهو ضد القادر ، فتمّ له الطباق صورة ومعنى وهذا من الأفراد الأفذاذ .

وأسامة متقدم على ابن أبي الإصبع فإنه ولد سنة ٤٨٨ في شيزر (غير بعيد من معرّة النعمان) وتوفي نحو سنة ٥٨٤ ، وشرفه ونبله وفروسيته وموضعه من الملوك وغرامه بالشعر والأدب والتأليف والمطالعة واقتناء نوادر الكتب فوق الوصف . وهذا الكلام الذي نقله عن اللامع العزيزي هو من جهة المعنى الكلام نفسه الذي نقله ابن أبي الإصبع عن معجز أحمد وإن اختلفت العبارة بعض الشيء . وأميل جدّا إلى أن ما في كتاب أسامة أقرب إلى جزالة أسلوب أبي العلاء ومعجمه اللغوي على خلاف ما في تحرير التحبير من الإطناب والتكرار وليونة الكلام ووجوه الخلل المشار إليها، وعند أسامة زيادة معنى دقيق وهو قوله (في الصورة والمعنى . . .) فلو كان قوله هو ما خلطه بكلام المعرّي . وليس في كلام أسامة ما يفهم منه أن أبا العلاء وضع ذلك المصطلح وإنما تكلّم على البيت فقط وهو الظنّ به .

والغريب أن ابن أبي الإصبع وقد وقف على كتاب أسامة يقول في كتابه ٩١ (وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم والجمع من أشتات الخطإ وأنواعه من التوارد والتداخل ، وضم غير البديع والمحاسن إلى البديع ، كأنواع من العيوب وأصناف من السرقات ومخالفة الشواهد للتراجم وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأنعم النظر فيه) ، ومع ذلك ينسب النصّ إلى المعجز وأمامه كتاب أسامة ينسبه إلى اللامع بعبارة غير العبارة فلا يستنكر شيئا من ذلك !

ويشهد لأسامة بالصدق وصحة النقل إجمالا : أن ابن أبي الإصبع ينقل الكلام إياه في كتابه الآخر بديع القرآن ١٠٩-١١٠ باختصار وتقديم وتأخير واختلاف عبارة على هذا النحو :

باب الطاعة والعصيان : هذه التسمية تسمية المعرّي عندما نظر في شعر المتنبي وتكلّم عليه في كتابه المترجم بمعجز أحمد يعني المتنبي فأتى على قوله (يردّ يدا) . وقال (أراد المتنبي الطباق فعصاه وأطاعه الجناس، فإنه أراد أن يقول: يردّ يدا عن ثوبها وهو مستيقظ ، فعصاه ذلك لامتناع دخوله في الوزن فقال : وهو قادر ؛ لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس) .

فمن الواضح أنه لا ينقل النصوص حرفيا من كتاب أبي العلاء المفتوح أمام عينيه وإنما يعبّر عنه بالمعنى ولعله كان يكتبه من الذاكرة . لا جرم أن المعنى هو هو ، ولكن اختلاف العبارة يضعف الثقة بنصّ التحبير شيئا ما ويمنع استنباط نتائج منه بناء على أنه كلام أبي العلاء بحروفه ، ومن ذلك أن قوله هنا (عندما نظر في شعر المتنبي فأتى على قوله : يردّ يدا . . .) وإغفال كلمة البديع التي تكرّرت هناك : يؤكد أن الكتاب الذي سمّاه معجز أحمد كان شرحا للديوان لا كتابا في البديع ذا أبواب كما يوهم نصّ التحبير . فيجوز انطلاقا من ذلك أن نصدّق أسامة في عزو القول إلى الكتاب الذي يعرفه الناس على مرّ العصور ولانثق بقول ابن أبي الإصبع في عزوه إلى كتاب لم يعرفه أحد غيره (إلا أن يكونا كتابا واحدا) .

وهذا إشكال لا يتيسر تحقيقه الآن وهو أن الدكتور عبدالعزيزالمانع يؤكد أن النصّ ليس في مظنّه من مخطوطة اللامع - وراجعتها بعدُ فلم أجد النص في الكلام على القصيدة - مع أن أسامة يقول إنه من اللامع وأن ابن أبي الإصبع يعزوه إلى المعجز ويسكت على دعوى أسامة . وأضيف أن أسامة يقول في البديع ٢٠٥

(قال أبو العلاء المعرّي في تفسير شعر المتنبي :

ولحظة في كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

هذا يسميه أهل النقد النقل لأنه نقله من قول البحتري في الخمر :

أفرغت في الزجاج من كل قلب

فهي محبوبة إلى كل نفس)

ولم أجد هذا النص أيضا في مخطوطة اللامع لأنه لم يتكلّم على البيت . ولكن مناقشة هذا الأمر يخرج بنا من تحقيق المعجز إلى تحقيق اللامع ولا يمكن الفصل فيه إلا بعد جمع مخطوطات اللامع وخاصة نسخة طهران التي ذكر سزكين - ويأتي الإلماع إليها - ومقابلة آلاف النصوص المنسوبة لأبي العلاء عليها فربّما نجد ما يفسّر قول أسامة . ولا تنبغي الاستهانة بقول أسامة لأن الاطّلاع على اللامع من أهون الأشياء عليه لثرائه وشهرته باقتناء نوادر الكتب، وقد اقتبس نصوصا من آثار المعري لا نجدها في أي كتاب آخر (انظر لباب الآداب ٣٧٥ والطبعة التامة من كتاب العصا ١٣٤ و ٥٣٥ وغيرها) ، ولا أستبعد احتمال أن تكون هذه النصوص زيادات في نسخته من اللامع، أو أن النسخة التي وصلتنا من اللامع ليست أتمّ النسخ . ويحسن الإلماع إلى تعدد نسخ بعض الكتب بين نسخ قديمة وجديدة واشتمال بعضها على نصوص لا توجد في البعض الآخر لأن المؤلف يتناول الكتاب بالحذف والإضافة (كما في تحرير التحبير وكتب أخرى كثيرة) .

ومن الغريب أن كتاب أسامة طبع ثانية على نسخة أخرى بتحقيق عبدالأمير مهنّا (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧) بعنوان : البديع في البديع، على نسخة مكتوبة سنة ٨٠٤ واسم الناسخ مطموس وعليها تمليكات كثيرة وهي ملك للمحقق كما قال ، وتنقص بعض نصوص عن الطبعة الأولى . ففي هذه الطبعة ورد النصّ الأول هكذا (ذكر أبو العلاء في تفسير المتنبي في قوله . . . وهو عكس راقد) فحذف النصّ على اللامع العزيزي، وحذف قوله في آخر الكلام (في الصورة والمعنى . . . الأفذاذ) . أما الطبعة الأولى فكانت على نسختين تاريخ إحداهما سنة ٧١١ ويقول ناسخها يوسف بن نعمان المارديني عن نفسه (لم يتعرّض إلى تغيير لفظة ولا حرف ولا نقطة ولا حركة في نَقْله من الأصل، بل نَقَله متحرّيا من التغيير، فمن لمح فيه خللا فيعذر لاتّباع نسخه للأصل)، فالظاهر أنها جديرة بالثقة وأن أسامة أخرج الكتاب مرتين .

(١٩) تتمة القول في ابن أبي الإصبع :

هذه الغرائب ونكارة قوله في أسامة جعلتني أتتبع أحواله وأقرأ تحرير التحبير قراءة متأنية . وقد وجدته على شيء من المعرفة بالنقد والبلاغة وتحليل النصوص، ولكنه ليس بشيء فيما يتّصل بالتوثيق والتحقيق التاريخي والأدبي والاطلاع على المصادر ونوادر الكتب، مع جرأة وإكثار من إطلاق المزاعم بأنه لم يُسبق إلى كذا وكذا، وحرص شديد على اختراع أنواع جديدة من البديع والتباهي بذلك، على الضدّ من أسامة في ذلك كله أو جله . وكثير من دعاواه باطل على ما ترى في حواشي محقق الكتاب الدكتور حفني شرف [١٤] وإليك بعض الأدلة على قصَر باعه في أمور التحقيق، وليُعلم أن النسّاخ بريئون منها أو من أكثرها لأن الكتاب طُبع على نسخ جياد مستقلّة وبعضها مما يُركن إليه [١٥] :

* قال في سرد مصادره (نقدي قدامة) ، هكذا في جميع المخطوطات وأعاده في بديع القرآن ، وهو قول غريب جدا لأن نقد النثر منحول على قدامة قولا واحدا (انظر التحبير ٨٧ وحاشية محققه، والبديع ٤) .
* لم أجد أثرا لنحو عشرين من الكتب الأربعين التي زعم أنه وقف عليها، ومنها نقد النثر وذكرى حبيب وعبث الوليد والموازنة والوساطة والصناعتين والمنصف وكشف الظلامة للموفق البغدادي وتفسير الرماني ونظم القرآن للجاحظ والأسرار والدلائل لعبدالقاهر ، وهذا الأمر في غاية الأهمية لأنه يفضي إلى الشك في وقوفه على معجز أحمد ! وقد يكون رأى هذه الكتب أو لم يرها،

ولكن التكثّر بها وهو لم يستفد منها لا طائل من ورائه إلا الغمز بمصادر أسامة السنة ، أما في بديع القرآن فذكر ما يكفي لملء مكتبة مع أنه مستخرَج من التحبير .

* لم يستشهد بشعر أسامة مع أنه أجود من كثير ممن استشهد بشعرهم، وبعد أن رماه بالخبط والفساد لم يذكره باسمه عند الانتفاع بكتابه إلا مرّة واحدة بطريقة ملتوية (صفحة ١٠٤) ، وكنّى عنه في بقية المواضع بالناس أو ببعض المؤلفين أو ببعض المتأخرين أو غير التبريزي أو غير الرُّماني (انظر الصفحات ١٠٥ و ٢٩١ و ٣٢١ و٣٦٠ و ٣٧٢ و ٤٠١ و ٤٥٣ وغيـــرها وحواشي محققه فيها) . وتلوين الكنى على هذه الشاكلة يصرف ذهن القارئ عن أسامة لأنها توهم أنهم رجال كثير . ولا ريب أنه استفاد أعظم الفائدة من التأمّل في عمومه ورؤية الأبواب معقودة أمام ناظريه مشروحة موضحّة بالأمثلة الكثيرة فاستطاع أن يفرغ للاستدراك والزيادة والتحليل وتهذيب أنواع البديع .

* غلط غلطا فاحشا بقوله في ١٦٦ (باب عتاب المرء نفسه : وهو من إفراد ابن المعتز ، ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر أن الآمدي أنشدهما له عن الجاحظ) . فأطنب في الكلام على أن البيتين لا يناسبان الباب مع أن الغلط منه هو أو من نسخته لأن الذي في البديع ٧٤ واضح مستقيم وهو قول ابن المعتزّ (ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي) أي لزوم ما لا يلزم !(١١١) فيكون ابن أبي الإصبع قد اخترع ضربا من البديع بفضل التصحيف، ونقله عنه أصحاب كتب البديع ثقة منهم بكلامه مثل نهاية الأرب ٧/ ١٢٥ وخزانة ابن حجة ١٤٤ وحسن التوسل ٢٣٦ وأنوار الربيع ٣/ ٢٠٣ . وفي النص ثلاثة إشكالات إخرى : فابن المعتز قُتل سنة ٢٩٦ ولعل الآمدي لم يولد حينئذ أو كان طفلا صغيرا لأنه مات سنة ٣٧٠ أو بعدها فكيف ينشد ابنَ المعتزّ؟ وقد نقل المؤلفون هذه الكلمة ولكن بعضهم أورد (الأسدي) مكان (الآمدي) ولا أدري من يكون، وأظن أن ذكر الآمدي أصحّ لأن مخطوطات التحبير وشيجة الصلة بالمؤلف فالأقرب أن الغلط منه . والثاني أن كتاب ابن المعتز ليس فيه ذكر الآمدي ولا الأسدي ولا الجاحظ . والإشكال الثالث أن في كتاب ابن المعتز شواهد أخرى غير البيتين . وذلك كلّه يجعلني في شكّ من وقوفه على كتاب ابن المعتزّ .

* وهذا الخطأ أوقعه في خطأين كبيرين آخرين أوضحهما المحقق في ١٣٥ و ٥١٧ .

* قال (عمرو بن الأهتم التغلبي) ، فخلط بين عمرو بن الأهتم المنقري وعمرو بن الأيهم التغلبي (انظر ١٤٧) وهو تصحيف قديم على ما ترى في الوحشيات ٤١ لأبي تمام وكتب أخرى، وهما مترجمان في كتاب من اسمه عمرو لابن الجرّاح بتحقيق الدكتور عبدالعزيز المانع ١١٦ و١٧٧ وغيره .

* صحّف ابن المعتز إلى ابن المعلى (انظر ١٦٣) .

* وصحّف ابن الدُّوَيدة المعرّي إلى المغربي (انظر التحبير ٣٣١ وبديع القرآن ٣١٥) ، فأضلّ من بعده كما ترى في خزانة ابن حجة ٦٥ وأنوار الربيع ١/ ٣٨٩ .

* وأتى بما يضحك الثكلى في تفسير قول الشاعر :

هما خطتا خسف نجاؤك منها

ركُوبُك حَوْليّاً من الثلج أشهبا

فقال في ٢٤٠ (استعار الركوب للمسافر في الثلج لاحتياج المسافر للركوب) ، والأمر على العكس : فالركوب حقيقي والثلج جاء به لوصف لون الحوليّ وهو المُهر إذا بلغ سنة، والأشهب : الأبيض، وهو هنا أفعل تفضيل على مذهب الكوفيين . ومعلوم أن الشاعر وهو عبدالله بن الزّبير الأسدي ينصح صاحبه بالفرار من وجه الحجّاج إثر الخطبة المشهورة في مسجد الكوفة ولا ثلج هناك ! .

* وفي ٣١٨ تناول بالنقد والتحليل بيت علي بن الجهم :

ومرّت تفوت الطَّرفَ سبقا كأنها

جنود عُبيدالله ولّت بنودُها

فاستغرب أن يُمدَحَ أحد بفرار جنده وقال (وهذا الإنكار وقع مني على ما رُوِي لي عنه، فإن الذي رَوى

لي البيت ذكر أن عبيدالله هو ممدوحه بهذه القصيدة، والعُهدة على الراوي)، وقد أصاب المحزّ لأنها من أمضّ الهجاء. والشاهد أنه لم يستطع تحقيق ما قيل له ولم يعرف عبيدالله ولا تتمّة القصيدة ولا قَدر على مطالعة ديوان ابن الجهم، والظنّ بمثله أن يعرف الحادثة ويحفظ هذه القصيدة المشهورة بلا حاجة للرجوع إلى المصادر، وهي مذكورة في الديوان ٥٩-٦٠ وكتب التاريخ والأدب، ولا تخلو بعض كتبه الأربعين من إلماع إليها (كالمنصف ٨٤ بتحقيق الداية). وعُبيدالله هو عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكّل الذي فرّ عنه ليلة مقتله، وفي القصيدة ما يجلو ذلك وهو قوله:

وفرّ عبيدالله فيمن أطاعه
إلى سقر الله البطيء خمودها

فمن الواضح جدا أن ابن أبي الإصبع إنما يعرف أبياتا مفردة يجدها في كتب البديع ونحوها، لا يكاد يتجاوزها. وذكر الرواية الشفوية في هذا المقام الذي ينبغي فيه الرجوع إلى المصادر الموثّقة: لا يخلو من تفريط.

* ومثله قوله في ٥٩٠ عن أرجوزة لرؤبة (قالوا إنها تزيد على التسعين شطرا)، وذكر مطلعها (قد جبر الدينَ الإلهُ فجبر). وهذا هو الخبط والفساد العظيم والجهل والعجز أيضا، فإنها أشهر أراجيز أبيه العجّاج! وهي ١٨٠ شطرا في ديوانه الذي لم يطّلع عليه ولم يطّلع على ديوان رؤبة، والظاهر أن الذي أخبره لم يفرّق بين البيت والشطر.
* وقال (عوف بن محلم السعدي)، وهو الخزاعي (انظر ٣٦٠).
* ذكر أبو حية النميري والصواب محمد بن عبدالله النميري وهو أموي وذاك عباسي (انظر ٤٨١).
* ولم يستطع تحقيق قائل قصيدة في عصر صلاح الدين (انظر ٥٠٣).
* وقال في ٥٥٨ (هذا عنوان العلم المعروف بالمجسْطي) وهو كتاب بطليموس في علم الفلك.
* لم أجد له أثرا ظاهرا في تحقيق نسبة الأبيات التي لم تنسب في مصادره ومنها أشعار للمشاهير، ويلاحظ في مواضع غير قليلة أن ما يرد غير منسوب في كتاب أسامة يرد غير منسوب لديه.
* ويعدل بما مضى كله - وأنا أنقله حَرجاً به متبرّئاً منه قاصداً للتنبيه إليه - قوله في بابَ الإيداع ٣٨٠، ويعني بالإيداع الاقتباس العَمْد من كلام الغير: (ومثال ما وقع من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات»، وإن أوقعت الفصاحة مثل هذا [فهو] غير مقصود، وكان من الأدب ألا يُذكر هذا والله أعلم. والموهم أنه مُودَعٌ في الكتاب العزيز قول امرئ القيس:

وجفان كالجواب وقدور راسيات

إن صحّت الرواية أنه كذلك وإن رُوي التقديم والتأخير فبطل ذلك) انتهى كلامه. فيسوق الآية شاهدا على الباب راضيا غير مستنكر، ثم لا يجد ما يخفّف به هذا القول الفظيع إلا رخاوة التمسّك بأنه غير مقصود وأن الأدب كان يقتضي عدم ذكره وربما كانت رواية البيت بجعل الصدر عَجُزا والعجز صدرا فيبطل الزعم باقتباس القرآن الكريم من امرئ القيس! ولو قال هذا الكلام أبو العلاء لاستشهدوا به على كفره وإلحاده! وكان الواجب على ابن أبي الإصبع أن يسلك سبيل الأثبات المحققين الغيورين فيقول مثلاً (وهذا البيت تظهر عليه الصنعة والانتحال وطالعت كثيرا من نسخ ديوان امرئ القيس بروايات مختلفة فلم أجده فيه والأشبه أنه من كلام المتأخرين أو الزنادقة!) على نحو ما قال العباسي في معاهد التنصيص ٤/ ١٩٤. وأعتقد أنه وقع على البيت في كتاب أسامة ٢٢٠ فأغار عليه. ويخفّف من خطإ أسامة أنه ساقه ضمن شواهد كثيرة في (باب التوارد وهو أن يقول الشاعر بيتا فيقوله شاعر آخر من غير أن يسمعه) ولم يشر إلى الآية مطلقا والظاهر من سياق كلامه أن الشاعر هو المقتبس (مع أن

ذكر امرئ القيس مشكل، ولا أستبعد أنه تصحيف وربما نقف على قائله فيما بعد)، أما ابن أبي الإصبع فلم يدع للمعتذر عنه مقالا .

هذا بعض ما يتّصل بمبلغه من العلم، أما حاله فيما هو أهمّ وهو الصدق والأمانة – وقد أسلفت دعواه في كتاب أسامة – فله هذه النادرة التي لا تليق بحمَلة العلم: فإنه ألّف كتاب التحبير ثلاث مرات، إن لم يكن أكثر منها، بأسماء ثلاثة رجال: ابن العديم، وابن عمٍّ له، والنسخة الأخيرة المطوّلة باسم رجل من آل ابن سناء الملك (وقد بقيت لنا هذه النسخ الثلاث كما ترى في صفحة ٩٣ وحاشيتها)، فكأنه كان يتوسّع في الكتاب بعض الشيء ويمحو اسم الرجل الأول من خطبة الكتاب ويسوقه إلى رجل جديد لأخذ جائزة جديدة! ويزعم في النسخة المطبوعة ١٣٤ أن ابن سناء الملك هذا أرشده إلى التفريق بين نوعين من البديع كان يراهما نوعا واحدا مع أنه يقول في النسخة الأولى المختصرة (فلما رأيت شواهدهما متباينة أفردته منه!) ورحم الله رفيع الهمّة تمّام ابن غالب التيّاني الذي بُذل له ألف دينار ليكتب: ألّفته لفلان، فقال على فقر وخَصاصة (والله لو بذل لي ملء الدنيا ما فعلت ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة)، على ما ترى في ترجمته من معجم الأدباء ٢/ ٧٦٩ .

ويلحق بهذا الباب قوله في ٢١٢ عن كتاب الردّ على قدامة لابن رشيق (يحلف الحالف صادقا أنه ما تكلّم فيه بحرف واحد إلا وهو مُطبق الجفون ليس له وقت إفاقة ألبتّة) لأن ابن رشيق فرّق بين نوعين من البديع وهو يرى أنهما شيء واحد! وإذا كان يريد أن يصف ابن رشيق بقلّة التقوى فقد وصف هو الخمرَ ومجالس الشراب وتغزّل بالغلمان على عادة كثير من أهل عصره، والله يعفو عن الجميع .

إذا كان هذا حال الرجل وهذا حال النصّ فمن المجازفة أن يُظنّ أن رجلا تصدر عنه هذه الغرائب والجهالات المتراكبة : ينفرد بالوقوف على كتاب لأبي العلاء ليس في قائمة مؤلفاته ولا ذكر له في مصنفات تلاميذه ولم يعرفه مستمليه ولا الحلبيون الثلاثة ولا النقّاد ولا شرّاح المتنبي إلى عصرنا، وعندي أن سكوتهم وتصريح أسامة بأن النص في اللامع العزيزي أقوى كثيرا في ميزان النقد من تصريحه، وأقلّ ما يقال فيه أنه قول شاذّ لا يؤبه له . أما إذا قبلنا أن المعجز في كلامه هو اللامع فلا إشكال أصلا .

ولعلي، بعد أن مهّدت ببيان ضعف حال الرجل، أضع بين يدي القارئ الكريم شيئا غلب على ظني وهو أنه لم يطّلع أيضًا على معجز أحمد ولا على اللامع . وبيان ذلك أنه لم يذكر المعجز في غير هذا الموضع مع وفرة استشهاده بشعر المتنبي . وإنك لتراه وقد استفاد من كتاب أسامة حريصا على غمطه راغبا في مخالفته – وأشار محققه إلى ذلك في ٤٠١ – ووصمَه بالخبط والفساد بلا بيّنة، وفرّ من التصريح باسمه مع أنه لا يتردد في ذكر ابن المعتز وقدامة والحاتمي وابن رشيق والتبريزي والأجدابي والتيفاشي وغيرهم، وزعم أنه لا يُعْتَدُّ به فقال (لا جرم أني لم أعتدّ بكتابه في عدّة ما وقفت عليه من ذلك) فلم يعدّه من مصادره الأربعين مع أن المنصف يجزم بأن الكتاب لم يبلغ في السقوط إلى هذه الغاية وأن استفادته منه تتجاوز استفادته من نصف الكتب الأربعين على الأقل مجتمعة . وكثير من وجوه الاختلاف بينهما تتصل بأمور اجتهادية في تسمية بعض المصطلحات ورسم حدودها .

ولم يتّضح لي سبب انحرافه عن أسامه الذي مات قبل أن يولد هو إلا أن يكون أراد إسقاط كتاب أسامة وصرف الأنظار عنه لينهض كتابه . ولم يكن في واقع الأمر بحاجة إلى ذلك، وكان يستطيع أن يثني عليه بلا انتقاص من قدر نفسه لأن كتابه يختلف من عدّة وجوه عن كتاب أسامة، ولا يضير اللاحق مهما بلغ عمله من إتقان أن يعترف بفضل السابق عليه . وهذا أسامة يقول متواضعا غير مدّع شيئا (هذا كتاب جمعت فيه ما تفرّق في كتب العلماء المتقدّمين المصنّفة في نقد الشعر وذكر

محاسنه وعيوبه، فلهم فضيلة الابتداع ولي فضيلة الاتّباع)، ثم ذكر مصادره وهي ستة مع أنها في الواقع أكثر من ذلك، ويسمي نفسه : جامع الكتاب، وينقل أنواع السرقات العشر عن ابن وكيع وينسبها إليه (انظر الصفحات ٨ و١٣٨ و ١٨٣) .

والنص الذي يدور الكلام عليه خير مثال على هذا الضرب الفاسد من السلوك : فقد عقد أسامة (باب الطاعة والعصيان) واستشهد عليه بهذا النصّ من اللامع، ولا يتضح من كلامه هل سبقه أحد إلى استخراج كلام أبي العلاء من اللامع ونقله إلى كتب البلاغة وسبك هذا المصطلح منه، وظاهر قوله أنه لم يُسْبَق إليه، وعدم التباهي هو الأشبه بأسامة رحمه الله .

ويشهد له أن التبريزي لم يورد هذا الباب في باب البديع من كتاب الكافي (صفحة ١٧٠ وما بعدها) وحسبك به معرفة بأقوال أبي العلاء، وأن ابن أبي الإصبع لم يُشَنِّع على أسامة في هذا المقام . ثم جاء هو فعقد (باب الطاعة والعصيان) واستشهد بالنصّ إياه، وعزاه إلى معجز أحمد، وتغابى عن ذكر أسامة، وزعم صراحة أن الذي استنبط هذا النوع وسماه بهذا الاسم هو أبو العلاء المعرّي وكرّره مرّتين بقوله (استنبطه المعرّي . وسمّاه الطاعة والعصيان أعني المعرّي) وكأنه يضع أسامة بين ناظريه . ثم قال (ولم يأت [المعرّي] بشاهد غيره وتبعه الناس بعد فأثبتوا هذا البابَ وتكلّموا فيه بمثل هذا الكلام واستشهدوا بهذا البيت ولم يأت أحد منهم بغيره وأضربوا جميعهم عن النظر فيه) . فَقوله (سمّاه الطاعة والعصيان) إنما يصحّ لو كان أبو العلاء مشغولا باختراع ضروب البديع وتسمية مصطلحاتها وعقد الفصول لها والبحث عن شواهدها . وواقع الحال أنه كان مشغولا بشرح ديوان المتنبي والكلام عليه بما يتيسّر ووقعت له هذه الملاحظة فساقها غير مُدْرِك أنه اخترع نوعا من البديع، فجاء مَن بعده والظاهر أنّه أسامة فعقد باب الطاعة والعصيان بناء على كلامه . وقول ابن أبي الإصبع (تبعه الناس) يريد أسامة لأن القول في كتابه وليس فيه إلا بيت المتنبي، ولو كان المراد غيره لصرّح به . وهو يزعم أنّ أسامة لا فضل له لأنه أخذ قول المعرّي ولم يضف إليه شيئا ولا شاهدا آخر، ويلزم من قوله أن أسامة أغار من طرف خفيّ على اصطلاح أبي العلاء لأنه لم يسند وضع المصطلح إليه .

فالذي يجول في خاطري بناء على ما مضى جميعه : أن ابن أبي الإصبع وقعت له نسخة من بديع أسامة تشبه نسخة عبدالأمير مهنا وفيها النقل عن أبي العلاء بدون ذكر اللامع العزيزي (ويؤيده سقوط عبارة «في الصورة والمعنى . . . الأفذاذ» لديهما)، فأراد أن يطوي ذكر أسامة ويوهم أنه وقف على كتاب المعري، ولعله كان يسمع أنه يسمى معجز أحمد، فعزا القول إليه بلا تحقيق وجعله من مصادره الأربعين! ثم اعتدى على العبارة وجعلها تدل على أنه كان كتاب بديع يشتمل على باب الطاعة والعصيان وأن المعري هو مخترع ذلك الباب ؛ لأن من يقف على كتابه وكتاب أسامة سيظن أن أسامة أغار على جهد أبي العلاء ففضحه هو !

وأرى أن قوله (هذا كلام المعرّي . . . وتبعه الناس . . . واستشهدوا بهذا البيت ولم يأت أحد منهم بغيره وأضربوا جميعهم عن النظر فيه) واقتباس الكلام بغير عبارة أبي العلاء : دليل كالصريح على أنه لم يقف على كتاب أبي العلاء لأن القول منسوب إليه في كتب الناس التي وقف عليها ولا سيّما كتاب أسامة الذي نَخَله نَخْلاً، فما الذي يدعوه إذن، وقد علمتَ حاله من الصدق وتفريطه في التحقيق والاطلاع على المصادر، إلى طلب النصّ في أصله من كتاب أبي العلاء؟ ولو أنه تكلّف ذلك وظهر له أن أسامة كذب في عزو الكلام إلى اللامع أو غلط في نقل العبارة فكيف أضرب عن الطعن فيه وقد بدت له مقاتله؟

فإن صحّ هذا فهو دليل آخر على أن اللامع والمعجز كتاب واحد لأن ابن أبي الإصبع يكون قد تعمّد مخالفة أسامة وسمّى الكتاب إياه باسم آخر، ويكون قوله

البحتري لا كتابا في علم البديع، فلا يصح الجزم بناء على ذلك بأن المعجز كان خالصا للنقد والمعاني وأن اللامع كان خالصا للشرح اللغوي.

وأيضا لا يخلو كلام الدكتور عبدالعزيز المانع من إشكال لأنه يميل أحيانا إلى أن المعجز كان كتاب نقديا بناء على تفسيره لقول ابن أبي الإصبع، وأحيانا إلى أنه كان كتابا في معاني شعر المتنبي بناء على كراريس ابن العديم. ومن الجليّ أنهما شيئان مختلفان من حيث الأصل ويحتاج الجمع بينهما إلى تكلّف، وقد صنّف كثيرون في معاني شعر المتنبي أولهم ابن جنّي ولا تُعدّ كتبهم كتبا خالصة للنقد الأدبي مع أنها لا تخلو من قضايا هذا العلم بالكليّة، وإذا اعتبرت هذه الكتب كتبا في النقد فلا بدّ من اعتبار عامّة شروح الديوان كذلك.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقول (إن احتفال الشرّاح باللامع جاء نتيجة كونه شرحا كبيرا **يغني عن الشرح الصغير المختصر**)، فهذا رأي ثالث يتعارض - بناء على قاعدة التفريق بين أشكال الشروح - مع كونه كتاب نقد أو معان، ويتعارض مع القول أن ابن أبي الإصبع وجد فيه مـا لا يوجد في اللامع. وليس ثمت دليل من التاريخ على أن أبا العلاء أخذ كتابا قائما من كتبه وتوسّع فيه وغيّر اسمه من المعجز إلى اللامع وساقه إلى عزيز الدولة، ولا يتلاءم ذلك مع شيمته وارتفاع همّته وليس بحاجة إليه، ولو وقع لذكروه.

(٢١) نصّ ابن خلكان

بعد أن فرغنا من ابن عساكر وابن أبي الإصبع لم يبق إلا نصّ ابن خلّكان. وأجدني بحاجة إلى إيراد النصّ بل النصوص لإيضاح هذا الأمر (وأضفتُ الأرقام تبعا لتقسيم الفقرات في طبعة الدكتور إحسان عباس ١/ ١١٣-١١٤)، وسوف يُشار فيما بعد إلى الخبر (٢) بخبر اللامع والخبر (٣) بخبر المعجز:

(١) قال الحافظ السلفي: أخبرني أبو محمد عبدالله بن الوليد بن غريب الإيادي أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ. قال: فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبيا. قال: وكأنما أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جدا وهو مجدّر الوجه نحيف الجسم.

(٢) ولما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزي في شرح شعر أبي الطيب المتنبي وقرئ عليه أخذ الجماعة في وصفه، فقال أبو العلاء: كأنما نظر إليّ المتنبي بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

(٣) واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب، وديوان البحتري وسماه عبث الوليد، وديوان المتنبي وسماه معجز أحمد، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولّى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم.

(٤) ودخل بغداد سنة ٣٩٨ ودخلها ثانية سنة ٣٩٩ . . .

(٥) وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة.

(٦) ومن شعره في اللزوم . . .

(٧) وتوفي يوم الجمعة . . .

فهذه أخبار متتابعة اكتفيت منها بهذه السبعة، وأولها منسوب مرسلا إلى السلفي، وهو مسند إليه في الإنباه للقفطي والبغية لابن العديم، ثم تأتي الأخبار الستة (وما بعدها أيضا) مسبوقة بالواو كما ترى. والشأن كلّ الشأن إنما هو في الخبرين الثاني والثالث، وقد اتكأ كلّ من أراد إثبات وجود المعجز، مزوّرا كان أو حقيقيا، على تجاورهما في وفيات الأعيان، فاعتبروهما خبرا واحدا يتضمن ذكر اللامع والمعجز وأسّسوا على ذلك أنهما كتابان لأنهم فهموا أن ابن خلّكان فرّق بينهما. ولا يكاد مَن تأمّل الكلام يرتاب في أنه ليس نصا في أنهما كتابان - ويأتي قول كثير من المعاصرين ومتأخري القدماء أنهما كتاب واحد مع أنهم قرأوا هذا

النصّ - وغاية ما هناك أن يقال إن اختلاف الاسم في خبرين متتاليين أنهما كتابان. ولكن الاستدلال بالمفهوم هنا لا يرفع الخلاف لأنه لا إشكال في أن الكتاب الواحد يسمّى بالاسمين والثلاثة وإذا قام الاحتمال سقط الاستدلال. ثم إن الاستدلال بمفهوم الكلام مشروط عند الأصوليين بانعدام دليل المعارضة، فمثلا قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) منطوقه أن الصلاة تقصَر في حال الخوف ومفهومه أنها لا تقصر في حال الأمن ولكن لا عبرة بذلك لوجود الأدلة على جواز القصر في حال الأمن. ولم يشترط ابن خلكان على نفسه أن يحرّر الأخبار التي يسوقها بحيث لا يقع فيها خطأ ولا تعارض (وقوله مثلا في الخبر الرابع: دخل بغداد مرّتين، باطل عقلا ونقلا)، وما زلنا نرى الأخبار المتعارضة أو التي ظاهرها التعارض حتى في أصحّ كتب الحديث المسندة فما بالك بكتب التراجم والأخبار المجرّدة من الأسانيد وذكر المصادر.

ولعلّ قائلا يقول. ربما نقل ابن خلكان هذين الخبرين من مصدر قديم فيكون ذكر الاسمين أقوى دلالة على أنهما كتابان. وهذا مجرد ظنّ لا دليل عليه، والأصل أن ابن خلكان يجمع مادة كتابه من مصادر كثيرة، ويجوز أن يكون خبر ما صحيحا والذي بعده باطلا أو يقع بينهما تعارض بوجه ما، فلا يصحّ إذن ضمّ خبرين متجاورين واعتبارهما خبرا واحدا للخروج بفائدة إضافية لا تستفاد منهما على انفراد. والواقع أن هذه الأخبار لم تنقل من مصدر واحد، فهذا هو الأصل في الوفيات وكثير جدا من كتب التراث الأخرى، والواو التي تربط بينها لا تفيد إلا مجرّد الربط، وقد وقع كثير من جامعي الأشعار المعاصرين في أوهام لأنهم ظنّوا أن كلمة (وقال) تفيد أن الشاعر هو الشاعر الأول.

الخبر الأول وهو خبر الإيادي مصدره كتاب السلفي بلا نزاع ورُوي مسندا إليه في غير كتاب ولا علاقة له بموضوع البحث لأنه في حلية أبي العلاء. وخبر اللامع لا ندري ما مصدره على وجه اليقين لأن ابن خلكان أورده مرسلا كما فعل القفطي في الإنباه ١/ ٨٩ من قبله [١٨]، ولكن ابن العديم أسنده (في تعريف القدماء ٦٣٥ والبغية المصوّرة ٢/ ٧٤ والمطبوعة ٢/ ٦٦٥ وكتاب الأستاذ شاكر ٦٣٥) إلى شيخه ابن دُهن الحصا المتوفى سنة ٦٠٣ فقال (سمعت شيخنا ضياء الدين الحسن بن عمرو الموصلي المعروف بابن دُهْن الحصا يقول: كان أبو العلاء المعري يعظّم المتنبي ويقول إياي عنّى بقوله: أنا الذي نظر الأعمى...)، وأيضا لا إشكال فيه ألبتة. أما خبر المعجز فلا زمام له ولا ندري ما مصدره، ويَبْعُد جدّا أن يكون من كتّاب السلفي (وفرغنا من مناقشة ذلك)، ولا دليل على أنه كان مع خبر اللامع في كتاب غيره لأن القفطي وابن العديم لم يعرفا هذا الخبر ولم يسمعا بالمعجز مع اطّلاعهما على خبر اللامع. ومن قال إن ابن خلكان نقلهما من كتاب واحد خلافا للأصل فعليه الدليل، ويلزم من قال بذلك: أن الأخبار السبعة كلّها نُقلت من كتاب السلفي لا غيره لأن الخبر الأول منسوب إليه صراحة فلا محيص له من نسبة الثاني إليه فالثالث وهكذا إلى نهاية ترجمة المعرّي في وفيات الأعيان. ولا يصحّ عقلا أن يُعتبر ترك ذكر المصادر في وفيات الأعيان مزيّة للكتاب وتُحمل الأمور على أقوى الاحتمالات الممكنة لمجرّد أنه لم يصرّح بالمصدر، بل هي نقطة ضعف في الكتاب كما لا يخفى.

ولأن خبر المعجز لا يوجد في أي كتاب آخر قبل وفيات الأعيان مما اطّلعت عليه: فليس هناك ما يمنع أن يكون من إنشاء ابن خلكان بلا حاجة إلى نقله حرفيا من كتب الأسلاف، كما لو قال أحدنا اليوم (وُلد الجاحظ سنة كذا ومات سنة كذا وله كتب كثيرة أشهرها كذا) فهذه حقائق مبذولة وليست وقائع محدّدة لا بدّ أن يرويها راو حضر المجلس كما في الخبرين الأول والثاني.

ثم قدْ يقول قائل: إن ابن خلكان ذكر اللامع في خبر ثم المعجز في خبر فيدلّ ضمنا، لا نصّا، على أنه هو يراهما كتابين، بصرف النظر عن السند الذي بنى عليه ذلك. وهذا القول له وجه ولكنه ضعيف؛ لأن الكلام

لم يكن في معرض سرد أسماء كتب المعرّي، ولم يعقّب ابن خلكان بما يدلّ على أن اللامع المذكور في الخبر الثاني غير المعجز المذكور في الثالث ويوضّح ما قد يكون بينهما من وجوه الائتلاف والاختلاف مع قيام الحاجة لبيان ذلك لأن ذكر المعجز أصلا فيه غرابة وشرح الديوان مرّتين فيه غرابة. أضف إلى ذلك أن ابن خلكان لم يصرّح بالوقوف على المعجز بحيث نجزم أنه كتاب غير اللامع المذكور قبله. وليس في قولي هذا تعنّت ولا يترتّب عليه إسقاط كثير من كتب التراث كما قال الأخ الدكتور عبدالعزيز المانع لأن الأمر عندما يتصل بكتاب مشكوك في وجوده فأول ما يتبادر إلى ذهن الباحث أن يسأل: هل وقف قائل الكلام عليه؟ بل حتى التصريح برؤية الكتاب لايحسم الإشكال في كثير من الأحوال كما رأيتَ في قول ابن أبي الإصبع (نقدي قُدامة)، ووقف ألوف الناس في عصرنا على معجز أحمد مطبوعا فلم يُغْنِ ذلك فتيلا لأنه مزوّر.

وبناء عليه: لا بأس بالجمع بين الخبرين بقبول خبر اللامع على ظاهره وتأويل خبر المعجز ليتّفق معه على أساس أنه هو اللامع، وما زال الباحثون يقبلون من الأخبار ويردّون ويوجّهون ويجمعون ولا يسمّى ذلك هدما ولا تشكيكا ولا إسقاطا للتراث. وفي عبارة الخبر ما يساعد الراغب في تأويله، ومن ذلك:

* أن الخبر منقطع فلا ندري على وجه اليقين أهو خبر مروي أم من إنشاء ابن خلكان.
* وليس في وفيات الأعيان ما يدلّ على معرفة فوق المعتاد بكتب أبي العلاء.
* و قوله (اختصر) الدواوين الثلاثة ليس دقيقا تماما والأصحّ أن يقول شرحها باختصار أو شرح أشياء من كل ديوان أو عبارة نحو ذلك.
* وقوله (وتكلّم على غريب أشعارهم . . .) يفهم منه أن الثلاثة كانت كتبا كبيرة لتصحّ هذه الأوصاف ومعلوم أن عبث الوليد لا تتّسع كراريسه القليلة لذلك كله.
* واعتباره عبث الوليد شرحا لديوان البحتري ليس على إطلاقه لأن عموده إصلاح نسخة من الديوان.
* وليس في العبارة ما يدلّ على أن معجز أحمد كتاب صغير ولا أنه مفقود أو نادر الوجود، والذي يفهم منها أنه كتاب جليل يجمع بين الغريب والمعاني والسرقات والمآخذ والنقد والانتصار والتوجيه، وأنه في الشهرة كالذكرى والعبث.

لا أقول إن هذه أغلاط من ابن خلكان بل تسامح منه في العبارة على عادة الأسلاف، فلا يمتنع إذن، وخاصّة إذا اعتبرنا ما مضى كلّه، أنه تسامح في تسمية اللامع فسمّاه معجز أحمد لملابسة أو مناسبة ما على سنّة القدماء في هذا الأمر. فلا بدّ لمن قَبِل القول على ظاهره أن يجيب على هذا الإشكال: كيفَ لم يعرفه الجهابذة الذين ذكرت أسماؤهم طيلة قرنين من الزمان مع وجود المقتضي وارتفاع المانع وظهر فجأة في منتصف القرن السابع ليذكره ابن أبي الإصبع وابن خلكان ذكرَ كتاب معروف متداول ثم يختفي فجأة إلى يومنا؟

وتحسن الإشارة إلى أن ابن خلكان دخل مصر سنة ٦٣٦ وتولّى القضاء في بعض نواحيها وعاش فيها إلى سنة ٦٥٩ حين ذهب إلى دمشق ليتولّى منصب قاضي القضاة بالشام. وقد فرغ ابن أبي الإصبع من تأليف كتابه سنة ٦٤٠ وتوفّي بمصر سنة ٦٥٤، فيكونان قد تعاصرا زمانا ومكانا بمصر نحو ١٨ عاما. ولا ريب أن ابن خلكان كتب ترجمة المعرّي في هذه الفترة بدليل قول الدكتور إحسان عبّاس في ٧/ ٦٦ (لدينا قطعة بخطّ المؤلف تنتهي بترجمة ذي الرمّة، والمؤلف يسميها الجزء الأول ويذكر أنه فرغ منه في رابع ربيع الأول سنة ٦٥٥). ولم أتحقق من قيام صلة بينهما إلا أن ابن أبي الإصبع كان على صلة بالحافظ المنذري شيخ ابن خلكان – رحم الله الجميع – كما ترى في التحبير ٢٦٩، ولا ينبغي أن يستبعد ذلك لأن أمثالهما من المشاهير يعرف بعضهم بعضا في الغالب على نحو ما، وكان ابن خلكان على صلة قوية بالشعراء والأدباء وأعيان مصر.

فإذا اعتبرتَ شهرة تحرير التحبير بين المتأخرين من أهل البلاغة، وشهرة وفيات الأعيان بين المتأخرين من أهل التاريخ، وأننا لم نجد للمعجز ذكرا قبلهما، وأن كل حديث عنه ربما يكون مصدرَه في النهاية هذان الكتابان اللذان خرجا من بلد واحد وبيئة ثقافية واحدة في عصر واحد اتّضح لك أنهما ربما لا يكونان مستقلّين تمام الاستقلال، فربما عَرَف ابن أبي الإصبع اسم المعجز من ابن خلّكان أو العكس، ويقوّي هذا الظنّ أن الرجلين ذكرا الذكرى والعبث والمعجز الترتيب نفسه.

(٢٢) نصّ الصفدي

ترجم الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ لأبي العلاء في الوافي بالوفيات ٧/ ١٠٣ (وكلامه في تعريف القدماء ٢٧٥) ترجمة معتادة بناها على أقوال السابقين وسرد فيها أسماء مؤلفاته كما تجدها عند ياقوت والقفطي وابن العديم، بيد أنه اختصرها جدا، ولم أتيقّن من أي الثلاثة نقلها لأنه وقف على كتبهم وأظنّه من معجم الأدباء. وتفرّد عنهم بذكر المعجز في خلال الفهرس، هكذا (فهرست كتبه: .... معجز أحمد شرح شعر أبي الطيب .... اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي ...).

ولا يخفى أن الصفدي مؤرخ جمّاعة ولا بأس به من جهة الضبط والتحقيق، ولكن اجتهاده في التفريق بين الكتابين لا تنهض به حجة لأنه لم يصرّح بالوقوف على الكتاب ولم يبيّن ما برهانه في جعله كتابا منفردا، وإنما نقل (فهرست كتبه) عن مصادر هي بين أيدينا ولا أثر للمعجز فيها، فلا بدّ إذن أنه وقع على اسمه في بعض الكتب، ولا سيما وفيات الأعيان الذي قرأه حرفا حرفا واستصفى ما فيه وذكره في مصادره ١/ ٥٠ ولا ريب أن من يؤلف كتابا عنوانه الوافي بالوفيات سيطالع كل ترجمة في وفيات الأعيان وهو يكتب ما يقابلها - فلما رأى أن المعجز الذي ذكر ابن خلّكان لا يوجد في أسماء كتب المعرّي أدرجه فيها فصار ما لديه ملفّقا من مصدرين أو أكثر، ويشهد لذلك أنه ذكر المعجز في التسلسل بعيدا عن اللامع ليجاور ذكرى حبيب وعبث الوليد كما هو الحال في كتاب ابن خلّكان. ولا بأس بعمله مع أنه لا يخلو من التدليس لأنه أدرج في الفهرست ما ليس منه بلا تنبيه.

ولا يفهم من هذا ومما يأتي أنّه لا قيمة لأقوال المتأخرين، فإن في مصنّفاتهم خيرا كثيرا. ولكن واجب الباحث، كما هو مقرّر في منهج البحث التاريخي، أن يرتّب الأخبار ترتيبا تاريخيا ويزنها بميزان النقد بحيث يتّضح ما أخذه اللاحق عن السابق وما انفرد به. ولا ريب أن ما ينفرد به الصفدي مثلا أو ينقله من مصدر مفقود أعظم قيمة مما ينقله من مصدر موجود كمعجم الأدباء أو وفيات الأعيان، ولو نقل خبر المعجز عن ابن خلّكان ثم قال مثلا (وهذا غير اللامع المذكور قبل) أو قال (وهذا غلط من ابن خلّكان لأنه هو هو) فإن نقله للخبر ليس له فائدة كبيرة لأن الوفيات بين أيدينا، وإنما الشأن في التعقيب لأنه هو الجديد الذي يستفاد من الصفدي (بصرف النظر عن صوابه وغلطه)، ولكنه في واقع الأمر لم يعقب بشيء واكتفى بتدوين ما وجده في الكتب.

(٢٣) المعجز في كتب المتأخّرين

وكما وقع لدى الصفدي فقد ورد ذكر المعجز عند جمهور من المتأخرين نقلا عن تحرير التحبير لابن أبي الإصبع أو وفيات الأعيان لابن خلكان لشهرة هذين الكتابين لديهم. وهذا بيان من عرفته منهم:

* ياقوت بن عبدالله العربي (أو الحسن المتطبّب أو ناسخ الإبانة) في الأوراق التي نُسبت لابن عساكر ومرّ الكلام عليها. ولم أقف على تواريخ وفاتهم، ولا ريب أن ياقوت العربي متأخر عن الحموي لأنه اختصر كتابه وأن المتطبب متأخر عن العربي والناسخ متأخر عن الجميع، ولا أستبعد أن الذي ذكر المعجز ونسب الأقوال لابن عساكر هو آخرهم زمانا، أعني الناسخ، بدليل أنه ألحقها بنسخته من الإبانة.
* شهاب الدين أبو الثناء الحلبي المتوفّى سنة ٧٢٥، نقل كلام ابن أبي الإصبع في حسن التوسل ٢٧١ منسوبا إليه.

شهاب الدين النويري المتوفى سنة ٧٣٣، نقل كلام ابن أبي الأصبع منسوبا إليه في نهاية الأرب ٦/١٤٦ .
ابن الأثير الحلبي المتوفى سنة ٧٣٧، نقل كلام ابن أبي الإصبع في جوهر الكنز ٢٥٠ ولم يصرّح باسمه، بل قال بصيغة التمريض (قيل إن أبا العلاء المعرّي حين شـرح أبيـات المتنبي سـمّى هذا النوع بالطاعـة والعصيان)، ولا أدري أكان ذلك شكّا منه عن علم وتحقيق أم لمجرد الإعراض عن ذكر ابن أبي الإصبع . وأظنه وقف أيضا على كتاب أسامه لأنه أغار عليه في ١٨٦ فأورد النص الآخر الذي عزاه أسامة إلى أبي العلاء، فلا أستبعد أنه رأى الخلل في كلام ابن أبي الإصبع على ضوء قراءته للنصّ في كتاب أسامة .

* ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩، نقل في تتمّة المختصر ذكر اللامع والمعجز عن ابن خلكان منسوبا إليه (انظر تعريف القدماء ٢٠٧) .
* صفي الدين الحلي المتوفّى سنة ٧٥٢، أغار على كلام ابن أبي الإصبع في شرح الكافية البديعية ٣٠١ ولم يذكره بالاسم .
* الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ ومرّ القول فيه .
* اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨، أورد خبر اللامع عن ابن خلكان في مرآة الجنان (انظر تعريف القدماء ٢٩٨)، ثم أورد خبر المعجز هكذا (واختصر ديوان أبي تمام وشرَحه، وكذلك ديوان البحتري، وتولّى الانتصار لهم وتنقّد عليهم في مواضع) فحذف الإشارة إلى معجز أحمد مع أنه يقول (لهم . . . عليهم) بصيغة الجمع بدلا من المثنّى . وظاهر أنه استشكل من قول ابن خلكان ما نستشكله اليوم فحذف ما يتصل بديوان المتنبي اكتفاء بذكر اللامع في الخبر الذي قبله .
* ابن حجّة الحموي المتوفّى سنة ٨٣٧، نقل كلام ابن أبي الإصبع في خزانة الأدب ١٦٩ منسوبا إليه .
* عبدالرحيم بن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣، ذكر المعجز في معاهد التنصيص ٤/٢٠٦ ولا ريب أنه عوّل في ذلك على وفيات الأعيان كما يتضح من غير عبارة في كتابه، ويظهر أنه اطلع أيضا على كتاب ابن أبي الإصبع .
* مزوّر المعجز ولا أدري من يكون . وأوضحت في المقالة الأولى أن أكثر نسخ المعجز المزوّر - إن لم يكن جميعها - كتبت في الشام في منتصف القرن الحادي عشر، أما ما هو أقدم من ذلك فغير منسوب إلى أبي العلاء . ولدينا أسماء بعض النسّاخ ولا أجزم أهم الذين نسبوه إليه أم نسخوا كتابا زوّره غيرهم، وأنا على شبه يقين أن بعض الناس قرأ اسم المعجز في أحد الكتب المذكورة هنا، والأقرب أن يكون كتاب ابن خلكان لشهرته، فوضعه على هذا الشرح المجهول ثم انتشرت نُسَخه .
* البديعي المتوفّى سنة ١٠٧٣ ومرّ القول فيه .
* ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩، نقل ذكر اللامع والمعجز حرفيا عن ابن خلكان منسوبا إليه (انظر تعريف القدماء ٣٤٧) .
* ابن معصوم المدني المتوفى سنة ١١٢٠ وهو من أفاضل المتأخرين [١٩]، نقل خبر اللامع مرسلا - ولا ريب أنه نقله من ابن خلكان رأسا أو بالواسطة - في أنوار الربيع ٤/٢٩١ ولكنه قال (معجز أحمد) بدلا من (اللامع العزيزي)، فلا شكّ أنه يرى أنهما اسمان لكتاب واحد بحيث يجوز وضع أحدهما موضع الآخر . ونقل أيضا قول ابن أبي الإصبع في أنوار الربيع ٦/١٧ منسوبا إليه وأشار إلى أن صفي الدين الحلي أخذه منه .
* العباس بن علي الحسيني المكّي من أهل القرن الثاني عشر، نقل ذكر المعجز عن ابن خلّكان (انظر تعريف القدماء ٣٥٢)، ولكنه تصرّف في العبارة إذ ساق خبر اللامع وأعقبه ببضعة أخبار ثم قال (وسمّى أيضا شرح ديوان أبي الطيب معجز أحمد، وله مختصر ديوان أبي تمّام وسمّاه ذكرى حبيب، وله أيضا شرح ديوان البحتري وسمّاه عبث الوليد)، فمن الواضح أنه قدّم المعجز على صاحبيه ليدنو من اللامع وجعله

مجرّد اسم آخر للشرح الأول وعطف عليه الكتابين الآخرين بعبارة أخرى . والشاهد أنه لم يفهم من كلام ابن خلكان إلا أنهما كتاب واحد .

* إسماعيل البابانى البغدادي المتوفّى سنة ١٣٣٩ ، فقد ذكر مصنفات أبي العلاء باختصار على غرار ما في فهرس كتبه في هدية العارفين ١/ ٧٧ (وهو كالفهرس لكشف الظنون) وزاد فيها (معجز أحمد مختصر ديوان أبي تمام) ، والمهمّ أن الرجل من أهل القرن الهجري الرابع عشر فلا يزيدنا كلامه علما بشيء .
* أحمد تيمور المتوفّى سنة ١٣٤٨ ، سرد أسماء كتب المعرّي في كتابه أبو العلاء ٧٤ فقال (معجز أحمد : لم يذكره صاحب الكشف [كشف الظنون] ويذهب بعضهم إلى أنه هو اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي ، ويستفاد من عبارة ابن خلكان أنه غيره) ، وأشار إلى ما في تحرير التحبير وهو أول من وقف عليه من المعاصرين . وأظنّه ذهب هذا المذهب لأنه لم يخطر بباله أن المعجز مزوّر فظنّ أن قول ابن خلكان يشهد له .
* محمد سليم الجندي المعرّي المتوفّى سنة ١٣٧٥ ، ذكر المعجز في كتابه النفيس : الجامع لأخبار أبي العلاء ٢/ ٧٩٠ ضمن مؤلفاته اعتمادا على قول ابن خلكان وما ورد في حاشية تعريف القدماء عن الكراريس التي ذكر ابن العديم .
* المستشرق ريجيس بلاشير المتوفّى سنة ١٣٩٣=١٩٧٣ ومضى قوله .
* خير الدين الزركلي المتوفّى سنة ١٣٩٦ ، ذكر المعجز في الأعلام ١/ ١٥٧ (بعد أن ذكر اللامع) اعتمادا على معرفته بالنسخة التونسية من المعجز المزوّر .

فهؤلاء جميعا لا تقوم بهم حجّة - ولا يلزم من ذلك الانتقاص من فضلهم أو الشكّ في رواياتهم - لأن مصادرهم معروفة لنا ولم يقل أحد منهم إنه وقف على الكتاب ولا أورد شيئا زائدا على ما نجده في التحبير والوفيات . وقد عاش أكثرهم في العصور التي تسمّى عصور الانحطاط والجمود والتقليد ، واكتفوا بمذاكرة كتب المتأخرين ولم يتيسّر لكثير منهم الاطّلاع على ما بقي من المصادر الأولى بعد أن ضاع أكثرها في كارثة التتار ، فكان قولهم (معجز أحمد) تقليدا لما في هذين الكتابين بلا تحقيق . ولي أن أستشهد هنا بقول ابن معقل الأزدي في شرّاح المتنبي وهم من أعلام الأمة (إن كثيرا من الناس يتبع بعضهم بعضا في الخطإ استرسالا من غير تأمّل ولا تدبّر) وشبّههم بالفراش الذي يلقي نفسه في النار ولايعلم ، وفي تتمّة كلامه سوء عبارة .

(٢٤) جهل الشرّاح والعلماء بالمعجز

وفيما عدا ذلك أطبق الشرّاح والنقّاد والبلاغيون والأدباء والمترجمون وجمهرة العلماء الذين كان لهم عناية واهتمام بالمتنبي أو المعرّي أو كليهما ، وعامّة المؤلفين جيلا بعد جيل : على عدم الإشارة إلى وجود شرح ثان باسم معجز أحمد مع وجود المقتضى عند بعضهم وأن منهم من ذكر اللامع ، ومن هؤلاء ولم أكرّر من مضى ذكرهم :

* الثعالبي .
* ابن الإفليلي .
* ابن سيده .
* ابن رشيق .
* الخطيب البغدادي .
* عبدالقاهر الجرجاني .
* الباخرزي .
* الأعلم الشنتمري .
* ابن السيد البطليوسي .
* الجواليقي .
* ابن الشجري .
* أسامة بن منقذ .
* العماد الأصفهاني .
* ابن الجوزي .
* سبط ابن الجوزي .

* حازم القرطاجني .
* ابن فضل الله العمري .
* المقريزي .
* السيوطي .
* حاجي خليفة .
* رياضي زاده صاحب أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون .
* عبدالقادر البغدادي .
* ناصيف اليازجي .

لا أزعم أنه كان يجب عليهم واحدا فواحدا ذكر المعجز لو وُجد، ولكنّي أزعم أن تظاهرهم على السكوت يعزّز الشكّ الموجود أصلا . والظن بهم مع كثرتهم ومبلغهم من العلم واهتمامهم بهذه الأمور وشهرة المتنبي والمعرّي، ومع دعوى أن الكتاب كان موجودا في عصر ابن أبي الإصبع وميسورا بحيث يقف عليه مثله وينقل منه : أن يعرف بأمره بعضهم ويقف عليه ويشير إليه لو وجد .

(٢٥) توارد المعاصرين على أنهما كتاب واحد

صرّح كثير من المعاصرين، ومنهم بعض أعلام التحقيق والخبرة ودارسي المتنبي وأبي العلاء، بأن اللامع هو المعجز . وممن وقفت على كلامه منهم :

* عبد العزيز الميمني، قال في كتاب أبو العلاء وما إليه ٢٧٤ وهو يسرد أسماء الكتب تفصيلاً (اللامع العزيزي وهو معجز أحمد أيضا)، وأشار إلى أن ابن حجة الحموي نقل منه . وسلف أنه إنما نقل ما في تحرير التحبير .
* جورجي زيدان في تاريخ الآداب ٢/ ٢٤٨ .
* بروكلمان في تاريخ الأدب ٢/ ٨٩ ، قال (وعنوانه معجز أحمد أو اللامع العزيزي) ثم ساق مخطوطات المعجز المزوّر وأدرج فيها مخطوطة اللامع الأصيل .
* فؤاد سزكين ، قال في تاريخ التراث ٢/ ٤٩٣ (معجز أحمد أو اللامع العزيزي) ، وتكرّر لديه ما وقع في كتاب بروكلمان من خلط النسخ . وبعد الفراغ من الكتاب عقد رقما جديدا قال فيه (في تفسير شعر أبي الطيّب المتنبي لأبي العلاء المعرّي أيضا : مكتبة نصيري بطهران بخط كاتب إملاء أبي العلاء ١٦٠ ورقة) . ولم يوضّح أهو اللامع أم غيره ولم يذكر مصدره ويبدو أنه لم ير الكتاب، وراجعت موارد غير قليلة عن المخطوطات في إيران - ومن ذلك وصف مئتين وثلاث مخطوطات من نوادر تلك الخزانة في مجلة معهد المخطوطات ٣/ ٣٧ (١٩٥٧) فلم أر من أشار إليه على ندرته وقدَمه وأهميّته البالغة .
* فؤاد سيّد في مجلة معهد المخطوطات ٣/ ٢١٧ (١٩٥٧) في معرض صفة إحدى نسخ المعجز المزوّر .
* شوقي ضيف في عصر الدول والإمارات ٦٥٣ .
* كوركيس وميخائيل عواد، قالا في رائد الدراسة ٦٩ (اللامع العزيزي ويعرف بمعجز أحمد) ، وهذا الكتاب هو مصدر بعض الأسماء هنا .
* امتياز عرشي في طرّة ديوان أبي محجن (مجلة ثقافة الهند ٤/ ٤/ ٣٣ ، ١٩٥٣) .
* حفني شرف (محقق تحرير التحبير) في الحاشية ٩٠ .
* أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد في حاشية البديع لأسامة ١٧٥ .
* مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد في مقدمة شرح المشكل لابن سيده ٢٠ .
* محمد عبدالرحمن شعيب في كتاب المتنبي بين ناقديه ٤٤٦ .
* محمد زغلول سلام في تاريخ النقد ٢/ ٤٧ و ٩٧ .
* صفاء خلوصي محقق الفسر (في مجلة الأديب، يوليو ١٩٧٢ ، ٤٨-٤٩) ، وقال إنه فرغ من تحقيق معجز أحمد أو اللامع العزيزي وهو شرح أبي العلاء المعرّي على ديوان المتنبي وأرسله إلى بغداد لينشر مع الفسر . ولم ينشر شيئا ولم يتّضح لي أحقق اللامع الأصيل أم المعجز المنحول .
* محسن غياض ويأتي كلامه .

* إبراهيم السامرائي في كتاب مع المعري ١٩٣ (نقلاً عن الميمني) .
* مصطفى عليان في مقدمة شرح ابن الإفليلي ٦٠ .
* وآخر من وقفت على كلامه : الدكتور محمود الطناحي ، قال في مقدمة تحقيقه المتقن للأمالي الشجرية ١٥١ (ويعدّ أبو العلاء من شرّاح المتنبي الكبار واسم شرحه معجز أحمد ويسمى أيضا اللامع العزيزي) .

(٢٦) خاتمة

يتبيّن مما سلف أن النصوص التي يمكن أن يستدلّ بها على أن المعجز كان كتابا منفردا غير اللامع هي ثلاثة لا غير : القول المنسوب إلى ابن عساكر ، وقول ابن أبي الإصبع ، وقول ابن خلكان ، وما عداها فمنقول عنها . واتضح أن اثنين منها في غاية الاضطراب :

* فنصّ ابن عساكر ليس له ألبتة وأيضا لا يمكن قبول نسبته إلى ياقوت ، والراجح أن مختصري كتابه من المتأخّرين قرأوا اسم المعجز في أحد الكُتب المتأخرة فأضافوه إلى الشروح .
* ونصّ ابن أبي الإصبع نسبه رجل أجدر منه بالثقة إلى اللامع مع تراكم أوجه الاضطراب والشذوذ عليه .
* وقول ابن خلكان ليس نصّا في أنهما كتابان ولا وقف على المعجز ، وإنما فهم بعض الناس أنهما كتابان وبعضهم أنهما كتاب واحد ، فيبقى هذا الفهم المحتمل وحيدا في مواجهة الأدلة الكثيرة التي تشير إلى أن المعجز لم يوجد وأهمها غرابة وجود شرح آخر وأنه لم يذكر في فهرس كتب المعرّي وجهل تلاميذه ومعاصريه ومترجميه من القُدامى - ولا سيّما الثلاثة - وجهل جمهور النقّاد وشرّاح المتنبي بوجوده .

ويمكن تفسير الإشكالات كلها وتبسيط الأمر إذا قبلنا أن اللامع يُسمّى أيضا معجز أحمد - ومعلوم أن كثيرا من كتب المعرّي ذات اسمين - وانتشر هذا الاسم بين المتأخرين لحسنه ومناسبته لذكرى حبيب وعبث الوليد مع قلة وقوفهم على آثاره وتقليد بعضهم لبعض .

وأشرت إلى أشياء تؤيد ذلك وإن لم تصل إلى مرتبة الدليل القاطع ومنها ترجيح أن ابن أبي الإصبع سماه المعجز تدليسًا وجعل نسخة من كتابه باسم ابن العديم الذي لم يعرف إلا اللامع ، وأن اليافعي حذف ذكر المعجز مع أنه ساق الخبر اكتفاء بذكر اللامع في الخبر السابق عليه ، وأن ابن معصوم صرف الخبر الذي أجمعوا على أنه عن اللامع فجعله للمعجز فلا شكّ أنه يراهما شيئا واحدا ، والعباسي تصرّف في قول ابن خلكان ليصير نصّا على أنهما كتاب واحد .

ووقعت على رأي وقع عَرَضا للدكتور محسن غياض في مقدّمة النصوص التي جمع من التجنّي لابن فورّجة (المورد ٦/ ٣/ ٢١٣-٢٣٦ ، ١٩٧٧ ، والقول في ٢١٦) وهو قوله (أودّ أن ألفت النظر إلى نصّ طريف لا يخلو من طرافة ولا يخلو من تطرّف بعض المعجبين بأبي الطيّب كابن فورّجة وأستاذه أبي العلاء الذي سمّى شرحه للديوان بمعجز أحمد ، فقد كان كلاهما يرى أن من المعجز المستحيل إبدال كلمة في شعر أبي الطيّب بأخرى أحسن منها وأليق في موضعها) ثم ساق قول أبي العلاء لابن فورّجة في ذلك وعجز ابن فورّجة عن التغيير وهو في التبيان ٤/ ٢٥٤ والدكتور محسن عياض إنما يريد بقوله (شرحه للديوان) بالإفراد : اللامع العزيزي لأنه الشرح الذي يعرفه ابن فورّجة وسائر الناس ويعرفه الدكتور محسن معرفة تامة وإن لم يقف على مخطوطته ، فجعل تسميته بمعجز أحمد لأن المعرّي يرى أن شعر أبي الطيب فيه هذا المعنى من الإعجاز . والظاهر أنه أسند التسمية إلى أبي العلاء بناء على قول ابن خلكان ، ولكنه لم يوضّح مصدره في الربط بين ذلك الخبر واسم الكتاب وأخشى أنه اجتهاد منه لمجرّد المشاكلة الكلامية .

وثمت احتمال آخر وهو أن الناس وقعوا في دين أبي العلاء ووصموه بالزيغ والزندقة ومعارضة القرآن منذ عصره إلى اليوم ، فلا يستحيل أن يضع أحدهم «معجز أحمد» - ولا جرم أنه عنوان بارع - عنوانا على

اللامع للإضرار به، كما أضافوا عبارة «في معارضة السور والآيات» إلى عنوان «الفصول والغايات»، ودسّوا عليه أشياء أخرى في حياته وبعد مماته لا يتسع المجال للإشارة لها . ولم أر من عاب هذا العنوان في سياق الكلام على دينه ولكنه غير ممتنع ما دام أن الشكوك تحيط بوجود الكتاب .

ولعلّنا إن شاء الله نقع في قابل الإيام، مع مواصلة البحث ونشر المخطوطات، على بيان يحسم هذا الأمر . والله أعلم، وصلّى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تعقيب وملاحظات على المقالة الأولى

وقعت أغلاط مطبعية في المقالة على غير المعهود من مجلة عالم الكتب، ولعلها لاتخفى على القارئ وليس منها ما لا يُطاق إلا ما ورد في صفحة ٢٥٢ عن اختلافهم في اسم ابن فورّجة، وصوابه (وتردّدوا في اسمه بين محمد بن حَمْد بن محمد وحَمْد بن محمد) كما ترى في بغية الوعاة ١/ ٦٩ ورأيت تصويبه هنا ليستقيم ما ورد بعد عن احتمال كونهما رجلين أب وابنه . ولا ريب أن اسمه محمد بن حمد وكنيته أبو عليّ كما نصّ عليه شيخه أبو العلاء في قصيدة سقط الزند ومعاصره الثعالبي في تتمة اليتيمة ١٤٤ (طبعة بيروت)، وأول من جعله حمد بن محمّد فتقله اللاحقون :الباخرزي في الدمية ١/ ٤١٥ (بتحقيق ألتونجي) مع أنه كنّاه بأبي عليّ وأشار إلى صلته بأبي العلاء بقوله (وشعره فرخ شعر الأعمى، أعني شاعر معرّة النعمان) وأشار إلى أنه لقيه بالريّ سنة ٤٤٠ . والغريب أن كنيته سقطت من طبعة الدمية المصرية ١/ ٤١٨ بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو وهو رجل لايستهان بضبطه وقد اعتمد كالدكتور ألتونجي على عدة مخطوطات، ولكنها ثابتة في الطبعة الكويتية بتحقيق الدكتور سامي العاني ١/ ٢٩٤ وهكذا يقف الأمر عند الرّجحان لااليقين لأننا لا نجزم بغلط الباخرزي إلا إذا جزمنا بأنه كنّاه بأبي عليّ . ومثله في الغرابة أن السيوطي استشهد بهذا البيت الذي رواه الثعالبي :

إن لي غيرةً عليك من اسمي
أنه دائمًا يقبِّل فاكـــا

فقال (هذا الشعر يؤيد أن اسمه حَمْد)، وهو موضع نظر والعكس أقرب لأن اسم محمد هو الذي يجري على الأفواه عشرات المرّات كل يوم . وأغرب منه أن ابن شاكر في الفوات ٢/ ٣٩٧ (طبعة عبدالحميد) نقل عن ياقوت أنه توفّي في نهاوند سنة ٣٨٠ فغيّرها الدكتور إحسان عبّاس في طبعته ٣/ ٢٤٥ إلى (وُلد) اعتمادا على قول الصفدي في الوافي ٣/ ٢٤ (قال ياقوت : مولده بنهاوند في ذي الحجّة سنة ثمانين وثلاثمائة)، وهذا غير جيّد ممن ديدنه الإحسان لأن الذي في طبعته من معجم ياقوت ٦/ ٢٥٢٤ (مولده في ذي الحجّة سنة ثلاثين وثلاثمائة)، وليس من التحقيق إصلاح أغلاط المؤلّفين . والذي أراه أنه وقع غلط أو تصحيف قديم في كتاب ياقوت وكلّ من أتى بعده حاول إصلاحه بتغيير إحدى الكلمتين : مولده أو ثلاثين، ولا أستبعد أن ياقوتا خلطه بأبيه في مولده كما وقع من الباخرزي في اسمه .

وأشرت إلى البرقعي الذي ورد شعره في المعجز المطبوع وقلت إنه من المجاهيل، ثم وجدته ذُكر استطرادا في عقلاء المجانين ٨٤ وريحانة الألباء للشهاب الخفاجي ٢/ ٣١٥ ونفحة الريحانة للمحبي ١٤٦، ولم أره مترجما في اليتيمة ولا الخريدة وربما توجد ترجمته لاحقا في كتاب ما .

وأشرت أيضا إلى شرح الحماسة المخطوط المنسوب للمعرّي، ثم اتضح أن الدكتور حسين نقشه حصل به على درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية (بإشراف الدكتور مصطفى هدارة) ثم نشرته له في بيروت دار الغرب الإسلامي عام ١٩٩١ وكتب على غلافه (المنسوب للمعرّي)، مع أنه يقول في المقدمة (وإني أرى أن هذا الشرح ليس لأبي العلاء للأسباب التالية . . .) وساق عدة أسباب قوية وذكر أنه قد يكون لمحمد بن

الحسين بن مرقد . ولا ريب أنه بذلك أدّى بعض ما عليه لا كما فعل الدكتور عبدالمجيد دياب ، ولكن يبقى أن وضع اسم أبي العلاء على الغلاف بعد القطع بأنه ليس له . يؤدي إلى إشاعة التزوير ، وما كل من يستفيد منه يقرأ المقدّمة أو يدرك معنى ما كتب على الغلاف ، ودلّت التجربة على أن الخطأ ينتشر أكثر من الصواب ولا أحصي عدد العلماء - ومنهم المختص بالمتنبي - الذين لا يزالون ينسبون التبيان للعكبري . وقد ذكر الدكتور محمد عبدالمجيد الطويل في مقالته أسماء بعض العلماء الذين أشادوا أبحاثهم على شرح الحماسة هذا باعتباره من مؤلفات أبي العلاء ، فما بالك بمن هم في أول الطريق ! ولم أر من النظرة العجلى على الكتاب أنه كبير القيمة ، وما أكثر الكتب الأصيلة النافعة التي تنتظر يد الدارسين فما الذي يدعو إلى الاحتفال بالكتب المنحولة ؟

وأشرت عرَضا إلى أن الدكتور الطويل حقّق وغيره من الباحثين : أن شرح الحماسة هذا ليس لأبي العلاء ، وأشرت في الحاشية إلى كتاب (حماسة أبي تمام وشروحها) للأخ الدكتور عبدالله عسيلان وكتاب آخر عنوانه أيضا (حماسة أبي تمام وشروحها) للأستاذ حسين نقشة . وكان الأصح أن يذكر الدكتور عبدالله أولا لأنهم عيال عليه : فإنه قدّم رسالته الجامعية إلى جامعة الأزهر في سنة ١٣٩٧ ونشرها كتابا في سنة ١٣٩٨ ، أما الدكتور حسين نقشة فقدّم دراسة الشروح رسالة للماجستير إلى جامعة الإسكندرية بعد ذلك بسنوات وظهرت مطبوعة سنة ١٩٨٧ ثم قدّم الشرح المذكور رسالة للدكتوراه سنة ١٩٨٨ ، وأما مقال الدكتور الطويل فنشر سنة ١٤١١ . وأخبرني الدكتور عبدالله عسيلان أنه سجّل ذلك الشرح رسالة للدكتوراه وتعب في جمع مخطوطاته وقطع شوطا في التحقيق فكان الشكّ فيه يتزايد ، ولما اتّضح له أنه ليس لأبي العلاء أعرض عنه وغيّر الموضوع فجعله تحقيق نصّ الحماسة ودراسة شروحها ، وأن حسين نقشه أغار على رسالته حرفيّا ونقل عنوانها وشيئا كثيرا منها وأنه كتب ذلك موثّقا في ملحق التراث بجريدة المدينة (العدد ٩١٦٥ في ٢٤/ ١٢/ ١٤١٢= ٢٥/ ٦/ ١٩٩٢) .

وأشرت أيضا إلى تقارب تواريخ نسخ المعجز المزور تقاربا غريبا ، وأضيف أن سزكين ذكر نسخة الحرَم المكي وأنها مكتوبة سنة ١٠٦٤ أي في الفترة التي قدرت أن التزوير حصل فيها (ولكني أعتقد أنها ذكرت خطأ لأن هذا هو تاريخ نسخة كتاب أبي المرشد الموجودة في مكتبة الحرَم ولا أخت لها في العالم ، وهو نفس غلط كوركيس عوّاد الذي أشرت إليه) . وذكر أيضا أن في مكتبة فيض الله بإستانبول شرح أبي اليمن الكندي في جزأين تاريخهما سنة ١٠٥٥ والجزء الأول من شرح ديوان المتنبي للقاضي الجرجاني كتب سنة ١٠٥٨ !ولم أجد في المصادر أن القاضي الجرجاني له شرح على الديوان، فأدعو من يقف على هذه الشروح (أو يختارها لرسائل جامعية!) أن يضع هذه التواريخ منه على طرف الثمام ، والله المستعان .

التعليقات

١ - الدليل على ذلك : أن ياقوتا انفرد عن القفطي بكتاب (نشر شواهد الجمهرة ولم يتم ، ثلاثة أجزاء) ، وانفرد عنه القفطي بالأمالي فقال (ومن الأمالي التي لم تتم ولم يُفرد لها اسم ما مقداره مائة كراسة) ، فانحلّ الإشكال بقول ابن العديم (ومن الأمالي التي لم تتم ولم يفرد لها اسماً ما مقداره مائة كراسة منها تفسير الجمهرة) .

٢ - إذ يقول ابن العديم ٢/ ٤٠٠ (وكان شافعي المذهب من أهل السنة والجماعة . . . وكانت الفتاوى في بيتهم على مذهب الشافعي أكثر من مائتي سنة بالمعرة) .

٣ - انظر معجم البلدان ١/ ١٤ وكلام الدكتور إحسان عباس في معجم الأدباء ٧/ ٢٩٠٢ .

٤ - أود أن أذكر استطراداً أن الكتاب نشرته جامعة الملك عبدالعزيز في المملكة العربية السعودية في سلسلة (نوادر مخطوطات الحرم المكيّ ، ٤) وهي

التي قرّرت طبعه وأنفقت عليه ، ولكن دار المأمون بدمشق التي عهدت إليها الجامعة بطبعه وضعت اسم الجامعة والسلسلة في أعلى صفحة الغلاف وهي في أسفل الصفحة ، والغريب أن أكثر المستفيدين منه يظهرون اسم الدار ويطوون اسم الجامعة ! .

٥ - انظر مقدمة محقق كتابه الدكتور محمد رضوان الداية ، ولم يترجم له الزركلي في الأعلام ولا كحالة في الطبعة الجديدة من معجم المؤلفين .

٦ - انظر «كشاف مصادر المعري» لمصطفى صالح ٣٩ و ١٠٣ .

٧ - ومن أوهام الأفاضل أن محقق الإبانة قال في ٢٢١ (أما ترجمة ابن عساكر للمتنبي فقد اعتمد فيها كثيراً على معجم الأدباء لياقوت ولم نذكرها لأن من السهل الرجوع إليها) ، فأحال على مُحالين ! وهذا يدلّ على أن كثيراً من الناس يحققون اعتماداً على الذاكرة ! .

٨ - فوات الوفيات ٣/ ١١٨ ولم يستقم لي قوله (لم يكن له دار) فأين كانت تلك الكتب ! وياقوت يقول في المعجم ٦/ ٢٠٣٤ (كنت في حضرته بمنزله المعمور) . وأشار هو إلى داره في غير موضع من الإنباه .

٩ - التعريف ٢٠٢ (عن تاريخ الإسلام للذهبي) ، وفي مختار الصحاح (الزوج ضد الفرد وكل واحد منهما يسمى زوجاً أيضاً . . . تقول عندي زوجاً حَمَام يعني ذكراً وأنثى وعندي زوجاً نعل) .

١٠ - يقول الشيخ العلامة حمد الجاسر حفظه الله (والغالب أن المراد بالجزء ما سار عليه بعض المتقدمين من تحديده بعشر ورقات) ، انظر مجلة الفيصل ٢٠٢/ ٤٦ (ربيع الآخر ١٤١٤)، ونجد مصداق ذلك في تجزئة كثير من الكتب المطبوعة .

١١ - والفضل في بيان ذلك للعلاّمة مصطفى جواد في مقاله النفيس بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٢/ ٣٧-٤٧ (١٩٤٧) ولكن أكثر الدارسين لا يزالون ينسبونه للعكبري ، وشكّ الدكتور مصطفى عليان (في مقدمة شرح ابن الإفليلي ٧٣) بأدلة مصطفى جواد حول نسبة الكتاب لابن عدلان ، ولكنه لم يأت بشيء مقنع . وليصحح ما قلته سهواً في المقالة الأولى وهو أن مؤلف التبيان كان في سن مشايخ أبي البقاء لأن الصواب الواضح على العكس .

١٢ - هذا هو الصواب في مولده على ما تجد في حاشية الأعلام ٤/ ٣٠ وليس سنة ٥٨٥ الموجودة في أكثر الكتب .

١٣ - تحرير التحبير ٢٩٠ وورد النص أيضاً في كتابه الآخر «بديع القرآن» ١٠٩ (القاهرة ١٩٥٧) . وقد أشار إليه محقق المعجز المنحول ولم يقف عنده لأنه ينقض عمله ! ثم نقله الدكتور محمد عبدالمجيد الطويل في مقالته القيمة بعنوان (كتابان منسوبان لأبي العلاء) المنشورة في هذه المجلة ١٢/ ١١٠-١٢٠ (١٩٩٠) ، على أن أول واقف عليه هو العلاّمة أحمد تيمور رحمه الله في كتابه أبو العلاء ٧٤ .

١٤ - وأبطل بعض ادعاءاته أحمد موسى في الصبغ البديعي ٢٨٩-٣٠٠ .

١٥ - ويستدرك على المحقق أن النسخة الأم وهي المبيَّضة والموسّعة لعلها نسخة المؤلف بخطه أو النسخة التي قدّمها لابن سناء الملك بخط الرجل الذي رسم ابن سناء الملك أن تكون بخطه ، والتمست أنموذج خط المؤلف في الأعلام للزركلي للمقارنة فلم أجد وقابلت الصفحتين المورّتين منها على المطبوع فوجدته أصحّ منه بنحو أربع كلمات ! فوصفه للنسخ بكثرة التصحيف ليس على إطلاقه . أما النسخة (أ) - وهي المسوّدة المختصرة - فهي منقولة من نسخة المؤلف كما تجد واضحاً في صورتها في صفحة ٨٢ ثم قوبلت على النسخة الأولى وأضيفت الزيادات في أطراف الورق ومما أضيف عبارة إهداء الكتاب إلى رجل آخر مع بقاء اسم الأول في المتن ! .

١٦ - وفطن لذلك محقق التحبير ، وأشار إليه أحمد موسى في الصبغ البديعي ١٤٠ .

١٧ - من المعلوم أن بلاشير ألّف كتابه قبل نحو ستين عاماً ، ولذلك تقادم الكثير مما فيه وعفا عليه الزمن .

١٨ - ولعلي عجلت في المقالة الأولى إذ قلت إن إغفال القفطي ذكر السلفي (غير جيّد منه) فليس ثمت ما يقطع بأنه كان فيه ولعل الأقرب أنه لم يكن فيه لأن ابن العديم لم ينسبه إلى السلفي مع أنه يقول في البغية ٢/ ٣٩٣ (قرأت بخط السلفي) .

١٩ - أشار الدكتور مصطفى جواد إلى أن التبيان المنسوب للعكبري لم يقف عليه إلا ابن معصوم هذا ، فلعلّه يدل على سعة اطّلاعه بالقياس إلى أهل عصره ، ويؤيده كثرة المصادر التي استفاد منها في أنوار الربيع وغيره من كتبه . هذا ، وقد اطّلع على التبيان باكثير الحضرمي المتوفّى سنة ٩٧٥ ونقل منه في كتابه المطبوع (تنبيه الأديب) .

محمد بن عبدالله العزام
ص . ب ٢٥٦٤٦ - الرياض ١١٤٧٦

الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم
حياته ونماذج من رسائله الخطية

إبراهيم محمد الزيد
أستاذ مشارك
قسم التاريخ كلية الآداب
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

مقدمة

من يتأمل تاريخ نجد في القرن الثالث عشر الهجري وما بعده ، يلاحظ أن الأئمة في الدولة السعودية المتتابعة - يرحمهم الله - قد استعانوا برجال أكفاء لقيادة الجيوش ، ورئاسة الأقاليم ، وقد أشار المؤرخون إلى ذلك بإشارة موجزة لا تلبي رغبة الباحث إلى معلومات أكثر تفصيلاً عن الولاة وسيرتهم في الإدارة ، والملاحظ - أيضًا - أن الذين قاموا بكتابة تاريخ تلك المدة جلهم ، إن لم يكن كلهم من علماء الشرع الشريف ، ولهذا برز اهتمامهم بإعطاء معلومات أكثر تفصيلاً عن العلماء وطلبة العلم ، مثل سني طلبهم العلم ، وعلى من طلبوه ، ووفياتهم ، مع الإشارة إلى ما يتميز به ذلك العالم من صفات حميدة في حياته العملية ، وقد يوردون بعض الأشعار التي تبرز صفات ذلك القاضي (1) . وفي الوقت الحاضر ازداد التأليف عن العلماء، ومن بين من ألف عن العلماء في الديار السعودية الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، وكتابه هو «مشاهير علماء نجد وغيرهم» كما ألف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام كتابًا بعنوان «علماء نجد خلال ستة قرون» والشيخ عثمان بن صالح القاضي وعنوان كتابه «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» وغيرهم . ولم يقف التأليف عند القضاة ؛ بل انتقل إلى التأليف عن رجال التربية والتعليم كما فعل عبدالله محمد الزيد في كتابه من روادنا التربويين المعاصرين، وعن الأدباء والشعراء كما فعل عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس في كتابه «شعراء نجد المعاصرون» وهذه أمثلة فقط لم أرد بها الحصر ، ولكن هذا الاهتمام يقل حينما يكون الحديث عن ولاة الأقاليم مع أن أمراء الأقاليم قاموا بجهود كبيرة لا تنسى في ظروف سياسية واجتماعية صعبة، وتحملوا عبئًا ثقيلاً من ناحية نشر الأمن، وإيقاف الحروب القبلية، ومحاربة الفساد والظلم، وإدخال الطمأنينة إلى قلوب الناس، إلى جانب حمل رسالة الدولة الجديدة والدفاع عنها، خصوصًا رسالة الإصلاح الديني، ومحاربة البدع والخرافات ودعاتهما، لقد امتشق الولاة الحسام فما وهنوا ولا استكانوا حتى استقام الناس على الحق، وعادوا إلى الترابط والتوحد، فقام في جزيرة العرب مجتمع جديد، هو مجتمع الإيمان والوحدة في الهدف والمصير المشترك، وقام الأمراء في المقاطعات بحماية ذلك التوجه وحراسته كل في موقعه ، فتحولت جزيرة العرب إلى بحيرة أمن وسلام واطمئنان فقدته الجزيرة العربية قرونًا . ومن أولئك الولاة وأمراء الأقاليم الأمير المخلص لدينه ودولته الحازم في عمله وإدارته الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم - يرحمه الله - الذي عينه الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أميرًا في منطقة أبها، ثم أميرًا في الطائف ، كما نقله وعينه في مدينة المصطفى ﷺ ؛ ولأهمية الدور الذي قام به هذا الأمير في تلك المدة العصيبة من بناء الدولة رأيت أن من المفيد أن أكتب عنه . وخلال مراحل إعداد هذا البحث سعدت عند ما حصلت على مجموعة من الرسائل الخطية التي وجهها لبعض مشائخ القبائل التابعين لإدارته في منطقة الطائف، ووضعتها في ملحق في نهاية هذا البحث . والأمل أن يفتح هذا البحث بابًا جديدًا فيقوم الباحثون ، ممن توجد لديهم معلومات أصيلة ووثائق علمية بالإسهام والتعاون في الكتابة عن الولاة والأمراء في الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة وبتضافر الجهود يمكن - بإذن الله - التطلع إلى إنجاز معجم عن الولاة والأمراء في البلاد السعودية . والله ولي التوفيق .

آل إبراهيم

ينتمي آل إبراهيم إلى آل يحيى من آل أبي رمَّاح من آل غـزِّي من الفـضـول من قـبـيلة لام من طيئ ، وكـانوا يسكنون مع إخوتهم آل كَثير وآل مُغيْرة في غوطة بني لام غربي جبل طيئ وكانوا قبل ذلك بادية ، وقد تحضر منهم أسر كثيرة في نجد فمنهم سكان بلدة الشُعَراء في عالية نجد قرب الدوادمي ، ومنهم من كانوا يسكنون بلدة مَلْهَم بالقرب من حُرَيملاء ولا يزالون هم أمراء مَلْهَم ، وأبا الكِبَاش في الشمال الغربي لمدينة الدرعية [٢] وحائل والعارض والوشم ورحلت بادية الفُضُول إلى أطراف الشام والعراق وحصل لهم دولة هناك ، وكان لهم مع القبائل صولات وجولات ومعارك منذ منتصف القرن التاسع الهجري [٣] .

فقد ذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ) تفصيلات من ينسب إلى فضل بن ربيعة ، وأن لهم الرياسة على طيئ أيام الفاطميين قال : وكلهم ورثوا أرض غَسَّان بالشام ؛ قال : وهم سادات العرب ووجوهها ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وبيت عظيم :

من تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيدَهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري [٤]

قال السويدي (ت ١٢٤٦هـ) في مسالك الأبصار : ومنازل آل فضل هؤلاء من حمص حتى حدهم قِبْلة بشرق إلى الوشم آخذين يسارًا إلى البصرة ، ولهم مياه كثيرة ومناهل ماء موروودة :

ولها منهلٌ على كل وادٍ وعلى كل دِمْنَةٍ آثار [٥]

وفي تواريخ نجد شيء من أخبار قبيلة الفضول ومعاركهم مع القبائل الأخرى منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر ، ومن رؤسائهم في القرن الحادي عشر مُهَنَّا بن جاسر آل غزِّي ، أما في القرن الثاني عشر فقد ترأس فيهم سلامه بن مرشد بن سويط [٦] .

ويقيم آل إبراهيم في الرياض ، وحائل وأبا الكباش ، ورنية ، والطائف ؛ وهم بنوا إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن حمد بن عبدربه [٧] .

الأمير عبدالرحمن بن إبراهيم

هو جد الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ، وكان لهذا الأمير – يرحمه الله – شهرة في الدولة السعودية الثانية ، حيث تولى الإمارة في عهد الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود – يرحمه الله – ويبدو أن أول إمارة وليها هي إمارة مدينة ضَرَما ، ثم في عام ١٢٦٣هـ أرسله الإمام على رأس سرية ، وأمره أن ينزك في قصر البُرَيْمي في عُمان . وفي ١٦ شعبان من عام ١٢٧٠هـ قام أهل عنيزة في القصيم بإخراج الأمير جلوي بن تركي أخو الإمام فيصل ، وكان قد عينه أميرًا لعنيزة ، وحينما علم الإمام بهذا التطور كتب إلى جميع البلدان وأمرهم بالجهاد، وأمَّر عليهم عبدالرحمن بن إبراهيم ، وأمره بالمسير إلى أهل بريدة وأرسل معه سرية من أهل الرياض وغزو أهل ضرما والمزاحمية وقد أغار على عنيزة ، وأخذ المواشي ثم قدم إلى بريدة [٨] . وفي عام ١٢٧٧هـ عينه الإمام فيصل أميرًا في بريدة [٩] ، وفي عام ١٢٧٨هـ أرسل الإمام فيصل سرية مع صالح بن شُلْهُوْب ، وهو من أهل الرياض إلى بريدة ، وكتب للأمير عبدالرحمن بن إبراهيم أن يُغير بهم على أطراف عُنيزة ؛ فلما كان في رمضان أغاروا عليه فترك لهم ابن إبراهيم ما كان أخذه منهم وعاد إلى بريدة [١٠] . وفي شوال من السنة المذكورة شجع محمد الغانم – وهو من آل أبي عُلَيَّان رؤساء بريدة – أهل عنيزة على حرب بريدة فخرجوا على خمس رايات ، ودخلوا بريدة في آخر الليل وقصد بعضهم القصر الذي فيه الأمير ابن إبراهيم وعدة رجال من أهل الرياض ، ووضعوا السيف فيهم فصاح أهل بريدة بالمهاجمين وأخرجوهم من البلد وقتل منهم عدة رجال ، ولما وصل الخبر للإمام فيصل أمر على أهل البلدان بالجهاد ، وأرسلهم إلى بريدة واستعمل عليهم عبدالله بن عبدالعزيز دُغَيثر من بني حنيفة من الرياض ، وحصل بين ابن إبراهيم وابن دغيثر وأهل عنيزة وقعة في «رِوْاق» وهو أحد خُبُوْب بريدة الجنوبية لا يبعد عنها إلا بثلاثة أكيال [١١] . وصارت الهزيمة على عبدالرحمن بن إبراهيم ومن معه وقتل من أتباعه نحو عشرين رجلاً منهم ابن دُغيثر ، وبعد الغزوة غضب الإمام فيصل على الأمير عبدالرحمن بن إبراهيم لأشياء نقلت عنه فاستدعاه إلى الرياض وأمر بقبض ما عنده من مال [١٢] . وقد سألت معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إبراهيم (ت ١٤٠٦هـ) – يرحمه الله – أمير منطقة الباحة سابقًا عن سبب الهزيمة ؛ فقال : إن الإمام

فيصل أرسل للأمير عبدالرحمن تعليمات محددة وأمره بعدم تجاوزها وهي عبارة عن خطة حربية فقام بتنفيذها فحصلت الهزيمة . ولما عاد ابن إبراهيم من القصيم توجه إلى نخله في أبي الكِباش وأقام فيه فأخبر الإمام فيصل بقدومه ، وأنه مريض فخرج الإمام فيصل – يرحمه الله – إليه من الرياض ، واسترضاه وعينه أميراً في الأفلاج في جنوبي المملكة واستمر في عمله حتى كف بصره فخلفه في الإمارة ابنه الأمير إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم في عهد الإمام عبدالله بن فيصل ، وكانت ولايته في أحلك الظروف التي مرت بها البلاد في ذلك الزمن نتيجة الخلافات الشديدة بين أبناء الإمام فيصل ، وقد سهلت هذه الخلافات الظروف لمحمد بن عبدالله الرشيد (ت ١٣١٥هـ) الطامع في حكم نجد أن يستأثر بالسلطة في نجد حينما استنجد الإمام عبدالله بن فيصل – يرحمه الله – بمحمد بن رشيد . وقد سَجن الإمام أبناء أخيه سعود فقاد ابن رشيد جيشاً إلى الرياض . وأطلق سراح الإمام عبدالله ، وعاد إلى حائل ومعه الإمام عبدالله ، وعين ابن رشيد أميراً من قبله في الرياض هو سالم السُّبْهان ليكون حاكماً على الرياض في عام ١٣٠٥هـ [١٣] . وهم من آل خليل الذين منهم آل رشيد [١٤] . وفي عام ١٣١٥هـ أمر ابن رشيد ابن إبراهيم بنقل عائلته إلى مدينة حائل ففعل واستوطنوا هناك، ولما استولى الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – على حائل عام ١٣٤٠هـ انتقل الأمير إبراهيم إلى مكة المكرمة للمجاورة فيها ، وبها توفي – يرحمه الله – [١٥] .

الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم

لقد كان عبدالعزيز بن إبراهيم – يرحمه الله – واحداً من ستة أبناء للأمير إبراهيم . وخلال وجود الأسرة في مدينة حائل حققت الأسرة ، وخصوصاً عبدالعزيز مكانة مرموقة لدى أمير حائل فعندما حاصر الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – مدينة حائل في عام ١٣٤٠هـ وضيق المسالك على أهلها وأمرائها ساءت أحوال الناس، وكثرت معاناتهم، ألحّ الناس على محمد بن طلال بن رشيد وجوب مصالحة الملك عبدالعزيز ، ومازال به عبدالعزيز بن إبراهيم حتى أقنعه فأعطى خاتمه لعبدالعزيز بن إبراهيم ، وفوضه في التفاوض مع الملك عبدالعزيز والتوقيع نيابة عنه فخرج ابن إبراهيم من المدينة المحاصرة إلى مخيم الإمام عبدالعزيز – وانتهت المفاوضات أن يسلم ابن طلال ومعه آل الرشيد ، ويعيشون في كنف الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود – يرحمه الله – بعيدين عن حائل ، على أن يعفو عبدالعزيز عن كل من اشترك مع ابن طلال في الحرب من رجال إمارته وأتباعه ورعيته ومن والاه عفواً شاملاً . وبُعيد الاتفاق جاء محمد بن طلال بن رشيد يرافقه عبدالعزيز بن إبراهيم ، وسلم نفسه وأعيان قومه للإمام عبدالعزيز في ٢٩ صفر ١٣٤٠هـ [١٦] .

إمارته في أبها

بعد أن انضمت حائل إلى الرياض رجع عبدالعزيز ابن إبراهيم إلى بلده الرياض بناءً على توجيه الملك عبدالعزيز . وفي عام ١٣٤١هـ أي بعد سنة من العودة إلى الرياض بعائلته أمره الملك – يرحمه الله – بالتوجه إلى أبها ليعمل أميراً هناك ، وكانت الأحوال السياسية والعسكرية غير مستقرة ، ففي تلك المدة كان الجيش الحجازي يعسكر في بارق في تهامة قبيلة بني شهْر ، ومعهم محمد بن عبدالرحمن بن عائض ابن عم الأمير حسن بن عائض ؛ وهم رؤساء قبيلة بني مُغَيْد من عسير . الأمير الذي ذهب إلى الحسين بن علي أمير مكة المكرمة في ذلك الوقت ، وطلب منه المعونة ضد القوات السعودية ، وكان يقود الحملة عبدالله بن حمزة بن راجح الشريف والقائد حمدي بك ، وقد قابلهم حسن عائض ، وانضم إليهم بجيشه ، وتمركز جيش أمير مكة في باحة تنومة من بلاد بني شهْر بالقرب من مدينة النماص التابعة لمنطقة عسير إدارياً فأرسل سعد بن عُفَيْصان وهم من عائذ من الخرج ، وكان أمير أبها من قبل الملك عبدالعزيز – حملة عسكرية بقيادة ابنه سليمان فَهُزم الجيش شمال شَعار ، وقُتل سليمان بن سعد بن عفيصان ، وتقدم جيش الحجازي ومعه الأمير حسن بن عائض ودخلوا مدينة أبها ، ونشب القتال مع الحامية السعودية المعتصمة في قصر «شَدَا» الحصين وسط مدينة أبها ، وبقي منه الآن بقية تشهد بقوة البناء وحصانته ومتانته ، ونصب مدافعه على أبراج قلعة «شمسَان» ولا تزال إلى الآن شاخصة، ووالى قصف قصر «شدا» ودام الحصار مدة عشرين يوماً ، ثم وصلت إلى

الميدان قوة سعودية إلى مدينة خميس مُشَيْط بقيادة ابن جامع وابن جَيْفان فتراجع الجيش الحجازي ولم يطلع الفجر حتى أتموا انحدارهم من عقبة «شعَار» وبها الآن آثار قلعة تركية يمر بها طريق أبها تهامة ؛ فخرج ابن عفيصان ومن معه من القصر فرحين ، وقيل إن سبب تراجع جيش الحجاز كان بأمر الحسين من أجل الانضمام لجيش الحجاز لصد هجمات «الإخوان» عن الطائف ، فأسقط في يد حسن بن عائض ولم يجد بداً من التحصن في قصره في «الحرملة» وهو قصر حصين في الأصدار الغربية لبلدة السُّقا يصعب الوصول إليه .. ولما توفي سعد ابن عفيصان خلفه ابن جيفان في الوكالة (17) مدة ثلاثة أشهر ثم إن الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – استدعى عبدالعزيز بن إبراهيم وعينه أميراً في أبها ، ولما تلقى الأمر سكت كما حدثني بذلك معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم فقال له الملك : لا يبعد الأوطان يا ولدي غير أسمائها فرد ابن إبراهيم ، وكان غير متحمس لهذا العمل : ولكن إذا أنهيت مشكلة التمرد في أبها أعود للرياض ؟ فابتسم الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – وكان تعيينه في أبها في شوال عام ١٣٤١هـ (18) . فلما وصل إلى أبها اتبع أسلوب السياسة الهادئة والصبر ، وسلك طريق الأحسان إلى المعارضين وأسرهم ، واستعمل الحكمة والدهاء في جلب الأمير حسن بن عائض من ملجئه الحصين في الحرملة ، وراح يعالج شئون الحياة العامة ، ويشيع الطمأنينة والسكون في البلاد دون أن يبدي اهتماماً بمن في الحرملة – فقد شاع في البلاد أن الأمير يود أن يتزوج أخت الأمير ، ولكن القاضي أبى أن يعقد له عليها مع رضاها بأن لابد من حضور ولي أمرها وهو قريب ، ولما لم يحضر صرف النظر عن موضوع الزواج وأخذ في محاورة القاضي قائلاً : إنها كبيرة وراشدة وموافقة ؟ ! قال القاضي : لابد من حضور الولي وموافقته ، وتزوج الأمير بعيد ذلك امرأة من أسرة آل مُشَيْط رؤساء قبيلة شَهْران . ولم يمنع هذا الأمير من مواصلة الإحسان إلى أسرة آل عائض والإنفاق على عوائلهم وكسوتهم ، مثلما ينفقه على نفسه وعائلته . لقد واصل – يرحمه الله – قضاء حوائجهم وتودد إليهم ، وهم موجودون في أبها ، وسعت الرسل بينهما مما أقنع حسن بن عائض أن هذا الأمير السعودي الجديد هو أنموذج مختلف عن بقية الأمراء السعوديين من قبل ، ولقد وضع حسن بن عائض شروطاً صعبة للصلح وقال لخاصته : إن قبلها عبدالعزيز بن إبراهيم كلها فالأمر فيه مكر ويصبح الهدف هو القبض عليه فقط ، ولكن ابن إبراهيم فهم ذلك ، فقبل ما يمكن قبوله وأبى غيره ، وقد كان من ضمن شروط ابن عائض أن يعود إلى عمله في الإمارة نائبًا عن الأمير فرد ابن إبراهيم : لم نجئ بالجيش من نجد إلا لكي نبعدك عن ذلك، ولكن تعود مواطنًا لك تقدير خاص ، وعندما طلب ألا يسافر إلى نجد ويبقى في عسير وافق على ذلك إلا إذا طلبه الإمام عبدالعزيز . وعندما طلب العفو عن جميع من معه وافق الأمير على العفو عن حق الدولة عدا حقوق الناس ، وحق الله تعالى ، وتم الاتفاق ، ودعاه حسن بن عائض إلى منزله في «السُّقا» بالقرب من قرية «السُّودَة» ثم نزل إلى أبها مع الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ، وانتهت المشكلة دون إراقة دماء ، وسافر ابن عائض وإخوته وبعض أبناء عمه إلى الرياض حسب طلب الإمام ، وبقوا هناك معززين مكرمين وأسرهم إلى أن توفي الأمير حسن (19) عام ١٣٥٧هـ .

وعن سياسة الأمير ابن إبراهيم ، ونجاحه قال الشيخ هاشم بن سعيد النعمي المؤرخ : وصل ابن إبراهيم والفوضى ضاربة بجرانها، والأمن غير مستتب، ولكنه كان عاقلاً محنكًا ، حكم السياسة في عسير وأحسن التصرف مع السكان، وقبض على زمام الأمور، وضرب على أيدي العابثين بيد من حديد فاستقامت الأحوال في المنطقة ، وهدأت الفتن أيام إمارته (20) . وتقديراً من الملك عبدالعزيز لجهود الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أقطعه زكاة بعض بني واهب من قبيلتي إلحاف وَوَقْشَه من قحطان في منطقة عسير (21) ولما أنهى ابن إبراهيم المهمة المكلف بها من قبل الملك عبدالعزيز – يرحمه الله بنجاح عين بدلاً عنه في إمارة أبها عبدالله بن إبراهيم العسكر أمير المجمعة وسدير سابقًا ؛ فوصل إلى أبها في ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ (22) .

وقفة

ورد في كتاب «أخبار عسير» شيء عن كيفية اتفاق حسن بن عائض مع الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ، وأن آل

عايض قبضوا على رءوس القبائل الذين والوا ابن سعود وكثّر نفاقهم ووضعوهم في سجن «شَدَا» وأن ابن إبراهيم بقي أربعة أيام في أبها بعد الاتفاق مع حسن بن عايض بعد جيشه للرحيل عن المنطقة !! وحدد سفره في اليوم الخامس ، وأن عبدالرحمن بن سعيد دعاهم للطعام جميعًا في «حجْلا» في منتصف الطريق بين «أبها وخميس مشيط» فوافقوا وأثناء الطعام جهز ابن إبراهيم مئتي جندي من الخيالة لنقل ابن عايض إلى الرياض بعد عزل جنودهم عنهم . وورد أيضـــا أن من بين المرسلين إلى الرياض عبدالله بن مفَرِّح ، وعلي بن مُشَيْبَه وأنهما قدما شكوى ضد أمير أبها عبدالعزيز بن إبراهيم فعزله (٢٣) .

والواقع إن ما ذكر أعلاه لم يقل به أحد من المؤرخين في تلك المدة مثل محمد عمر رفيع الذي تردد على منطقة عسير ، وأقام في بلدة رُجال ألمع مديرًا للمدرسة ، وألف كتابه «في ربوع عسير» ولم يذكر ذلك محمود شاكر في كتابه «شبه جزيرة العرب ١ – عسير» ولم يرد في كتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزة ؛ بل إن الشيخ المؤرخ هاشم ابن سعيد النعمي القاضي في المحكمة الشرعية في أبها ، وهو من أهل البلاد لم يذكر ذلك في كتابه «تاريخ عسير بين الماضي والحاضر» وهو من أقدم ما نشر من المؤلفات عن تاريخ عسير . ويبدو لي إدخال بعض الزيادة ، وإجراء تعديل على تاريخ عبدالله بن علي بن مُسْفِر «أخبار عسير» دون أن تكون في أصل المخطوط ، وأوضح مثال على ذلك أمر نقل ابن إبراهيم من أبها ، فالملك عبدالعزيز – يرحمه الله – لم يفقد الثقة في القائد الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم – عفا الله عنه – وإنما كان يعده لموقع مهم جداً بدليل أنه عينه بعد أشهر أميرًا لمنطقة الطائف في ظروف سياسية بالغة الدقة ، ثم نقله بعد سنين أميرًا للمدينة المنورة . فالأمير ابن إبراهيم هو رجل المهمات الصعبة والنقل من أبها كان بناءً على رغبة أبداها لموحد الجزيرة العربية كما أوضحت ذلك سابقًا .

إمارته في الطائف

لقد دخلت القوات السعودية مدينة الطائف يوم ٧ صفر ١٣٤٣هـ ثم توجهت تلك القوات إلى مكة المكرمة بلباس الإحرام غير مقاتلة فدخلوا مكة يوم (٢٤) ١٧ ربيع الأول من العام نفسه . وما كان لعبدالعزيز أن يستقر في الرياض ورجاله وجنده في مكة عرضة للمفاجئات السياسية وتقلب الأحداث فأزمع السير ، فغادر الرياض يوم ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ يرافقه زهاء ثلاث مئة من آل سعود وآل الشيخ وأعيان القوم (٢٥) . وقبل أن يتوجه من قرن المنازل «المسمى اليوم السيل الكبير وهو ميقات الإحرام إلى مكة المكرمة محرمًا ، أرسل يستدعي عبدالعزيز بن إبراهيم وكان من بين من رافق الملك في رحلته التاريخية هذه من الرياض إلى مكة المكرمة (٢٦) . فأمره بعدم الإحرام وعينه أميرًا للطائف في يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ فوصل إلى الطائف في ظروف سياسية وعسكرية واجتماعية حساسة بعد معركة (الحَوِيّة) ودخول الطائف ومعارك (الهدى) بثلاثة أشهر ، وهذا يعني أن مهمة الأمير الجديد أول أمير سعودي للطائف في الدولة السعودية الثالثة – توطيد الأمن في الطائف والطرق المؤدية إليها ، وفي كل القبائل المحيطة ، وقد اتبع سياسة الحزم والشدة في معاقبة المجرمين خاصة اللصوص وقطاع الطرق ، وقاد حملات عسكرية ناجحة لإخضاع قبائل الطائف ، ونجح في مهمته تلك فأصبح الطائف وما حوله جبهة قوية تدعم صمود الجيش الذي كان يحاصر مدينة جدة من عام ١٣٤٣هـ إلى جمادى الآخرة عام ١٣٤٤هـ (٢٧) .

لقد كان للأمير عبدالعزيز بن إبراهيم هيبة في القلوب ، وخصوصًا قلوب المجرمين ، وكان موفقًا وملهمًا في كشف شخصيات مرتكبي الجرائم والتعرف عليهم وتسجيل اعترافاتهم ، وذكر ذلك الشيخ علي الطنطاوي في برنامجه التلفزيوني (نور وهداية) .

حدثني الشيخ محمد سعيد كمال مؤرخ الطائف، نائب رئيس النادي الأدبي ، وقد عاصر الأمير ويعرفه عن قرب قال : عندما عين الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم في إمارة الطائف كانت الأحوال الأمنية ليست على ما يسر ؛ فتعقب أصحاب الجرائم وقطاع الطرق وقضى عليهم ، حتى أصبح الإنسان يرى الضالة في الطريق فلا يقربها ، وإنما يبلغ عن مكان وجودها فيذهب لها رجال الإمارة . والمعروف أن الطائف محاط بقبائل كثيرة إذ يشمل قطرًا واسعًا ،

وطرقاته متباعدة متعددة ملتوية عبر جبال وأخاديد وأودية ومجاهل . ومن فراسة الأمير :

أ – أن مجموعة من الرجال الذين كانوا ينقلون البضائع والمنتجات الزراعية اعتادوا التجمع والمبيت في غرفة للراحة ، وهناك يعدون طعامهم بأنفسهم ، وحدث أن حصل لأحد (الجمَّالة) تسمم في الأكل مات منه ، فاحتار المحققون في معرفة المتسبب في وفاة الرجل ، فأحضر الذين يبيعون السُّميَّات في (سُوَيقة في الطائف) وسألهم عما إذا كان أحد في مدة وفاة الرجل قد اشترى منهم سماً ؟ فذكر أحد الباعة أن فلاناً اشترى منه سماً ، وكان أحد أولئك (الجمَّالة) فلما جيئ به إلى الأمير اعترف أنه واضع السم في ذلك الأكل حتى لا يتزوج الرجل فتاة يتطلع إلى الزواج منها واضع السُّم ! !

ب – وفي الأيام الأولى لامارته راود أحد الرجال راعية عن نفسها ، وهي في المرعى عند أغنامها فأبت فاغتصبها ؛ فلما جاءه وتحقق الأمير أنه الفاعل قطع بالسيف أرنبة أنفه وأرسله فكلما رآه الناس تذكروا فعلته القبيحة ولابد أنه عمل ذلك تنفيذاً لحكم القاضي الشرعي .

صنم دَوْس ذو الخَلَصة

بعد أن تولى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم إمارة الطائف قاد حملات عسكرية إلى القبائل التابعة للطائف والمحيطة به لإدخالهم في طاعة الدولة السعودية ، وقد نجح في ذلك ، ولما أنهى مهمته في بلاد قبيلة زهران ، وهم من الأزد ، عزم على تدمير صنم « ذي الخلصة » لأن وجوده يتنافى مع توحيدالله تعالى بالعبادة والدولة السعودية دولة سلفية تتمسك بأهداب الدين ، ومعنية تماماً بإصلاح عقيدة المجتمع الدينية ، وقد كانت قبيلة دوس تعبده قبل ظهور الإسلام ، وقد هُدم حينما هدمت أصنام دوس بعد إسلامهم وهذا غير الصنم الذي هدمه جرير بن عبدالله البَجَلِيّ من قبيلة بَجِيْلة في الجنوب الشرقي لمدينة الطائف ، ويسمون اليوم بنومالك – وكان الهدم بأمر من الرسول ﷺ وكان ذلك في تَبَالَة في بلا د قبيلة خَثْعَم (٢٨) . والبلدة تابعة الآن لمدينة بيشة ـ ويقع ذو الخَلَصة الذي هدمه الأمير ابن إبراهيم في بلاد دوس بسراة قبيلة زهران أسفل وادي «ثُروق» من جهته الشمالية ـ غربي قرية «الدولان وقرية الحَبَشَه » من قرى دوس ويسيل ماؤه في وادي الكَفْ فوادي الجرداء بتهامة دوس وطول هذا الوادي نصف كيلو تقريباً ، وفي الجهة الغربية من هذا الوادي يقع شَفا بني علي من بني مُنْهِب من دوس ، وعلى مسافة ٣٠٠م من قرية الدولان غرباً صخرة كبيرة مكسرة إلى ثمانية كسور في أرض منبسطة تسمى «رهوةالسراء » وهذه الصخرة هي بقايا صنم «ذو الخلصة » وكان على هذه الصخرة بناء ضخم (٢٩) بحيث لايقوى على زحزحة الحجر الواحد منها أقل من أربعين شخصاً ، وأن متانته تدل على مهارة وحذق في البناء ، وكان بنيان « ذي الخلصة » تاماً عندما استولى الإمام سعود الكبير بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (ت١٢٢٩هـ)في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري ثم هدم قسم منه وبقيت منه جدرانه قائمة (٣٠) . وفي ربيع من عام ١٣٤٤هـ عندما بدأ الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم حملته على قبائل الطائف، وقبيلة زهران تابعة إدارياً للطائف في ذلك الوقت ، ووصل إلى قبيلة دوس الزهرانية استبقى مشائخ القبائل لديه في مقر إقامته ولم يسمح لأحد بالمغادرة خوفاً من مقاومة بعض الأفراد هدم «ذي الخلصة» وأمر قواته فتسلقت الجبل وقد استطاعت الوصول الى موقع الصنم فهدمه ، وأبعدت الصخور عبر منحدرات الجبال إلى تهامة وبقيت صخرة لم يستطع أحد زحزحتها فاكتفى الجنود برمايتها بالسلاح حتى تشظت وأحرقت شجرة «العبلاء» التى بجوار الصنم فعفي رسم هذا الصنم وانقطع أثره (٣١).

وفي عام ١٤٠٥هـ تقدم أحد المجاورين لموقع صنم ذي الخلصة إلى المحكمة الشرعية لاستخراج حجة استحكام لتملك الموقع ، ولاحظت إمارة دوس أن الإعلان يشمل موقع ذي الخلصة فعارضته الإمارة لدى المحكمة وعرضت أوراق المعاملة على لجنة تقويم القرارات المشكلة في إمارة منطقة الباحة ، وكنت رئيسها فاقترحت اللجنة أن تسلم الموقع لإدارة الآثار في إدارة التعليم بمنطقة الباحة ويوضح للمحكمة الشرعية حقيقة الإعلان وأنه يشمل موقع «ذي الخلصة» ومن المصلحة إبقاء الموقع على حاله وتحديد حدود الطريق الموصل للموقع دون تدخل واستحواذ أحد عليه ؛ لأنه غير مملوك لأحد بعينه .

إمارته في المدينة المنورة

في الثامن عشر من شهر صفر من عام ١٣٤٦هـ أصدر الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – أمرًا بنقل الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم – يرحمه الله – من إمارة الطائف، وعينه أميرًا في المدينة المنورة، وهو نقل تكريم وتشريف، وقد أوضح الملك الراحل سبب هذا النقل فقال: إنه عندما عين ابن إبراهيم في الطائف كانت توجيهاته إليه هي الاهتمام بتعليم الناس أمر دينهم، وأن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، وتأمين الرعية في بلدانهم وفيما بينهم على دمائهم وأحوالهم، وأعراضهم، وأمر عامله ابن إبراهيم أن يجتهد في ذلك، ولكن الإمام عبدالعزيز لاحظ بعض التغير من البعض، وعدم قبول تلك الدعوة، وهذا يوجب معاقبة المخالف، وكذلك من يريد تغيير شيء في ولاية المسلمين، وظن الملك أن بعض هذا التغير هو بسبب ظلم من أميرهم، ولكن ليس هذا بحجة لهم؛ لأن الإمام سبق أن عَرَّف الأهالي في رسائل سابقة أن من جاءه ظلم يرفع الأمر له. ولهذا السبب نقل ابن إبراهيم لتقوم عليهم الحجة لمعرفة ما إذا كان قد صدر منه ظلم على الرعية أو كلفهم ما لا يطيقون، فإن كان القصد التمرد من البعض فيجب تأديبه وتبرأ الذمة منه، وأوضح أنه عين في الطائف محمد بن عبدالعزيز آل الشيخ أميرًا، وأعلن للقبائل عفوًا عامًا فيما هو حق خاص للحكومة من جناية أو تأديب. وقد ورد هذا في رسالة من الملك إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش وجماعته كافة من قبيلة زهران (٣٦) ولما عين ابن إبراهيم في إمارة المدينة المنورة وجه له ولنائبه رسالة مطولة عين فيها صلاحياته كما نصحه وأوصاه بمراعاة الناس واللين والطمأنينة، والنظر على جميع أمر يخالف الشرع أو يخل بالولاية أو يضر بالأهالي، ولا يجري أمر إلا بإمضائه مع مراجعة النيابة فيما يحتاج إليه، وأمر بمراجعة النيابة في أمور البادية، ومعالجة وضعهم على نحو ما قيل «أكرب وجهك وأرخ يديك» ولا يجري قتل ولا ضرب ولانكال إلا بحكم شرعي ومراجعة النيابة وما أمضته ينفذ مع الحرص على الطرق والأمان وموازنة الناس، والعمدة بأن يكون جميع الناس راضين عنه الحاضرة والبادية، وبين له أن الناس يتهمونه بالشر، والأمل أن يبدد ذلك بالخير، كما أوصاه بتنفيذ أمر الشرع، والأمر بالمعروف والأخذ بأيدي الآمرين به وعليه أن يجعل من جميع الموظفين أصدقاء وبعيدين في الوقت نفسه، والأخذ بخواطر العسكريين والأخذ على أيديهم، ومراقبة الدوائر الحكومية على الفساد، وعدم التدخل في أمورها التنظيمية، مع التفطن إلى خَدَمه فهم الخراب، ولا يتدخلون في موضوع إلا بأمر منه، وبشأن الإخوان الدعاة إلى الدين حثه على إكرامهم وإن رأوا منكرًا فعليه بعثه إلى هيئة الأمر بالمعروف، ولا يسمح لأحد بمد يده (٣٧). كما وجه الملك عبدالعزيز – يرحمه الله – رسالة إلى أهل المدينة كافة في ١٠ ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ بلغهم أنه عين عبدالعزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة – وقد دافع عنه قائلاً، فلعلكم تسمعون بشدة عبدالعزيز بن إبراهيم وتهابون منه، وهذا شيء لا حقيقة له، إن ابن إبراهيم شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق، وعرف حق نفسه، وغلبة اعتماده على الله ثم على الأحكام الشرعية بجميع أمر يرد إليه ... (٣٨) وعندما باشر عمله في إمارة المدينة المنورة بذل جهده في بسط الأمن، ومعاقبة المجرمين وقطاع الطرق بلا هوادة، وقد عامل أهل المدينة والوافدين عليها بالحسنى واللطف، وكان مجلس الأمير الليلي عبارة عن منتدى يقصده الأعيان والعلماء والأدباء والمؤرخون فإلى جانب أنه أمير بارز، فهو مؤرخ حضر شيئًا من المعارك وشهد وقائع مع الملك عبدالعزيز، وله تجاربه الخاصة خلال قيادته بعض السرايا والجيش في عسير والطائف، وحينما بدأ عمله في مدينة الرسول ﷺ كانت لديه حصيلة كبيرة من التجارب في إدارة الأقاليم، والتعامل مع القضايا والمشكلات الأمنية، والعسكرية. وكان من يحضر مجلسه يستفيد من ذلك. وممن حضر مجلسه المستشرق الإنجليزي عبدالله فلبي، وعبدالقدوس الأنصاري (ت ١٤٠٣هـ) وعلي حافظ – وهم مؤرخون. ولهذا عندما ألف أحمد عبدالغفور عطار – يرحمه الله – كتابه «صقر الجزيرة» كلفت لجنة لقراءة مخطوطته ومن أعضاء اللجنة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم لتصحيح ما قد يكون في مخطوطه من أخطاء أو ملاحظات، وقد جرى استعراض المخطوطة في تؤدة، وفي جلسات ليلية في منزل ابن إبراهيم في حي «الفَلَق» في

مكة المكرمة ، وفي الحرم المكي كما ذكر ذلك العطار في مقال تأبيني إثر وفاة معالي الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم أمير الباحة سابقًا - يرحمه الله .

رعاية الأمير للأدب والثقافة

يقع مسكن الأمير في حي «النقا» في المدينة المنورة ويتخذ من سطح المنزل الذي يفرش بفرش بلدي وثير وجذاب مجلس سمر في الليل ؛ فإلى جانب إمتاع الأمير المجلس فهو يحوي الأدب والتاريخ والذكريات والقصص التاريخية ومذكرات علم وأدب وشعبيات طريفة ، وقد رعى مسيرة مجلة المنهل حينما كانت فكرة ، وكان كما يقول صاحبها عبدالقدوس الأنصاري حريصًا كل الحرص على أن تصدر المجلة في سني ولايته في المدينة المنورة ، وقد كان صاحب المجلة من موظفي ديوان الإمارة حيث تعين في الإمارة باختيار الأمير نفسه (٣٥) . وكان يقوم برعاية التعليم وكانت الاختبارات النهائية تتولاها لجنة برئاسة أمير المدينة وقد كانت تستمر شهرًا (٣٦) . وكان - يرحمه الله - يرعى حفلات المدارس في المدينة تشجيعًا للطلاب والمدرسين ، مثل مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة ، وكان يقوم في نهاية كل عام دراسي بتوزيع الشهادات والجوائز على الطلاب الناجحين والفائزين ، وقد أشاد به مدير المدرسة المذكورة ومدرسوها وطلابها ، وقد علق مرة وقد انتهى الخطباء من الإلقاء فقال : إني أشكر ناشري العلم لأن به حياة الأمم ورقيها ، وأشكر هذه المدرسة والمدرسة الأميرية اللتين تنشران العلوم في هذه البلاد الطاهرة (٣٧) .

من أعماله في المدينة المنورة

لقد نشر عبدالقدوس الأنصاري وهو مؤرخ وصاحب مجلة المنهل سلسلة مقالات في صحيفة المدينة بعنوان «من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم» وكان مما قاله : أنشأ الأمير طريقًا من المدينة إلى (قبا) حيث اشترى من حسابه الخاص كل الأراضي التي تقع في ذلك الطريق المتعرج الملتوي ، إلى جانب وجود بعض النخيل والأشواك من أجل تخفيف عناء زوار المدينة ممن يعبرون هذا الطريق ليلاً ونهارًا مع تعرجه وضيقه ، وعلى أهل (قُبا) من الفلاحين والسكان وأهل الدكاكين ، وفتح الطريق لأول مرة في تاريخ المدينة ، ورأى الواقفون على عتبة باب قباء المدينة أمامهم رأسًا ، وكان هذا المشروع الإبراهيمي أول مشروع عمراني بإصلاح أحد أهم شوارع البلدة المباركة ، وقد تم في منتصف سنة ١٣٥١هـ وأصبح هذا الطريق فتحًا جديدًا لباب العمران الحديث في طيبة الطيبة، وقد أدخل هذا الفرحة العامرة إلى قلوب المواطنين، فأصبح ومازال من أهم شوارع المدينة وقد استصدر حجة شرعية بهذا المشروع (٣٨) .

الحصان الأبيض

لقد ذكرت سابقًا أن الأمير ابن إبراهيم خلال ولايته في المدينة المنورة قد اشترى من ماله الخاص الطريق المؤدي من قبا إلى داخل المدينة المنورة ، وأزال من الطريق المتعرج الأشواك والعقبات وصرف عليه أموالاً كثيرة ، وحيث إن الناس قد فرحوا بذلك فقد رأى المؤرخ عبدالقدوس الأنصاري الذي كان يعمل موظفًا في ديوان الإمارة خلال ولاية الأمير ابن إبراهيم - أن يسير مع الطريق الجديد ماشيًا ويسجل ذلك في رسالة إخبارية يبعث بها لجريدة الأهرام المصرية . ولما بعث بالرسالة نشرتها الصحيفة وقد كان معالي أمير المدينة مشتركًا في الصحيفة ، ولما دخل عبدالقدوس الأنصاري ليوقع بعض المعاملات أخرج الأمير الجريدة ، وقد نشرت فيها رسالة عبدالقدوس وفيها تفصيلات خبر الطريق فسر بذلك عبدالقدوس ، وقال له الأمير لقد استعجلت بالمسير على قدميك والآن عليك أن تعبره راكبًا ، فجهز له حصانًا أبيض وعبر الطريق فوقه ، وفي المساء أعاد الحصان إلى حوذيه «هوْشان» وفي مجلس الأمير في المساء أخبر الشيخ عبدالقدوس الأمير أنه أعاد الحصان إلى اصطبله فقال : الحصان لك هدية مني ، فقال عبدالقدوس : مقبول ولكنه موفور لأن منزلي لا يتحمل حصانًا ، فأسر الأمير إلى كاتب سره علي صبري الذي أخذه إلى الخزينة فنقده خمسة آلاف ريال . فقال عبدالقدوس : ولكني لا أقوى على حملها ، فنادى كبير سائقي سيارات الأمير وحملها معه إلى منزله (٣٩) .

الحفاوة بعالم مجاهد

أقبل إلى مدينة الطائف السيد أحمد الشريف السنوسي الخطابي الإدريسي الحسني صاحب الجهاد في برقة وطرابلس ، الذي قدم للحج ولزيارة الملك عبدالعزيز ، الذي حارب إيطاليا وعلى مشارف مدينة الطائف في عام ١٣٤٤هـ قابله الأمير ابن إبراهيم ، وأقام له استقبالاً حاراً لائقاً ؛ لعبت الخيل فيه ، وأطلقت فيه العيارات النارية وهيأ وليمة فاخرة ، وعرض على السيد النزول عنده في بيته فشكره واعتذر . ولما انتقل عمل الأمير إلى المدينة قدم إليه فيها السيد في عام ١٣٥١هـ ، ولكنه مرض فتولى رعايته الأمير ، وأبرق للملك عبدالعزيز برجاء بذل المساعي لدى الحكومة المصرية للإذن للسيد بالعلاج في مصر ، وتمت الموافقة ولكنها لم تصل إلا قبل الوفاة بيومين حيث توفي يوم الجمعة الموافق ١٣ ذو العقدة عام ١٣٥١هـ في المدينة المنورة ، وبعد صلاة العصر وقف الأمير عبدالعزيز معلناً للمصلين في المسجد النبوي عن وفاة أحمد السنوسي الكبير ، ودعاهم للصلاة عليه وصلى معهم ، وحضر الدفن ووقف على حافة قبره في حزن بالغ وبكى وضج الحاضرون بالبكاء (٤٠) .

وفاء الأمير

عرضت على الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم مرة معاملة فيها سجن الشيخ علي برادة ، وهو من أعيان المدينة المنورة ، ولما سأل عنه قيل إنه ولد عباس برادة فقال : لا أسجن ولد عباس برادة ، فعباس برادة أطلق سراحي عندما سجنني الأتراك (٤١) .

الأمن في المدينة المنورة

وصف المؤرخ والصحفي عبدالقدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل الحالة الأمنية في المدينة فقال : كانت المدينة المنورة محاطة بالأعراب الأشداء الذين كانوا لا يقيمون كبير وزن للحكام الرسميين يومئذ ، فكانوا يعيثون في الأرض فساداً كلما دفعتهم أطماعهم اللامحدودة وشراهتهم ، وكان الأمن في ربوعهم المفضية إلى المدينة من كل حدب وصوب مهيض الجناح مختل الصحة عليلاً مزيلاً موبوء البيئة ، وكانوا يشقون عصا الطاعة لأدنى سبب (٤٢) فكان ابن إبراهيم أحد بارزي الأعلام الأمراء المرموقين في مطالع العهد السعودي ، والذي كانت اهتماماته وهجيراه القضاء على ظاهرة اختلال الأمن المتفشي في بعض ربوع بادية الحجاز وخصوصاً المدينة ، وكان الأمير الناجح الموفق في حكمه الحكم ، ووضع كل شيء موضعه ، وحيال نشر لواء الأمن ودعم الاستقرار الشامل الكامل في بلد الرسول ﷺ (٤٣) .

مع محمد حسين هيكل

لقد جاء إلى المملكة العربية السعودية محمد حسين هيكل ، حاجاً وزائراً في عام ١٣٥٥هـ بدعوة من وزير المالية السابق الشيخ عبدالله السليمان الحمدان – يرحمه الله – ولما وصل المدينة المنورة أقام له مضيفه في المدينة وليمة ، وكانت الرغبة دعوة مغنٍ أو قينة ، وضارب عود لكنه خشي غضب أمير المدينة النجدي الوهابي المتزمت عبدالعزيز بن إبراهيم (٤٤) .

وخلال وجوده بالمدينة قال : زرت الأمير عبدالعزيز ابن إبراهيم غير مرة ، زرته في ديوان الحكم ، وزرته في داره ، وتناولت طعام الغداء على مائدته ، وشاركته في طعام خفيف آخر الأمسية دعاني إليه ابنه إبراهيم ... وأنت لا ترى على باب الوزير من مظاهر البأس العسكري المتبجح ما تراه على باب مأمور المركز ... ففي المجلس جند من النجديين علمهم الأمير الحرص على أن يظهروا للناس بأسه وبطشه (٤٥) ثم قال : ولقد تناولت على مائدته طعام الغداء فكانت مائدة بدوية يجلس الناس حولها ويتناولون طعامهم بأيديهم ... أما يوم دعاني في الأمسية فقد صعدنا إلى دار الأمير ، وتناولنا بسكويتاً ومربات وحلوى ، وقد حرص الأمير على أن يتناول الطعام بالشوكة ليدل بذلك على حسن استعداده لحياة العصر . وأهل المدينة يجارونه في بداوته وفي محاولة الحضارة ... وفي نهاية حديثه عن الأمير وصفه بأنه مَثَلُ القوة الباطشة في الحجاز كله !

ما كنت في الواقع أريد أن أقف عندما ورد من العبارات التي ذكرت أعلاه لولا أنها قد صدرت من رجل

بارز وصل إلى مرحلة عليا من التأهيل العلمي ، خصوصًا وقد وصف أمير المدينة المنورة بأنه النجدي الوهابي المتزمت . والمعروف أن كلمة الوهابية شعار أطلقه أعداء الدولة السعودية أيام العثمانيين ومن تبعهم من أمراء مكة ، ومحمد علي وأتباعه في مصر وغيرها للتنفير عن دعوة التوحيد ودولة التوحيد السلفية التي دعت - ومازالت - تدعو المسلمين إلى العودة إلى المنابع الأصيلة للإسلام ، وتوحيد الله سبحانه وتعالى في العبادة ، والنجديون ودولتهم لم يأتوا بمذهب جديد وإنما هم ولا يزالون على مذهب الأمام أحمد بن حنبل - يرحمه الله - ولا ينكرون على من قلد أحد الأئمة الآخرين كأبي حنيفة ومالك والشافعي - يرحمهم الله - والتمسك بآداب الدين والحرص على تطبيقه سلوكًا ومنهاجًا لا يصح أن يوصف صاحبه بالتزمت . الأمر الآخر هو قوله : إن الأمير علم جنده أن يظهروا للناس بأسه وبطشه والتبجح العسكري ، وهذا تعبير غير ملائم فأئمة آل سعود وولاتهم هم أكثر الناس تواضعًا وزهداً في مظاهر الأبهة والتاريخ يؤكد ذلك. فهذا الشيخ عبدالقدوس الأنصاري - يرحمه الله - وهو مرافق هيكل أثناء جولته في المواقع التاريخية في المدينة يصف الأمير في مجلسه فيقول : ويزيده بهاءً وجاذبية إيناس الأمير ، وإمتاع مجلسه بما يحويه من أدب وتاريخ وذكريات وقصص مؤنسة ولطف وقصص تاريخية ومذاكرات علم وأدب وشعبيات طريفة (١٦) .

الأمر الثالث : أن معالي الأمير دعاه لطعام الغداء ووصفها بأنها مائدة بدوية يجلس الناس ويتناولون طعامهم بأيديهم فيجدون منه طعامًا لذيذاً فوق شبعهم ، أما حين دعاه ابن الأمير إبراهيم فقد حرص الأمير أن يتناول الطعام بالشوكة ليدل بذلك على حسن استعداده لحياة العصر ، وأهل المدينة يجارونه في بداوته . أهـ وفي رأيي أن مقياس الحضارة والتحضر ليست بالمظاهر مع أن الأكل باليد لا يعاب به المرء فهذه عادة القوم وأشرف الخلق ﷺ وصحابته الأطهار كانوا يتناولون الطعام بأيديهم .

وأخيراً ؛ في نهاية حديث هيكل عن الأمير ابن إبراهيم قال : إنه مَثّل القوة الباطشة في الحجاز كله . والأمير عبدالعزيز بن إبراهيم حازم ولاشك وقوي أيضًا ، والقسوة التي عبر عنها هيكل كانت على المجرمين وقطاع الطرق الذين كانوا يتخطفون الناس حول الحرمين . وليته فصل التعبير دون اختصاره على هذا النحو ، والمسلمون في هذه الديار وفي غيرها يشكرون الدولة السعودية وممثلها أمير المدينة في التنكيل بالمجرمين الذين روعوا السكان والحجاج وسفكوا دماءهم وسرقوا أمتعتهم دون خوف من الله أو رادع من ضمير أو اعتبار لأية سلطة وكتب الرحالة ومذكرات الحجاج مملوءة بما يروع . لقد قال عبدالقدوس الأنصاري عن جهود أمير المدينة الأمنية : إنه أحد الأمراء الجيدين الذين أدوا في عصرنا الحاضر مهمة أمانة إمارة المدينة أمنياً واستقرارياً عقب ظروف متتابعة ساد أرجاء المناطق والأماكن المحيطة بالمدينة مع جميع أطرافها اختلال الأمن ، وانتشار الخوف الفردي والجماعي بشكل مزعج كارب وشامل ؛ وكان له بفضل الله التوجيهات القيمة التي كان يتلقاها من مؤسس وحدة المملكة ... ومقيم عمود كيانها المضواء الشامخ الملك عبدالعزيز ، تغمده الله برضوانه ، فلأجل إدراك القراء عظمة المهمة التي حملها على عاتقه إبان ظروف قيامه بالعمل الحازم الثقيل الذي كان يستهدف إقامة أعمدة الأمن في هذا الجانب المهم من ربوع المملكة وبخاصة أنها من المدن المتوغلة في الصحراء ذات الحساسية الكبيرة البالغة من ناحية مد رواق الأمن والاطمئنان على ربوعها كافة وعلى آفاقها جميعًا ، فالمدينة المنورة أقيم كيانها التاريخي العريق في بقعة محاطة بالأعراب الأشداء البأس الذين ما كانوا يقيمون كبير وزن للحكام الرسميين للبلاد يومئذٍ ؛ فكانوا يعيثون في الأرض فساداً ما دفعتهم أطماعهم اللامحدودة وشراهتهم ، وكان الأمن في ربوعهم المفضية إلى المدينة من كل حدب وصوب مهيض الجناح مختل الصحة عليلاً هزيلاً موبوء البيئة ، وكانوا يشقون عصا الطاعة دائمًا لأدنى سبب ومقابل أطماع زهيدة محدودة رخيصة جداً (١٧) .

النقل لمجلس الوكلاء

وبعد عمل حافل بالجد والنشاط ما يقرب من عشر سنوات أصدر الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - أمراً بنقل عبدالعزيز بن إبراهيم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ترفيعًا ليعمل عضواً في مجلس الوكلاء في اليوم الثالث من شهر صفر عام ١٣٥٥هـ ، وهذا المجلس كان يقوم

مقام مجلس الوزراء في عهد الملك عبدالعزيز – طيب الله ثراه – وكان المجلس يعقد برئاسة الملك فيصل بن عبدالعزيز – يرحمه الله – (٤٨) .

وفاته

لقد استمر عبدالعزيز بن إبراهيم يعمل في مجلس الوكلاء بمكة المكرمة بعد نقله إليه من إمارة المدينة النبوية حتى أصابه مرض لازمه شهوراً فسافر إلى مصر للعلاج وقد صحبه في رحلة العلاج هذه ابنه معالي الأمير إبراهيم – وهناك في مصر توفي الأمير في عام ١٣٦٥هـ – يرحمه الله – عن عمر لا يزيد على الخامسة والسبعين سنة .

أبناؤه

للأمير عبدالعزيز من الأبناء معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز البراهيم ، وقد اعتنى – يرحمه الله – بتربيته عناية فائقة فأدخله المدرسة في الطائف حينما كان أميراً فيه ، وبعد أن نقل إلى إمارة المدينة المنورة ألحقه بالمدرسة الناصرية أشهر مدرسة بالمدينة بباب المجيدي قرب المسجد النبوي ، وكان يديرها محمود الحمصي ، ومن المدرسين بها محمد حسين زيدان – رحمه الله – ومحد صقر ، وأحمد صقر ، وماجد عشقي ، ومحمد سعيد مدرس ، ومحمد سالم الحجيلي ، ومحمد الكتامي ، وعثمان حافظ ، ومحمد بن سالم ، وعبدالحميد النقشبندي وغيرهم . ومن زملاء الأمير إبراهيم في المدينة المنورة : أديب صقر ، وأسعد طه ، وصلاح الدين عبدالجواد ، ومنصور عارف ، وسامي حفظي ، ومحمد وكيع ، وسليمان عبدالعزيز الخريجي ، ومدني عاكف ، ويسن طه ، وعبدالله ناس ، ومحمود عمران ، وعبد المحسن عمران ، وخالد حافظ ، وصادق مرشد ، وأسعد مرشد ، وأمين مرشد وغيرهم . وبعد أن أنهى دراسته في هذه المدرسة انتقل للدراسة في مدرسة العلوم الشرعية مدة سنة كاملة ، وواصل دراسته ومطالعته وثقافته ، وكان يتابع أعمال والده في إمارة المدينة (٤٩) . وفي الإمارة أعد له والده مكتباً وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وكان يقوم بتوقيع بعض المعاملات اليسيرة .

وظائف الأمير إبراهيم

لقد كان أول عمل تولاه الأمير إبراهيم بعد وفاة والده – يرحمهما الله – هو إمارة مدينة القنفذة وهي مدينة مهمة على ساحل البحر الأحمر ، واقعة في الطريق بين جدة ومدينة جازان وكانت أهم ميناء للمنطقة الجنوبية في عهد الأتراك ، وكان ذلك التعيين في عام ١٣٧١هـ ثم عينه الملك سعود – يرحمه الله – وكيلاً لأمير منطقة مكة المكرمة في عام ١٣٨١هـ وكان أمير منطقة مكة المكرمة في ذلك الوقت هو الأمير عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز ، ثم نقل ليعمل مستشاراً لسمو وزير الداخلية في عام ١٣٨٩هـ ثم عينه الملك فيصل وكيلاً لأمير عسير في عام ١٣٩٠هـ بعد أن تعين في إمارة عسير الأمير فهد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود – رحمه الله – وبقي هناك إلى أن صدر مرسوم ملكي بتعيينه أميراً لمنطقة الباحة في ١٣٩٨/٤/٢٦هـ (٥٠) وقد استمر أميراً في بلاد غامد وزهران إلى أن توفاه الله في عام ١٤٠٦هـ عندما جرف السيل سيارته في «وادي العش» في منطقة حائل – يرحمه الله .

لقد استمر هذا الأمير في العمل في الدولة ما يقرب من أربعين عاماً ، كان فيها مثلاً أعلى للنشاط والإخلاص في خدمة بلاده أسهم بشكل ملموس في استتباب الأمن في المناطق التي عمل فيها ، كما سخر خبرته الواسعة في تنمية وتطوير تلك المناطق والبلدان ولم يترك قرية ولا مدينة ولا جبلاً ، ولا وادياً ، ولا شاهداً إلا وقف عليه بنفسه وقفة الباحث والمخطط والمتأمل حتى أصبح بحق خبيراً واسع الدراية في غرب وجنوب المملكة العربية السعودية ، إلى جانب خبرة عظيمة في الأمن الداخلي وشئون الإمارات .

كان يرحمه الله – ديناً أنشأ جمعية البر الخيرية بمنطقة الباحة ودعم مسيرتها بماله وجاهه ، كما أنشأ الكثير من المساجد ، وكان – يرحمه الله – صاحب خلق ، وشيم ، كريماً ، حازماً في عمله ، طيب المعشر ، يبغض النميمة ، واسع الثقافة والدراية في العلوم الدينية والأحكام الفقهية ، والأدب ، والتاريخ ، لا يطرق بحضرته أي موضوع إلا ويكون لديه ما يضيفه إليه ، ويفيض على سامعه من معارف جمة ، وخبرات ، له مواقف لا تنسى ، يملك ذاكرة قوية ، له إحاطة كاملة بالأسر والعوائل وأفرادهم في المملكة العربية السعودية ، متفوق جداً في عمله الإداري

والأمني ، لا تعرض عليه معاملة إلا ويقلبها ويستوعبها في زمن قياسي؛ فيعدل بقلمه ما يراه من ملاحظات أو أخطاء؛ بل كثيراً ما يعدل في الأوراق والقضايا ويردها إلى مسارها الصحيح، يدرك الخطأ ويكشفه بما يشبه الإلهام ، يسافر من مكان إلى آخر لكي يقف على موقع ولو بَعُدَ له قضية حتى يتصور موضوعه ويعرفه عن قرب فيكون التوجيه بناءً على تصور واضح - يرحمه الله .

الابن الثاني للأمير عبدالعزيز هو حمود بن عبدالعزيز بن إبراهيم . وقد عمل موظفًا إدارياً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة ، كما عمل في إدارة الشئون الأمنية في إمارة عسير ، ثم نقل عمله إلى وزارة الداخلية في الرياض - وهو رجل سمح وبود كريم [٥١] .

من رسائل الأمير الخطية

لقد حرصت خلال مراحل إعداد هذا البحث في الحصول على رسائل هذا الأمير التي يرسلها إلى التابعين للإمارة من ولاة المراكز ومشائخ القبائل ، إذ في مثل هذه الوثائق يمكن إضافة معلومات جديدة لا توجد في الكتب المطبوعة، ففي الوثائق تبرز شخصية الوالي ، حزمه ، وعزمه ، وطموحه ، وطريقة إدارته للإقليم الذي هو فيه ونفسية الوالي ، وطريقة مواجهة الأحداث والحوادث والتعامل معها، وإن كان المعروف عنه إنجاز القضايا الواقعة تحت إدارته ومسئوليته في حزم وعزم سريعين ، وقد أمكن بتوفيق الله ثم بمساعدة الأفاضل من بعض مشائخ القبائل الذين يفهمون رسالة الباحث - من التعرف على شيء من تلك الوثائق ومنها :

أ - رسالة مؤرخة في ٢١ ذو القعدة عام ١٣٤٣هـ بعث بها الأمير عبدالعزيز إلى الشيخ هاشم بن صالح بن عدنان - يرحمه الله - شيخ قبيلة بني خُثَيْم ، وهم من قبيلة غامد ، ومقر مشيخة بني خُثَيْم رَغْدان شمال مدينة الباحة بأربعة أكيال باتجاه الطائف على طريقه ، وكانت بها قائمقامية تتبع لواء عسير في عام ١٣٢٠هـ [٥٢] . وقد طلب في هذه الرسالة تكليف أحد أفراد قبيلته بأن يجاهد مع المسلمين ويلحق بهم حالاً ، وعليه أن يمر بالأمير في الطائف أولاً ، وأقسم أنه إن تأخر ساعة بعد وصول الرسالة أن يرسل له من يقطع رأسه في بيته . ويلاحظ على رسائل هذا الأمير وغيره من أمراء تلك المدة أن الرسالة لا تتعلق بموضوع واحد فقد تشمل أكثر من موضوع مثل هذه الرسالة ؛ إذ قال في نهايتها لشيخ القبيلة : من ناحية جهادهم ينجز ويسلم لمندوبه وإن غادر المندوب دون أن يسلم الجهاد فسوف يضاعف مبلغ الجهاد [٥٣] .

ب - هناك رسالة أخرى تتناول أكثر من موضوع مؤرخه في ١٤ من عام ١٣٤٤هـ وهي مرسلة منه إلى شيخ قبيلة زهران الشيخ راشد بن جمعان بن رَقوش بعدم جمع أي مبلغ قبل أن يبلغ به الأمير ابن إبراهيم أولاً حتى يقطع الطريق على المخربين ، ثم انتقل إلى موضوع آخر وهو أنه لم يقبل عذر الشيخ راشد السُّبيْحِي شيخ قبيلة بني حُرَيْر ، وبني عدوان من قبيلة زهران في تقديمه المساعدة المطلوبة، والسُّبيْحِي ينسب إلى قرية سَبِيْحَة السفلى الواقعة شمال بلدة الأطاولة بمسافة خمسة عشر كيلاً يمر بها طريق الطائف الباحة من شرقها ، وبها مقر شيخ القبيلة [٥٤] ثم تحول إلى توضيح الصلاحيات التي يرى منحها للقاضي يحيى وهو يعمل في مقر راشد بن جمعان بن رقوش شيخ قبيلة زهران ؛ وقد قال : إنه مخول أن ينظر في القضايا الصغيرة من خمسين ريالاً فاقل ، وما فوق ذلك يحولون للقاضي في الطائف ، وقسمة المواريث ينظمها في ورقة ويرسلها ، أما بدعوى الأقارب والعقارات والطلاق فهذه خارجة عن صلاحيته ، وختم الرسالة بقوله : أن أولياء المقتولين في تهامة من رغب الصلح على يد شيخ القبيلة فلا بأس من ذلك [٥٥] .

جـ - وفي ١٧ من ذي الحجة عام ١٣٤٣هـ أرسل أمرًا للشيخ هاشم بن صالح بن عدنان شيخ قبيلة بني خُثَيْم بجمع زكاة قبيلته وانتظار أمر آخر [٥٦] .

د - وفي الرابع من ذي الحجة عام ١٣٤٤هـ أرسل خطابًا للشيخ راشد السُّبيْحي - يرحمه الله - شيخ قبيلة بني حُرَيْر وبني عدوان من قبيلة زهران طلب منه أن يكون غزوهم على استعداد للتحرك ، وعليهم انتظار أمره حول بني عمرو ، وبني حرب من قبيلة بني مالك من بَجِيْلة ، ومدى استجابتهم وعدمه في امتثال الأوامر وإحضار المجرمين أو ذبحهم فإن امتنعوا فهم مثلهم في الجرم . وقد علق بخط يده في نهاية الرسالة : بوجوب إيصال الرسائل المرسلة منه لابن رقوش ولا تؤخر ساعة ولو دعا الأمر أن ترسل بواسطة مندوب . وبعث برسالة مماثلة للشيخ راشد بن

جمعان بن رقوش في ٢٨ ذي الحجة من العام نفسه (٥٧) .

هـ - في ١٧ من ذي الحجة عام ١٣٤٤هـ أرسل أمرًا إلى من يراه من قبيلة بني خُثَيْم المذكورة سابقًا ؛ أنه تقرر عليهم أن يشترك منهم في الغزو مئة رجل ، والمطلوب الحرص الشديد في اختيار الرجال والسلاح الطيب وحذر من مخالفة أمر شيخهم الشيخ هاشم (٥٨) .

و - في ٧ صفر عام ١٣٤٥هـ بعث رسالة إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش أوضح فيها نتائج طلب بني حرب وبني عَفيْف للمقابله . وهم من قبيلة بني مالك من بَجيلة من قبائل الطائف الواقعة في الجنوب الشرقي . وقد ذكر في الخطاب وصول كبار المطلوبين أهل أضَم ؛ محمد ابن مهدي ، وإبراهيم بن عبدالمعين ، وأنهم في السمع والطاعة ولم يصل غيرهم ولهذا أمر ابن رقوش أن يوفد رجالاً إلى سوق الأحد الخاص بهؤلاء القوم فمن قبضوا عليه من بني ثابت أهل تهامة وبني عفيف يأخذونه ، ومثلهم أهل مُهَوَر (من أشهر بلدان قبيلة بني مالك في السراة) أما أهل أضَم في تهامة . قبيلة بني مالك ، وهم تابعون الآن لإمارة منطقة مكة المكرمة - فيمنعون من التعدي على الطرقات ولا يتعرضون لأحد ، مع أخذ الحضرام هناك إذ ليس في الوجه منهم شيء ؛ لأنهم هم الذين يمولون أهل الفساد ويشترون لهم لوازمهم . أما بشأن التحرك لعقابهم فعندما يحين الوقت فسوف يرسل من يخبرهم (٥٩) .

ز - في ١٨ جمادى ١٣٤٥هـ وجه رسالة إلى شيخ قبيلة بني خُثَيْم هاشم بن صالح بن عدنان أنه بعث بأخيه الشيخ سعد بن إبراهيم آل إبراهيم والشيخ ابن رواذ ، ومهمتهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن له دعوى شرعية في إرث أو دين يحضرون لديهما وهم يحكمان بينهم، وبشأن زكاة القبيلة فقد خَيَّر الشيخ هاشم بين نقلها إلى الطائف أو تسليمها نقدًا بيد أخيه سعد بن إبراهيم (٦٠).

ح - في ١٦ شوال عام ١٣٤٥هـ أرسل رسالة إلى الشيخ راشد بن جمعان بن رقوش بشأن مقتل رجل من قبَل رجلين ظنًا منهما أنه من بني هلال ، وأنهما في السجن وقد أمر بإحضار المتهمين وولي المقتول إلى الحاكم الشرعي؛ فإن قبلوا الدية فلا اعتراض على ذلك ، وانتقل في آخر الرسالة إلى موضوع آخر يتصل بصلاحيات شيخ قبيلة بَيْضان ، وهم من قبيلة زهران في السراة وتهامة ، يسكنون المرتفعات شمال غربي مدينة الباحة بمسافة سبعة أكيال (٦١).

وقد قال في الرسالة : لقد أخبرنا الشيخ الصُّغَيِّر وهو شيخ القبيلة بحضور مساعد بن رقوش ابن شيخ قبيلة زهران بصلاحياته : أنه ما يحبس ولا يؤدب أحدًا ، ويرفع الأمر لكم ، ويساعدكم في لوازم الإمارة . كما انتقل إلى موضوع آخر بشأن ولد العَشْي ، وأن بإمكانهم الحضور للشرع مع أبناء المقتول في أيام الموسم وإن رغبوا الانتظار لحين بلوغ أبناء المقتول فلا بأس ؛ لأن الحاكم الشرعي لا ينظر في الدعوى قبل بلوغ أبناء المقتول (٦٢) .

أسلوبه الإداري ولغة الرسائل

جرت عادة الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم وغيره من الولاة ، وكذلك الأئمة والعلماء في الدولة السعودية الأولى والثانية وأوائل الثالثة أن تبدأ الرسائل من الإمام وعماله باسم المُرْسِل ثم يتبع ذلك اسم المُرْسَل إليه الأمر ، ويسبقه عبارة الأخ أو الشيخ المكرم ؛ وبعد ذكر الاسم عبارة سلمه الله ، ثم عبارة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في سطر جديد . ثم الانتقال إلى موجب الرسالة - ويكون ذلك في سطر جديد - موجب الخط إبلاغ السلام والسؤال عن حالك لا حل بك سوء أو مكروه ، وهذه عبارة تلطف . وتختلف العبارات والألفاظ بحسب موقع الشخص ومكانته الاجتماعية ، والعلمية والسياسية . ينتقل بعد ذلك إلى المراد وإيضاح ما إذا كان هذا جواب أو رغبة في إبلاغ أمر ما .

ومن عادة ابن إبراهيم أن يركز في بداية أوامره أن يقول : من طَرَف (أي من ناحية) وقد ينتقل دون ذكر هذه الكلمة مثل : بعد السلام ، كذلك حال وصول الخط لازم يركب (أي يتوجه) أو بَعْد واصلك أوراق الزكاة ، أو ذكرنا لكم يثُوِّر بيرقكم (أي ينهض الجيش كله والبَيْرَق هو العَلَم) أو قوله وبعد : عليكم ماية رجَّال ، أو بعد نُعَرِّفك من سَنَع بني حَرْب (أي من جهة) أو بعد ذلك ذكرنا لابن رقوش ، أو الخط المكرم وصل وأشرفنا على (أي اطلعنا عليه) ومن عادته أن يختم أوامره ورسائله بكلمة يكون معلوم والسلام أو الأخويا (حاشية الأمير الخاصة) يسلمون والسلام ، وأنت سالم والسلام ، أو دمتم محروسون والسلام ، أو هذا ما لزم والسلام . وبعد نهاية كلمة والسلام يوضع ختم الأمير وهو توقيعه الرسمي ، وعن يمينه يذكر التاريخ الهجري (٦٣) .

والمعتاد أن يحضر القاضي الشرعي إلى مجلس الأمير فما احتاج الأمر فيه إلى الأخذ رأي القاضي أو الحكم فيه يحال للحاكم الشرعي ، وما لا لزوم لنظره من فضيلة القاضي يصدر الأمير تعليماته فوراً بشأنه وأصحاب الشأن حاضرون ، والمعتاد أيضاً أن يجلس إلى جوار الأمير كاتبه - أمين سره - وهو يسجل ما يأمر به الأمير أو يمليه من رسائل وأوامر ، يسجل ذلك بلفظ الأمير وأسلوبه كلمة كلمة ، فتتضح بذلك ثقافة الأمير ، ومعجمه اللفظي ، ولهجته ، ولا يراعي في ذلك الكلمات الفصيحة أو قواعد النحو أو الاشتقاق ، ومن الكلمات التي ترد في رسائل الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم : إن تَرَيَّض (أي إن تأخر) يْتَوَخّون عليه (أي ينيخون ركابهم) وُدِّنا أنكم (أي نرغب) طَبَّ علينا (أي وصل إلينا) مكاتيب (أي رسائل) كونوا على وَلْمْ (أي على استعداد) رجاجيل (أي رجال) يَمْ سوق (أي ناحية السوق) لزموا (أي قبضوا) إن بَغَوا الشرع (أي رغبوا الشرع) إلى غير ذلك من العبارات والأساليب التي تمثل مرحلة من مراحل نمو وتطور هذه البلاد من الناحية الإدارية والعلمية والثقافية .

قالوا عن الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم

١ - لقد كتب عبدالقدوس الأنصاري المؤرخ صاحب مجلة المنهل سلسلة مقالات في صحيفة المدينة في عام ١٤٠٣هـ بعنوان «من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم» وكان ينوي أن يعد كتاباً عنه لكن الأنصاري توفي قبل أن يكمله - رحمه الله - ومما قاله المؤرخ الأنصاري :

ومن الجدير بالإشارة أن نشيد بحق بما كان يحمله صدر هذا الأمير الكريم من حفاوة واهتمام بتقدم الحركة الأدبية وصدور مجلة المنهل ، خصوصاً في عهده الميمون ... الذي ملأ كرسيه بكفاءة وجدارة ، كان يعنى كل العناية بالمعاملات التي كانت ترد إليه من مقام النيابة العامة بمكة والحاوية لطلب استكمال بعض الإجراءات الأولية والثانوية لإصدار المنهل . وقال أيضاً : كان أحد بارزي الأعلام الأمراء المرموقين في مطالع العهد السعودي، والذي كانت اهتماماته وهجيراه القضاء على ظاهرة اختلال الأمن المتفشي في بعض ربوع بادية الحجاز وخاصة بالمدينة، وذلك قبيل دخول هذا العهد إليها فكان الأمير ابن إبراهيم أحد رجال الملك المغفور له عبدالعزيز بن عبدالرحمن حيال الالتزام الموفق في حكمه الحكم ووضع كل شيء في موضعه ، وحيال نشر لواء الأمن ودعم الاستقرار الشامل الكامل في بلد الرسول ﷺ (٦٤) . وذكر المؤرخ الأنصاري مكانة الأمير فقال : كان للأمير ابن إبراهيم مكانة عظيمة لدى الملك عبدالعزيز لأنه كان يعتبره من بين مؤسسي المملكة وقد تولى في البداية إمارة أبها حيث هدأها وأمن طرقها ودفع انتشار الفساد فيها ، وبعد ذلك اختاره الملك عبدالعزيز كما يقول الأدباء : نثر كنانته وعزم أعواده فوجده أصلبهم عوداً وأحسنهم صموداً هو الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم وولاه إمارة المدينة المنورة ، فتولاها وكان نعم الأمير عادلاً حازماً كريماً نواقة للأدب ، عبقرياً في تفكيره وفي بداهته وفراسته ، وكنت موظفاً عنده (٦٥) .

٢ - علق السيد محجوب أسعد حجار العمري ، وهو من بيوتات المدينة العريقة على ما قال المؤرخ عبدالقدوس الأنصاري فقال : ما ذكرتموه عن هذا الرجل الشجاع الطيب المناضل الذي أعرفه حقاً وأنا أبلغ اثني عشر عاماً، كانت لهذا الرجل الشهامة والمروءة والتقدير لكبار أهالي المدينة ومن أتى إليها ، وإني أضم صوتي لصوتكم وأشاركم الرأي وأن ما كتبتموه عنه هو أهل له (٦٦) .

٣ - قال الشيخ حمد الجاسر : وقد عرفت هذا الأمير أول ما عرفته حين زرت المدينة في صيف ١٣٥٤هـ فأضفى علي من كرمه ما دفعني إلى تأليف كتاب عن قبيلته آل فضل (ذكر فيما بعد أنه فقد هذا الكتاب في بيروت) وإلى مدحه بقصيدة في قصة طريفة أوردتها في مذكراتي :

بمدح الكرام الغر يستعذب القولُ
أولئك أهل الفضل من جدهم فَضْلُ (٦٧)

٤ - كتب عنه المؤرخ علي حافظ (ت ١٤٠٨هـ) المؤرخ المدني صاحب جريدة المدينة سابقاً فقال :

أسند الملك عبدالعزيز إمارة الطائف للأمير عبدالعزيز، وكان من قادة الملك عبدالعزيز الذين يعتمد عليهم ، وله دور بارز هام في قوات الملك عبدالعزيز التي عملت في توحيد الجزيرة العربية وجعلها كتلة متماسكة لا تنفك وحزمة واحدة لا تكسر أعوادها ولا يفل سيفها ، ولا

تتحطم قلاعها، ومما انتدبه الملك عبدالعزيز – رحمه الله – تطويع دوس وهدم الصنم (ذي الخلصة) وكان في قمة جبل دوس . وكان يسمى الكعبة اليمانية ، وكان يطاف به في السابق ، وقد حقق ذلك بكفاءة ونجاح . وقد سار الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة بسياسة الشدة على المعتدين ، والحنو والعطف بالأهلين ومواصلتهم ومساعدتهم والمحافظة على حقوقهم وإيصالها لأصحابها ، وكان يهتم بذلك كثيراً ، وكانت الدوائر الرسمية تسير سيراً حسناً مستمراً من حيث الإنتاج والدوام ومعاملة المراجعين بالحسنى (٦٨) .

٥ – قال الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن في كتابه تذكرة أولي النهى والعرفان : في سنة ١٣٦٥هـ توفي الأمير البطل عبدالعزيز بن إبراهيم أمير المدينة سابقاً، وكان في حال إمارته في المدينة مُهاباً مسوداً فلذلك كانت المدينة المنورة حال إمارته عليها غاية ما يرام من تأديب الجناة ، وتأمين السبل ، وحُسْنُ القيام بالأعمال، ثم إنه نقل منها ، وجعل عضواً في مجلس الشورى (مجلس الوكلاء) بمكة فاستمر في عمله إلى أن مات .

وفي مكان آخر من كتابه قال : ولما توفي سعد ابن عفيصان بعد فك الحصار عن أبها بأربعة أيام بعث الملك عبدالعزيز بدلاً عنه عبدالعزيز بن إبراهيم أميراً على مقاطعة عسير وكان ابن إبراهيم هذا حازماً قوياً شديد البطش ذا دهاء وحسن تصرف يعد من أفذاذ الرجال (٦٩) .

٦ – لقد قال الشيخ هاشم بن سعيد النعمي مؤلف كتاب «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» رئيس المحكمة المستعجلة في أبها : توفي سعد بن عفيصان أمير أبها عام ١٣٤٢هـ فتوكل بها محمد بن جيفان مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل بالأمير عبدالعزيز بن إبراهيم. وصل والفوضى ضاربة بجرانها والأمن غير مستتب ، ولكنه كان عاقلاً محنكاً أحكم السياسة في عسير وأحسن السيرة مع السكان ، وقبض على زمام الأمور وضرب على أيدي العابثين بيد من حديد فاستقامت الأحوال في المنطقة وهدأت الفتن إبان إمارته (٧٠) .

٧ – أما عبدالله بن علي بن مُسْفِر المؤرخ فقال : توفي أمير أبها سعد بن عفيصان وتسلم مكانه الأمير عبدالعزيز ابن إبراهيم فأخذ في إدارة البلاد بحزم فعادت المياه إلى مجاريها وساد الأمن (٧١) .

٨ – قال المؤرخ عبدالمالك بن علي الطرابلسي : وعند وصول السيد أحمد الشريف السنوسي إلى الطائف قابله أميرها البطل المقدام الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أحد أمراء السلطان عبدالعزيز المشهورين المحنكين والمعروفين بالحزم والإقدام والدهاء (٧٢) .

٩ – قال المؤرخ محمد عمر رفيع : كان ابن إبراهيم حازماً قوي الشكيمة شديد البطش في القتال به شيء من الدهاء وحسن التصرف (٧٣) .

١٠ – كتب محمد بن عبدالله بن بليهد (ت ١٣٧٧هـ) صاحب كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار رسالة إلى الشاعر محمد بن زيد آل زيد من قبيلة آل مُغيرة (ت ١٣٥٤هـ) يسأله عن حاله وكان في زيارة للمدينة المنورة فأجابه بقصيدة مدح فيها الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم ومنها :

فإن تسأل الركبان عني فإنني
بمغنى حليف الجود زين المحافل
أنختنا بربع حله الضيف قبلنا
سقته سحاب الجو سحاً بوابل
وجدنا به صعب الشكيمة حازماً
إذا حدثت إحدى الدواهي بعاضل
يسوس الرعايا من نباهة فكره
ويكشف عن أسرارها بالدلائل
فما كفه مبق نقوداً لوارث
ولا رأيه يترك مقالاً لقائل
يؤمونه الزوار من كل وجهة
وتنتابه الوفاد فوق الرواحل
فيا أيها الساعي ليدرك مجده
نأتك العلا سام على كل طائل
فوالله ما أبديت معشار مابه
من الجود والإحسان مع نيل نائل
فلا أمر الشهم المليك أخو العلا
خصوصاً عن الأشبال أهل الفضائل
بأنصح منه للولاية منصف
ولا عن طريق الحق يوماً بمائل (٧٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأكرم راشد بن جمعان بن رقوش وجماعته سلمهم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد ذلك تفهمون ما لنا مقصد [illegible]

[illegible]

رسالة رقم (١)

عهد من جلالة الملك بتعيين وكيل لأمير المدينة ومعاونه من الحكام، مع بيان اختصاصهما، واختصاص الهيئات المشتركة من الإدارة والحكم والأمن والنظام والدين في المدينة

[نمرة ١ / عدد ٧٢٣ سنة ١٣٤٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى جناب المكرّمين: عبد العزيز ابن إبراهيم، وياسين الروّاف، سلّمهم الله آمين.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ثم الأمر الذي نأمركم به أنت يا عبد العزيز بن إبراهيم، وياسين الروّاف.

أولاً أنت يا عبد العزيز تكون وكيلاً لأمير المدينة، على شرط أنك تراعي الناس بمراعاة الملك والأمن والطمأنينة.

أما مسألة الحاضرة وأحوالهم وترتيباتهم، فلك النظر على جميع أمر يخالف الشرع أو يخل بالولاية، أو يضر بالأحوال، أن تؤدّي رأيك في ذلك، ولا تفرّق جميع أمر يخل بأمرنا كما ذكرنا.

وأما مسئولية الأحكام وتنفيذ الأمر المشروع، والقيام بالواجب نحو البلد، فالمسئول عنها ابن روّاف، ومجلس الإدارة، فهذا موجب دوائر البلد وحالتها.

وأما الإمضاء فلا يجري أمر إلا تحت إمضائك. فالأمور التي عائدة لتنفيذ أمير المدينة فنفّذها، والأمور التي تحتاج إلى نظر ومراجعة النيابة، يجب عليك مراجعة النيابة فيها، وبعد نظر النيابة وتنفيذها، تنفّذها أنت.

فأما البادية فمرجعها كلها إليك، ليس لمجلس الإدارة تدخل فيها، بل مرجعها إليك، ومراجعة النيابة في أمور البادية لازمة عليّ كل حال، ولكن أمر البادية كما قيل: (أكرب وجهك وأرخ يديك).

أما القتل والضرب والمشكل، فهذا كله ما يصير إلا بعد تنفيذ أمر الشرع، ويحكم على أن يصير عليه تعزير، فلا تمض في ذلك، خصوصاً في القتل والمشكل الشديد، أو الحبس الطويل، حتى تراجع النيابة، وإذا أمضته فنفذه. ومن قبل الحرس على الطرق، والأمن، وموازنة الناس، فهذا شيء أحمل به جهدك، وأحرصك عليه جداً. ولكن عمدة أمري لك، أن يكون جميع الناس راضين عنك الحاضرة والبادية، ولا تمض شيئاً إلا بأمر المحكمة الشرعية، لأن ذلك أتم لأمر الله وأحسن للنفوس.

والمهم أن الناس كلهم يتهمونك بالشر، والكنك إن شاء الله، تبدل اتهاماتهم بالخير.

[نمرة ٢ / عدد ٧٢٣ في سنة ١٣٤٦]

وأكبر ما أوصيك به:

أولاً تقوم أوامر الله، وتنفيذ أمر الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ بأيدي المأمورين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومساعدتهم على كل حال، فإذا انتقدت عليهم في شيء، فلا تتكلم في حقهم، لا عند خاصٍّ ولا عام، بل اطلب وتفهم أو كلهم، وبين لهم الأمر، أن هذا أمر فيه زيادة، أو أنه لم يصلح، فإن أقروا به، فالحمد لله، وإلا فراجعنا إذا نحن حاضرون، أو تراجع النيابة. ثم لا تجعل لك من جميع الموظفين خلية، بل اجعلهم جميعهم أصدقاء ومحبين.

ومن طرف العسكرية، فخذوا بحوائجهم، وخذوا على أيديهم، فإذا حصل من أحد منهم تقصير فلا ترسل خادماً من قبلك يأتي به، بل أرسل إلى كبيرهم، وقل له يجيء مع فلان، فإذا جاء فنفذ الأمر.

ومن قبل دوائر العسكرية جميعاً: اجعل النظر عليها من الفساد، ولا لك حق تتدخل فيها إلا بموجب القرارات المنشأة لها، أو كانا يمشي حسب النظام المقرر عنده، فإذا ذكرك أن أحداً يشكو من أحد أو أنه قصر، فاكشف على المسألة، وتفهم عنها، فإن صلحت المسألة تمشي، فإن كان الأمر غير ذلك، فارفعه إلى النيابة.

ومن جهة خدامك الذين تحت يدك، فاقطن إليهم ترحم هم المراتب، لا يحق لأحد منهم أن يتدخل في جميع الأمور إلا بأمر منك، فإذا أمرت أحداً منهم يروح إلى قرب ما، وجاءك وقال: فلان لم يتبع الأمر، وسبّني وفعل وفعل، فلا تأخذ كلامه بالقبول، بل أرسل إلى الرجل هذا بعينه، وقابله معه، فلذلك تجد الأمر مختلفاً. والمقر في محله زين كما أن الغضب في محله زين.

وأما من قبل الخدمة على الأهالي، أما الحاضرة فليس للخدام عليهم حق خدمة، لا قليل ولا كثير، جمع دعاويهم تصدر إلى الشرع، ويصير الذي يمشي في أمرهم الشرطة، بموجب تنفيذه كمجاري العادة، وأما البادية إذا شدّوا جميعاً وراحوا بخدمتهم، فالخدمة على ثلاثة عشرة، وغير ذلك لا يؤخذ شيء.

[نمرة ٣ / عدد ٧٢٣ في سنة ١٣٤٦]

وأهل العوالي وأهل العيون، فحسابهم حساب أهل المدينة في جميع الأمور. أما من قبل إخوانك الذين يصحبون معك فلا يكونون أزيد من ثلاثين، ونخرجهم على وظيفتهم في الراتب مثل العسكر، ولا تبرقهم ولا يبرقونك، أو يصحبون مثل إخوان مشاري.

وأما أنت يا ياسين الروّاف فمسئولية الأحكام والمقررات جميعها عليك، في الأمور كلها، فأما الأمور الطارئة فعلى طبقتين: الطبقة الأولى فهي الأمور التي مرجعها إلى الشرع، فهذه ما أعطاه الشرع، فأمضوه، ولا لكم حق الاعتراض عليه. وأما الطبقة الثانية، فهي تنقسم إلى طبقتين: الطبقة الأولى هي الأمور الكبار، التي تقرر في المدينة، وتراجع النيابة منها، فاعملوا كما تأمركم به النيابة، فإن أعطتك النيابة مسئوليتها أعظم من مسئوليتك. وأما الأمور الخفيفة، وأحكام البلد التي لا تحتاج إلى

رسالة رقم (٢)

مراجعة النيابة ، فسئوليتها على المجلس ، وأكبر مسئوليتها على الأمير . وعليك إذا قررتم فيها وهي عادلة ، ولا لأحد حق ، أن يعترض على أمر ما يضيع الأمير والمعاون . وهذا الذي خطر لي .

أما الترتيبات ، فلا ترتيبكم ، ولا ترتيب حالتكم ، فالسند على ما قررته هيئة المراقبة ، حافظ وجماعته ، والنيابة هذا في أمور الدوائر .

وأما ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمحكمة الشرعية والحرم ودوائره وما يجري فيه ، الراجعة للدين والشرع ، فالعمل على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن ، فيعمل به ويعرضكم الأمر فيه إما من عندنا أو من النيابة . كذلك من قِبَل الإخوان الذين يأتونكم إلى المدينة ، فاحشموهم غاية ، وإذا جاءكم أحد منهم ، وقال : رأيت منكر كذا وكذا فقل نرفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن إن شاء الله تزيله ، وما أمرت به فعلناه ، وهم لا تعترضهم يمدون أيديهم ، وإذا مدوا أيديهم فانهوهم بالتي هي أحسن ، وأخبروهم بألا يعودوا مرة ثانية ، وما ذكر حرره ، ليكون معلوماً ، والسلام .

١٠ ربيع الثاني ١٣٤٦

تابع رسالة رقم (٢)

كتاب من جلالة الملك إلى دوائر أهل المدينة ، يبين تجديد بعض هيئات الموظفين وتعيين اختصاصاتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، إلى كافة أهل المدينة ، سلمهم الله تعالى آمين !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام .

بعد ذلك بارك الله فيكم .

من إبلاغ الوفد ، مشاركين عليهم ، استعرضنا ما ، لأجل تدبير الفراغ [illegible] بإذن الله ، وبعد ذلك لما اشتد المرض عليه سماحته ، وحالاً [illegible] عبد العزيز بن إبراهيم وكلاء للإمارة ، ورأسين الرواتب سارية له . أما الوظائف الثانية ، فقد أرسلنا هيئة التفتيش والإصلاح ، تنظر في جميع الدوائر ، وأموركم جميعاً ، ويبدوا علم ما لكم وما عليكم ، على جميع الأمر الذي سمعهم فيه التعويض ، إخوته ويشاوره ، والأمر الذي أبدوا معترضين فيه ، هذا أوسرا ليهونه لهم ، وهم يبدونه لنا ، ولكن أنتم مخرجتم من نعنا إلى ذمة أنفسكم إذا ما يلقفونه بكل شيء ، وإلى ذمة هيئة التفتيش والإصلاح ، فلأن المور لابد أن تحل ، ويحصل لنا انتخاب جديد ، هيئة الأوقاف ، ومجلس الإدارة ، وهيئة التجارة وغيرها ، كلها تُحل من جديد ، بالانتخاب الثاني المقصود من ذلك ، أنكم إن شاء الله تساعدون على أنفسكم ، وتتعاونون كل منهم وانتخاب الرجال الذين فيهم صلاح الأمر في الدين والدنيا .

وأما أمر الدين ، فالعمدة على ما يقرره الشيخ عبد الله وإخوانه الساعون له كذلك تشكيكم تسمون بلفظة عبد العزيز بن إبراهيم ، ويهابون منه ، وهذا شيء لا حقيقة له ، ابن إبراهيم شديد على الباطل ، محبب لمن سلك الطريق ، ويعرف حق نفسه ، وعلاوة على ذلك أرسلناه بما يلزم ، وما أكدنا عليه هذا كيد الذي إن شاء الله لا يتعداه . أما هيئة انتخابه وأموره فهي على الله ، ثم على الأحكام الشرعية ، بجميع أمر يرد إليه ، يتقدم في ذلك الشرع ، ويتقيد بذلك ، ولا يتعداه مثقال حبة . فأما أمور الدوائر الفائدة إلى ملاً مدخل الشرع فيه ، فهو يمشي على ما شرع له في كل دائرة يشترط لا يتعداه ، ولا يتدخل فيه إلا بإمضاء الأوامر ، التي هو ملزم بإمضائها ، ولكن له النظر في جميع سائرها ، وجميع ما يحدث خلافاً للشرع ، فما كان يمشي في البلد من الجزئيات ، فهو يمشي على المشروع ، وما كان مرجعه إلى النيابة في جميع الأمور الراجعة لها ، وأوصيناه بالرفق ، والترويج ، وإرضاء الله ، والأخذ بيد من قام بها . وستجدونه إن شاء الله كما ذكرنا لكم وأزيد ، وإن شاء الله تكونوا متعاونين أنتم وإياه على البر والتقوى ، وتجتهدون في حسم مادة الشقاق والقيل والقال ، وترويج الأغراض المخصوصة .

نرجو الله تعالى أن يوفق الجميع للخير ، وأن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، إنه على كل شيء قدير .

هذا ما لزم تعريفه ، ودمتم محروسين .

١٠ ربيع ثاني سنة ١٣٤٦

رسالة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن ابراهيم الى الاخ المكرم هاشم امير بني خثيم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته كذالك حال اوصل الخط اليكم للازم

يركب احمد بن مسعود ذكوله يجاهد مع المسلمين يعرفني في الطايف

انا معاهده بالله ان تريض من بعد اوصل الخط اليك ان تروح

مركوبه منوخه عليه ونقطع راسه في بيت جزاء

كلامه في الاسواق ولاكن لازم لازم لا تريض ساعه يكون

معلوم والسلام من طرف جهادكم تجزونه وتقطعونه احمد بن مسعيد ولو

[illegible] ما يسلم لم تراه عليه متى

١٣٤٣ ذو القعده ٢١

رسالة رقم (٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن ابراهيم [illegible] سلمه الله [illegible]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام [illegible]

[illegible] اهل الصدر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأمور الصغار [illegible]

[illegible] الأرقاب والعقارات

والطلاق [illegible] الارقاب الذي في تهامه والذي [illegible]

[illegible]

١٣٤٤ [illegible] ١٤

رسالة رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن ابراهيم الى الاخ المكرم هاشم بن صالح سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد واصلكم اوراق الزكاة مع سعد [illegible] بجمع [illegible] الزكاة

[illegible] هذا ما لزم [illegible]

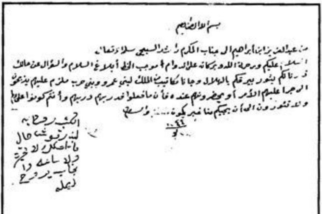
[illegible] ودام محروس

١٣٤٤ ذي حجه ١٧

رسالة رقم (٦)



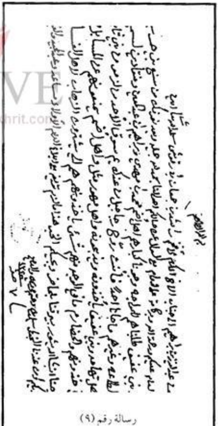
رسالة رقم (٨)



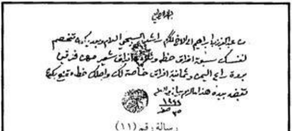
رسالة رقم (٧)



رسالة رقم (١٠)



رسالة رقم (٩)



رسالة رقم (١١)


بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن ابراهيم الى جناب الأخ المكرم راشد ابن جمعان ابن رقوش سلمه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى تحياته موجب الخط ابلاغ السلام والسؤال عن حالك [illegible]

[illegible]

١٣٤٥


بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن ابراهيم الى جناب الأخ المكرم راشد السبيعي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام موجب الخط ابلاغ السلام والسؤال عن حالك [illegible]

[illegible]

١٣٤٥

الهوامش

١ - عنوان المجد ١ / ٤١ ، ٢٨٢، ٢/٢٨، ٤٣، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ؛ ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ٢٠٥ .

٢ - تاريخ اليمامة ٢ / ١٨٠ ، ١٨١، ٢٠٣.

٣ - المصدر السابق ٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

٤ - نهاية الأرب ١٠٠ .

٥ - سبائك الذهب ٥٠ ؛ انظر أيضًا المنتخب ٢٦٨ .

٦ - تاريخ المنقور ٦٩ ، ٧٤ ؛ تاريخ ابن ربيعة ٨٨ ؛ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ٥٨ ، ٥٩ ؛ ٧٨هـ أ ؛ الأخبار النجدية ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ؛ عنوان المجد ٢/ ٢٢٥ ؛ المنتخب ٢٦٨؛ معجم اليمامة ١ / ٤٧ .

٧ - المنتخب ملحق القبائل ٤٨٢ .

٨ – عنوان المجد ٢ / ١٦ .
٩ – المصدر السابق ٢ / ٣٦ .
١٠ – عقد الدرر ٣٩ .
١١ – معجم بلاد القصيم ٣ / ١٠٦٣ .
١٢ – عقد الدرر مطبوع مع عنوان المجد ٣٩.
١٣ – المصدر السابق ٢ / ٩٨ ؛ تاريخ الدولة السعودية الثانية ٢٠٢؛ تاريخ المملكة العربية السعودية ٣٠٠ .
١٤ – جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١ / ٣٢٤ .
١٥ – المنتخب ملحق القبائل ٤٨٢؛ أربعة أيام في منطقة الباحة ١٢.
١٦ – شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ١ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
١٧ – تاريخ عسير بين الماضي والحاضر ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
١٨ – دراسات من تاريخ عسير الحديث ٨٢.
١٩ – حدثني بهذا معالي الأمير إبراهيم ابن عبدالعزيز آل إبراهيم – يرحمه الله.
٢٠ – تاريخ عسير في الماضي والحاضر ٢٥٩ ، ٢٦٠ .
٢١ – دراسات من تاريخ عسير الحديث ٩٣؛ تاريخ عسير في الماضي والحاضر ٤٥ .
٢٢ – أخبار عسير ١٨٤ .
٢٣ – المصدر السابق ١٨٤ .
٢٤ – شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ١ / ٣٣ ، ٣٣٣ .
٢٥ – المصدر السابق ١ / ٣٣٥ ، ٣٣٧ .
٢٦ – المصدر السابق ١ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
٢٧ – شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز ١ / ٣٤١، ٣٤٧.
٢٨ – في سراة غامد وزهران ٣٣٨ ، ٣٣٩.
٢٩ – المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ٩٢ .
٣٠ – المصدر السابق ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
٣١ – في سراة غامد وزهران ٣٤٧ ؛ المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ٩٢ ، ٩٣ .
٣٢ – انظر ملحق الرسائل ١ و ٢ .
٣٣ – خمسون عاماً في جزيرة العرب ٢٦٧، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ؛ وانظر أيضاً ملحق الرسائل ٢ .
٣٤ – المصدر السابق ٢٦٥ ؛ ٢٦٦ ؛ وانظر ملحق الرسائل ٢ .
٣٥ – من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم ، صحيفة المدينة ٢١ /٢/١٤٠٣هـ العدد ٥١٣٦ .
٣٦ – حديث الوداع مقابلة مع عبدالقدوس الأنصاري ، صحيفة عكاظ ١/٧/١٤٠٣هـ العدد ٦١٦٢ .
٣٧ – كتاب مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ١٩٨ – ٢٠٨ .
٣٨ – صحيفة المدينة ٢١/٢/١٤٠٣هـ العدد ٥١٣٦ .
٣٩ – حديث الوداع مع عبدالقدوس الأنصاري ، صحيفة عكاظ ١/٧/١٤٠٣هـ العدد ٦١٦٢ .
٤٠ – الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٣٨، ١٣٩ .
٤١ – أربعة أيام في منطقة الباحة ١٣ .
٤٢ – من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم . المدينة ٦/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥١ .
٤٣ – المصدر السابق ١٢/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥٧ .
٤٤ – في منزل الوحي ٥١٢ .
٤٥ – المصدر السابق ٥١٧ .
٤٦ – من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم ، المدينة ٢٩/٢/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٤٤ .
٤٧ – من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم ، المدينة ٦/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥١ .
٤٨ – من سيرة الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم ، المدينة ١٢/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥٧ .
٤٩ – أربعة أيام في منطقة الباحة ١٤، ١٥.
٥٠ – المصدر السابق ١٥ .
٥١ – لمزيد من المعلومات عن أسرة آل إبراهيم راجع كتاب المنتخب ملحق القبائل ٤٨٢ .
٥٢ – المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ١١١ .
٥٣ – ملحق الرسائل رقم ٣ .
٥٤ – المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ١٢٤ .
٥٥ – ملحق الرسائل رقم ٤ .
٥٦ – ملحق الرسائل رقم ٥ .
٥٧ – ملحق الرسائل رقم ٦ .
٥٨ – ملحق الرسائل رقم ٧ .
٥٩ – ملحق الرسائل رقم ٨ .
٦٠ – ملحق الرسائل رقم ٩ .
٦١ – المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ٥٢ ، ٥٣ .
٦٢ – ملحق الرسائل رقم ١٢ .
٦٣ – انظر ملحق الرسائل ففيها يتضح ما أشير إليه .
٦٤ – صحيفة المدينة ١٤/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥٧ .
٦٥ – المصدر السابق ٢٦/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٧١ .
٦٦ – المصدر السابق ١٢/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥٧ .
٦٧ – جمهرة الأسر المتحضرة في نجد ١ ، ١٣ هـ ٢ .
٦٨ – أربعة أيام في منطقة الباحة ١٢ .
٦٩ – ٣ ، ٣٣ ، ٤ ، ٣٢٢ .
٧٠ – ٢٥٩ .
٧١ – أخبار عسير ١٨٤ .
٧٢ – انظر ما سبق الحفاوة بعالم مجاهد ١٨ .
٧٣ – في ربوع عسير ٢٥٩ .
٧٤ – شعراء آل زيد وشعرهم ٢٤ ، ٢٥ .

المصادر والمراجع

أ – المخطوطات

مجموعة من الرسائل الخطية المرسلة لبعض مشائخ القبائل .

ب – المطبوعات

- الأنصاري ، عبدالقدوس ، الأمير الحازم الكريم عبدالعزيز بن إبراهيم ، سلسلة مقالات نشرت في :

صحيفة المدينة

٢١/٢/١٤٠٣هـ العدد ٥١٣٦

٢٩/٢/ ١٤٠٣هـ العدد ٥٧٤٤

٦/٣ / ١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥١

٢٦/٣/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٧١

١٢/٦/١٤٠٣هـ العدد ٥٧٥٧

صحيفة عكاظ

١/٧ / ١٤٠٣هـ العدد ٦١٦٢

- إدريس ، عبدالله ، شعراء نجد المعاصرون القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- البسام ، عبدالله بن عبدالرحمن ، علماء نجد خلال ستة قرون ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م .
- ابن بشر ، عثمان ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ١٣٩٤هـ/١٩٧١م.
- الجاسر ، حمد ، جمهرة الأسر المتحضرة في نجد ، القسم الأول ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

، في سراة غامد وزهران ، الرياض ١٣٩١هـ/ ١٩٧٨م. ، بلاد ينبع .

- حافظ ، علي ، أربعة أيام في منطقة الباحة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
- ابن خميس ، عبدالله ، تاريخ اليمامة ، الرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
- رفيع ، محمد عمر ، في ربوع عسير ، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- الزركلي ، خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- آل زلفة ، محمد (الدكتور) دراسات من تاريخ عسير الحديث ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .
- الزهراني ، علي بن صالح السلوك ، المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران ، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- الزيد ، حمد ، شعراء آل زيد وشعرهم ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- الزيد ، عبدالله محمد (الدكتور) من روادنا التربويين المعاصرين .
- سعيد ، أمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية .
- السويدي ، أبو الفوز محمد ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب .
- الشويعر ، محمد بن سعد (الدكتور) نجد قبل ٢٥٠ سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- آل الشيخ ، عبدالرحمن بن عبداللطيف ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- الطرابلسي ، عبدالمالك بن عبدالقادر ، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ، دمشق ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- آل عبدالمحسن ، إبراهيم بن عبيد ، تذكرة أولى النهى والعرفان .
- العبودي ، محمد ، معجم بلاد القصيم ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- أبو عليه ، عبدالفتاح ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ، القاهرة .
- العوسجي ، محمد بن ربيعة ، تاريخ ، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل (الدكتور) .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان .

، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث والعبر في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر .

طبع في نهاية كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد . تحقيق. عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ . طبعة وزارة المعارف ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

- الفاخري ، محمد بن عمر ، الأخبار النجدية ، تحقيق . عبدالله بن يوسف الشبل (الدكتور) الرياض .
- القاضي ، عثمان بن صالح ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق. إبراهيم الأبياري القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- ابن مسفر ، عبدالله بن علي ، أخبار عسير ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- المغيري ، عبدالرحمن بن حمد بن زيد ، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب ، تحقيق ، معد هذا البحث الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- المنقور ، أحمد بن محمد ، تاريخ . عبدالعزيز الخويطر (الدكتور) الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- النعمي ، هاشم بن سعيد ، تاريخ عسير بين الماضي والحاضر .
- وهبة ، حافظ ، خمسون عامًا في جزيرة العرب ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- هيكل ، محمد حسين (الدكتور) في منزل الوحي ، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

نسخ المخطوطات

عابد سليمان المشوخي
مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية - الرياض

بدأت عملية النسخ في مراحلها الأولى منذ عهد النبي ﷺ حيث اتخذ كتبة الوحي العسب والكرانيف والأضلاع - أي أكتاف الإبل - واللخاف لكتابة الآيات القرآنية ؛ بل إنّ بعض الصحابة كانوا يكتبون الأحاديث النبوية لأنفسهم . وقد حث الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ على تقييد العلم فقد روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال : قلت : «يا رسول الله أقيد العلم ؟» قال : «نعم» ، قلت : «وما تقييده ؟» قال : «الكتاب» (١) .

ويقول القلقشندي : ولما كان التقييد بالكتابة هو المطلوب ، وقع الحضُّ من الشارع عليه ، والحث على الاعتناء به تنبيها على أن الكتابة من تمام الكمال من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة ؛ وماذا عسى أن يحفظه الإنسانُ بقلبه أو يحصّلَه في ذهنه . ولم تقتصر الكتابة على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ؛ بل الشعر أيضاً ، فإنَّ ذا الرمّة الشاعر الأموي قال لعيسى بن عمر : «اكتُبْ شِعري فالكتابُ أعجبُ إليّ من الحفظ إنّ الأعرابي لينسى الكلمة قد سَهِرتُ في طلبها ليلةً فيضَعُ موضعها كلمة في وزنها لا تساويها ، والكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاماً بكلام» .

وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لمادح حتى قال سعيد بن العاص : «مَنْ لم يكتبْ فيمينه يُسرى» . وقال مَعْن بن زائدة : «إذا لم تكتب اليد فهي رجل» وبالغ مكحول فقال : «لاديَّة ليد لا تكتُب» (٢) .

وخلاصة القول إن الإسلام حث على العلم والتعلم وكتابته وتقييده .

وقد تم جمع القرآن الكريم واستنساخه وتوزيعه على الأمصار في عهد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وكتابة الحديث النبوي والسنة النبوية في عهد عمر بن عبدالعزيز ، ومع اتساع الدولة الإسلامية «. . . كثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلهما في الآفاق والأعصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران ، وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد . . . ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرَّقّ عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت» (٣) .

وبظهور مجالس الإملاء وصناعة الورق بالإضافة إلى طبقة الوراقين الذين كانوا يعنون بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وبيعها ازدهرت حرفة نسخ المخطوطات ، وبلغت ذروتها في القرن الرابع الهجري الذي يعد العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية .

وعن هذا العصر وحركة الوراقة فيه وانعكاسها على النشاط الفكري يقول الحلوجي : إنها تمثل جانبًا مضيئًا في تاريخ الثقافة العربية ، وكذلك في تاريخ الحضارة الإنسانية كلها «فقد كانت عاصمة العباسيين في ذلك الزمان البعيد تتمتع بثراء فكري منقطع النظير ، وكانت سوق الوراقين مركزًا للنشاط العقلي ، وكانت حوانيتهم مستودعًا لكل ما أنتجته القريحة العربية في شتى فروع المعرفة . وكانت كثرة هذه الحوانيت ورواج سوقها دليلاً واضحًا على خصوبة الفكر العربي واهتمام الناس في ذلك الزمان بكل مايلقى في مجالس الإملاء وما يدون في بطون الكتب من علوم الدنيا والدين» (٥) .

طرق النسخ

وكانت عملية النسخ تتم بطريقتين : الأولى أن يقوم الناسخ بالنسخ من مخطوطة أخرى بدون مساعدة أحد له وبعد الانتهاء من النسخ يراجع ما نسخه على النسخة التي اعتمد عليها أي يقابلها ويصححها .

أما الطريقة الثانية : فتتمثل في جلوس عدد من النساخ حول شخص آخر يملي عليهم من مخطوطة يراد الحصول على عدة نسخ منها أو جلوس عدد من التلاميذ حول شيخهم . وهو ما يسمى بالإملاء وهو لون من ألوان النَّسْخ ؛ بل هو الصورة الأولى للنَّسْخ . وبعد الفراغ من النسخ تجرى عملية المقابلة والتصحيح .

وكان بعض النساخ يقوم بنسخ الكتب المراد الحصول على نسخ أخر منها داخل بعض المكتبات أو دكاكين الوراقين بحيث يقوم أحد الموظفين بالمكتبة بجلب الكتب المطلوب نسخها إلى النساخ كما كان الحال في «دار العلم ببغداد» حيث كانت تَوْفيقُ الجارية السوداءُ تخرج الكَتب إلى النُّساخ» (٦) .

«وقد وجد في مكتبة بني عمار في طرابلس الشام مائة وثمانون نساخًا يتناوبون العمل فيها ليل نهار . حتى لقد وجد أفراد عندهم نساخ اختصوا بهم فكانوا ينسخون لهم الكتب ويتسلمون منهم الجرايات مثل الواقدي والقاضي أبي المطرف وغيرهما» (٦) .

وكان من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الناسخ الأمانة فيما ينقل وينسخ ، وأن يكون على درجة من المعرفة لفهم ما ينسخه حاضر الذهن متيقظًا ، فشرود الذهن والغفلة قد تؤدي به إلى الخطأ أو إلى إهمال بعض الكلمات أو السطور دون أن يتنبه لها ، وهذا أمر معروف عند من يعمل في مجال فهرسة أو تحقيق المخطوطات .

وقد وضع بعض العلماء آدابًا وشروطًا لنساخ الكتب ومن ذلك ما ذكره ابن جماعة الكناني حيث يقول : «إذا نسخ شيئاً من كتب العلوم الشرعية فينبغي أن يكون على طهارة مستقبلاً القبلة طاهر البدن والثياب . . . ويبتدئ كل كتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم فإن كان الكتاب مبدوءاً فيه بخطبة تتضمن حمدالله تعالى والصلاة على رسوله كتبها بعد البسملة وإلا كتب هو ذلك بعدها» (٧) .

وقد تميز بعض النساخ بإتقانه لفن النسخ فبعضهم لم يكتف بلون واحد ؛ بل استخدم العديد من الألوان لضبط النص فهذا الناسخ محمد بن عبدالله بن محمد بن غلطوس (المتوفى سنة ٦١٠هـ) كان يضع «لكل ضبط لونًا من الألوان لا يُخلُّ به فاللازورد للشدّات والجزمات واللّك (الأحمر) للضّمات والفتحات والكسرات والأخضر للهمزات المكسورة والأصفر للهمزات المفتوحة لا يخل بشيء من ذلك ، وليس فيه واو ولا ألف ولا حرف ولا كلمة في الحاشية ولا تخريجة وكأنه متى فسد معه شيء أبطل تلك القائمة» (٨) .

ويحدثنا الصفدي عن دقة هذا الناسخ في ضبط ما ينسخه ويقول : بأنه باع مصحفًا لإنسان جاء إليه من بلد بعيد مسافة أربعين يومًا ، وبعد مدة تذكَّر الناسخ أنه وضع نقطًا أو ضبطًا على بعض الحروف في غير موضعها فسافر إلى الرجل في بلده ، وقابله ، وطلب منه المصحف ، فتوهم الرجل أن الناسخ تراجع في البيع

فقال له الناسخ : «لابد أن أراه فلما أتى به إليه حك ذلك الغلط وأصلحه وأعاده إلى صاحبه» [٩] .

ومن النساخ من تخصص في كتابة عناوين الكتب، وهذا يفسر لنا ما نشاهده أحيانًا في بعض المخطوطات من اختلاف نوع الخط بالنسبة للفصول والأبواب عن بقية النص في بعض المخطوطات .

يقول الصفدي عن أحد النساخ واسمه إبراهيم ابن أحمد الزرعي بأن له قدرة على حكايات الخطوط ، ومناسباتها ويحمل الناس إليه الكتب ليكتب أسماءها بحسن خطه [١٠] .

وكان بعض العلماء يكرهون لجوء بعض النساخ إلى الخط الدقيق أو الرقيق ؛ لأن هذا يتعب نظرهم ، حتى قال ابن حجر العسقلاني ربما كان الناسخ بالخط الدقيق قصير الأمل لا يؤمل أن يعيش طويلاً [١١] .

ويحدثنا العراقي عن سبب كراهية تضييق السطور وتدقيق الخط قائلاً : «لأنه لا ينتفع به من في نظره ضعف، وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به كما قال أحمد بن حنبل (لابن عمه) حنبل بن إسحاق ، ورآه يكتب خطاً دقيقًا : لا تفعل أحوج ما تكون إليه يخونك ، وهذا إذا كان لغير عذر ؛ فإن كان ثم عذر كضيق الورق ، أو الرق الذي كتب فيه أو كان رحالاً في طلب العلم يريد حمل كتبه معه فتكون خفيفة الحمل فلا يكره له ذلك» [١٢] .

وعندما سئل عبدالله بن أحمد بن محمد بن روزبة الفارسي (كان حياً سنة ٣٨٠هـ) عن سبب دقة خطه قال : «لقلة الوَرَق والورق ، وخفة الحمل على العنق» [١٣] .

وذكر ابن حجَر العسقلاني عن أحد النساخ وهو إسماعيل الزمكحل (المتوفى سنة ٧٨٨هـ) ، أن رئاسة الكتاب انتهت إليه أجاد كتابة الخط الدقيق إلى الغاية بحيث «لا يطمس واوًا ولا ميمًا فلم يكن يدركه أحد في ذلك حتى كان يكتب سورة الإخلاص على أرزة ، وكتب من المصاحب اللطاف شيئاً وخطه غاية في الحسن» [١٤] .

وقد عابوا على النساخ أيضًا خط التعليق ، وقيل عن هذا الخط إنه «خط الحروف التي ينبغي تفرقتها وإذهاب أسنان من ينبغي إقامة أسنانه وطمس ما ينبغي إظهار بياضه ، وكذا (المشق) بفتح أوله وإسكان ثانيه وهو خفة اليد وإرسالها مع بعثرة الحروف وعدم إقامة الأسنان» [١٥] .

واتُّهم بعض النساخ بعدم الدقة في ضبط الكتابة ويعود ذلك إلى سرعة الكتابة بغية الكسب السريع .

ومن النساخ الذين عرفوا بسرعة النسخ محمد بن مملاذ (المتوفى سنة ٦٤٣هـ) ، ذكر أنه كتب في يوم واحد ستة عشر كراسًا وكان ينشئ الرسالة معكوسة يبدأ بالحمدلة ويختم بالبسملة لفرط السرعة [١٦] .

ومن هؤلاء أحمد بن عبدالدائم الفُندقي (المتوفى سنة ٦٦٨هـ) فقد «كان يكتب إذا تفرغ في اليوم تسع كراريس أو أكثر ، ويكتب الكراسين والثلاث مع اشتغاله في يوم وليلة» . قيل إنه كان يكتب «القدوري» في ليلة واحدة . . وقيل «إنه كان ينظر في الصفحة نظرة واحدة ويكتبها» . ويعلق الصفدي على هذه السرعة قائلاً : «ولذلك يوجد له الغلط فيما كتبه كثيراً ، ولازم النسخ خمسين سنة وخطه لا نقط فيه ولا ضبط» [١٧] .

ويقول السخاوي عن محمد بن إسماعيل بن يوسف الحلبي (المتوفى سنة ٨١٤هـ) : «وبلغنا أنه قال : كتبت مصحفًا على الرسم العثماني في ثمانية عشر يومًا بلياليها في الجامع الأزهر سنة (٧٦٥هـ) ، وأنه قال في آخر سنة (٨١٣هـ) أنه نسخ مائة وأربعة وثمانين ما بين مصحف وربعة جميع ذلك من صدره على الرسم العثماني» [١٨] .

ومن رجال القرن التاسع الهجري أيضًا محمود ابن أحمد بن موسى العيني (المتوفى سنة ٨٥٥هـ) ، يقال إنه كتب كتاب القدوري في ليلة ، وإنه كتب الحاوي في ليلة أيضًا [١٩] .

وقيل إن القاضي محمد بن أحمد بن إبراهيم شرف الدين القناوي (المتوفى سنة ٦٩٢هـ) كتب بمَدّة [٢٠] واحدة مائة وعشرين سطراً وقيل إلى ثلاث مئة سطر أو ما يقرب منها [٢١] .

وكان عبدالرزاق بن أحمد بن محمد ، ابن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣هـ) ، يكتب في اليوم الواحد أربع

كراريس قال الصفدي : «أخبرني من رآه ينام ويضع ظهره إلى الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف» [٢٢] .

ومن النساخ الذين عرف عنهم سرعة النسخ وفي الوقت نفسه الإتقان محمد بن إبراهيم بن محمد الطاهري، ويعرف بالبدر البشتكي (المتوفى سنة ٨٣٠هـ) وكان يؤثر الانفراد والوحدة مع الجلادة على النسخ مع الإتقان والسرعة الزائدة ، بحيث كان يكتب في اليوم الواحد خمس كراريس فأكثر «وربما يتعب فيضطجع على جنبه ويكتب ، وكتب بخطه من المطولات والمختصرات لنفسه ولغيره ما لا يدخل تحت الحصر كثرة خصوصًا النهر لأبي حيان وإعراب السمين والكرماني وتاريخ الإسلام للذهبي . . . ووجد له بآخر نسخة من النهر أنها الثانية والعشرون بعد المائة مما كتبه بخطه منه» [٢٣] .

والأمثلة على سرعة النساخة من النساخ المحترفين كثيرة نكتفي بما ذكرناه .

ولجأ بعض النساخ إلى طرق ملتوية وحيل غريبة في سبيل ترويج إنتاجهم من أجل الكسب المادي إما بتقليد بعض الخطوط المشهورة ، أو اللجوء إلى تعتيق الورق كما فعل أحمد بن محمد بن يوسف ، ابن دوست البزاز (المتوفى سنة ٤٠٧هـ) ، وغيره . قال عنه أبو القاسم الأزهري : «ابن دوست ضعيف رأيت كتبه كلها طرية ، وكان يذكر أن أصوله العتق غرقت فاستدرك نسخها . سألت أبا بكر البرقاني عن ابن دوست فقال : كان يسرد الحديث من حفظه ، وتكلموا فيه . وقيل إنه كان يكتب الأجزاء ويتربها ليظن أنها عتق» [٢٤] .

وبعض الوراقين استخدم عبيده كنساخ والعبد الذي يعرف النسخ كان يزداد ثمنه عن غيره . ومن الطرق العجيبة التي لجأ إليها بعض الوراقين أن البعض كان يرش ملابس العبد بقطرات من الحبر ليعطي انطباعًا بأنه يعرف الكتابة [٢٥] .

إن كل ما قيل ويقال عن النساخ والوراقين لا ينقص من جهودهم الكبيرة فآلاف المخطوطات العربية التي نشاهدها اليوم ، نسمع عن وجودها في مختلف عواصم ومدن العالم خير شاهد على فضل هؤلاء العاملين المجهولين الذين استطاعوا بجهودهم المتواصلة أن يشيدوا تلك الصروح . هؤلاء النساخ الذين يطلق عليهم اسم الوراقين لم يقتصروا على مهنة النسخ فحسب ؛ بل كان بعضهم يقوم بمقابلة الكتب وتصحيحها وضبطها وتجليدها . وبعضهم يبيع الكتب ويتجر بها وكثيرًا ما تحدثنا كتب التاريخ عن سوق الوراقين وأكشاكهم .

وكان بعضهم ذا منزلة عالية من الثقافة والعلم بحكم اتصالهم بالعلماء فهم حلقة الوصل بين العلماء وطلاب العلم وعامة الناس .

إن صناعة هؤلاء العلماء مذهلة بحق فالحسن بن عبدالله المرزباني (المتوفى سنة ٣٦٧هـ) كان لا يأكل إلاّ من عمل يده ينسخ قبل أن يجلس للقضاء والاشتغال كل كراس بعشرة دراهم يتقوت بها ، وكتب ما يزيد على «٣٧٥٨٠» صفحة ، ويقال إن ياقوتًا الحموي كتب «٣٣١٨٠» صفحة . وابن حزم أربع مئة مجلد . وتفسير الطبري ملأ ثلاثين ألف صفحة في الأصل ، ولكنه اختصره إلى ثلاثة آلاف صفحة أما السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ) عن عمر يناهز ٦٠ عامًا فبلغت كتبه ٦٠٠ كتاب حسب قول المؤرخ المصري ابن إياس [٢٦] .

ومن العلماء الذين اشتغلوا بمهنة النسخ أبو الفتح ابن سيد الناس اليَعْمُرِيّ ، محمد بن محمد بن محمد (المتوفى سنة ٧٣٤هـ) ، «ونسخ بخطه واختار وانتقى شيئًا كثيرًا» [٢٧] .

وكذلك علان الشعوبي مؤلف كتاب المثالب . وكان راوية وعارفًا بالأنساب والمثالب والمناظرات . وكذلك ابن النديم صاحب الفهرست ، وياقوت الحموي مؤلف معجم الأدباء ، وابن شاكر الكتبي صاحب «فوات الوفيات» وغيرهم الكثير ولو حاولنا حصرهم لطال بنا الحديث .

لقد قام هؤلاء بدور بارز في إثراء المكتبات بالمخطوطات التي كانوا ينسخونها بدقة وإجادة تامتين .

الهوامش

١ - أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، تقييد العلم . ص ٦٨ .

٢ - أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ١ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

٣ - عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون . ص ٢٦٨ .

٤ - عبدالستار الحلوجي ، «تراثنا المخطوط : دراسة في تاريخ النشأة والتطور» . ص ١٧٢ .

٥ - أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران . تحقيق عائشة عبدالرحمن «بنت الشاطئ» . (ط ٧ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٢٨٧ .

٦ - محمد ماهر حمادة ، الكتاب العربي مخطوطًا ومطبوعًا ، - (الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

٧ - ابن جماعة الكناني ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص ١٧٣ .

٨ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات . تحقيق س . ديدر ينغ . (ط ٢ ، ألمانيا الغربية - فيسبادن : فرانز شتايز ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ج ٣ ، ص ٣٥٢ .

٩ - المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

١٠ - المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

١١ - محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي . (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ص ١٦٩ .

١٢ - عبدالرحيم بن الحسين العراقي ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث تحقيق محمود ربيع . (ط ٢ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

١٣ - محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث . ج ٢ ، ص ١٦٩ .

١٤ - أحمد بن علي بن محمد ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . (بيروت : دار الجيل ، د . ت) ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

١٥ - محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، المصدر نفسه . ج ٢ ، ص ١٧٠ .

١٦ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات . ج ٥ ، ص ٦٣ .

١٧ - المصدر نفسه . ج ٧ ، ص ٣٥ .

١٨ - محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت : دار مكتبة الحياة ، د . ت) ، ج ٧ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

١٩ - المصدر نفسه . ج ١٠ ، ص ١٣٣ .

٢٠ - المدّة : الاستقاء من الدواة .

٢١ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات . ج ٢ ، ص ١٣٦ .

٢٢ - أحمد بن علي بن محمد ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ج ٢ ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

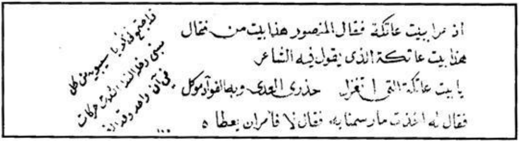
٢٣ - محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . ج ٦ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

٢٤ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد . مج ٥ ، ص ١٢٥ .

٢٥ - The Arabic Book. By Johannes Pedersen Princeton University Press Princeton, New Jersey . p 46 .

٢٦ - المصدر نفسه ص ٣٧ - ٣٨ .

٢٧ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، الوافي بالوفيات . ج ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .



أنماط المناخ النفسي في مؤسسات التربية الخاصة بالمملكة العربية السعودية

رسالة ماجستير لإبراهيم ناصر الثابت

الثابت ، إبراهيم ناصر / أنماط المناخ النفسي في مؤسسات التربية الخاصة بالمملكة العربية السعودية .- رسالة (ماجستير) .- إشراف فتحي السيد عبدالرحيم ، محمد عبدالمؤمن حسين .- البحرين : جامعة الخليج العربي ، كلية التربية ، قسم التربية الخاصة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أنماط المناخ النفسي السائد في مؤسسات التربية الخاصة بالمملكة العربية السعودية ، وكذلك التعرف على طبيعة الاختلافات والفروق في المناخ النفسي باختلاف نوع الإعاقة ، وباختلاف جنس العاملين أيضاً .

وقد حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

١ - ما أنماط المناخ النفسي السائد في مؤسسات التربية الخاصة بالمملكة العربية السعودية ؟

٢ - هل يختلف المناخ النفسي في مؤسسات التربية الخاصة باختلاف نوع الإعاقة ؟

٣ - هل يختلف المناخ النفسي في مؤسسات التربية الخاصة باختلاف جنس العاملين ؟

تكونت عينة الدراسة من (٤٢٠) فرداً ، (٢٣٦) من الذكور و (١٨٤) من الإناث ، وجميعهم ينتمون إلى (٢٨) مؤسسة من مؤسسات المكفوفين والصم والمتخلفين عقلياً وذوي الإعاقات الشديدة .

تم استخدام استبانة المناخ النفسي التي أعدها هالبن وكروفت ، وتحتوي على ثمانية أبعاد ، أربعة منها تتعلق بسلوك المعلمين ، وأربعة أخرى تتعلق بسلوك المدير.

وفيما يلي النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

١ - أن جميع أنماط المناخ النفسي موجودة في مؤسسات التربية الخاصة بنسب متفاوتة تراوحت بين ٣٢٪ (نمط المناخ المفتوح) و ٤٪ (نمط مناخ الإدارة الذاتية) .

٢ - أن مؤسسات المكفوفين يسود فيها نمط المناخ العائلي. أما مؤسسات الصم وكذلك مؤسسات المتخلفين عقلياً فيسود فيها نمط المناخ الأبوي ، بينما يسود نمط المناخ المفتوح في مؤسسات ذوي الإعاقات الشديدة .

٣ - أن بُعد المعوقات المتعلقة بالعمل في مؤسسات المتخلفين عقلياً أعلى بدرجة دالة إحصائياً مقارنة بمؤسسات المكفوفين ، كما أنه في مؤسسات الصم أعلى بدرجة دالة إحصائياً مقارنة بمؤسسات كل من المكفوفين وذوي الإعاقات الشديدة .

٤ - أن بُعد التركيز على الإنتاج في مؤسسات الصم أعلى بدرجة دالة إحصائياً مقارنة ببقية المؤسسات الأخرى.

٥ - أن مؤسسات التربية الخاصة التي يعمل بها الذكور يسود فيها نمط المناخ العائلي ، بينما يسود نمط المناخ الأبوي في المؤسسات التي تعمل بها الإناث .

٦ - أن أبعاد التباعد والمعوقات والنزعة الإنسانية في مؤسسات الذكور أعلى بدرجة دالة إحصائياً مقارنة بمؤسسات الإناث .

٧ - أن بُعد التركيز على الإنتاج في مؤسسات الإناث أعلى بدرجة دالة إحصائياً مقارنة بمؤسسات الذكور.

معايير اختيار العنصر البشري في منظمات الأعمال السعودية

رسالة ماجستير لسعيد عليثه الجريسي

الجريسي ، سعيد عليثه / معايير اختيار العنصر البشري في منظمات الأعمال السعودية – القطاع الصناعي – : دراسة وصفية تحليلية .- رسالة (ماجستير) .- إشراف طاهر حسين الدباغ ، عبدالله عبدالقادر نصير .- جدة : جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الاقتصاد والإدارة ، قسم إدارة الأعمال ، ١٤١٢هـ .- ١٧٠ + ٣٠ ورقة .

يعدّ اختيار العنصر البشري للعمل العمود الفقري في سياسة التوظيف ، ولا يتم الاختيار السليم إلا بتوافر معايير، ولأهمية ذلك قام الباحث بوضع هدف عام للدراسة وهو التعرف على سلامة الإجراءات التي تقوم بها منظمات الأعمال السعودية لتنفيذ عملية اختيار العناصر البشرية . وكذلك أهدافًا فرعية منها مدى وجود معايير موضوعية لاختيار الأصلح ، ومدى تأثير العوامل الاجتماعية على عملية الاختيار ، والتعرف على بعض مظاهر السلوك الإنساني السلبي ، ومدى إسهام المنظمات في المجتمع . وتبرز أهمية الدراسة من تحقق مدى نجاح سياسات التوظيف وتطبيقاتها في تحقيق الهدف من التوظيف لرفع إنتاجية المنظمات عن طريق الحصول على احتياجاتها من القوى العاملة كمًا وكيفًا وفي الوقت المناسب .

وقد سعى الباحث إلى وضع فروض البحث بشكل يظن أنه يحقق مناقشة جوانب الدراسة المختلفة وتتمثل الفروض في وجود علاقة بين كل من توافر المعايير واستقطاب الكفاءات ، وبيّن تأثير القائمين على عملية الاختيار بالعوامل الاجتماعية وعدم توافر المعايير ، وضعف الرقابة وضعف المسئولية الاجتماعية لدى بعض المنظمات .

ومن الفروض قد يتضح تناول المعايير التي تعدّ مقياسًا للكشف عن بعض الصفات في العاملين مثل القدرات الإنسانية والمهارات ، ويتم ذلك باستخدام وسائل علمية مثل طلب الالتحاق ، المقابلة الشخصية ، الاختبارات النفسية .

وقد اشتمل مجتمع البحث على كافة الصناعات القائمة بالمملكة ، واختيرت المصانع الواقعة بمدينة جدة كعينة تمثل مجتمع الدراسة بشرط أن لا يقل عدد العاملين عن ١٠٠ عامل ، ولقد قام الباحث بعمل دراسة تمهيدية على عينة مصغرة للتأكد من صدق أسئلة الاستبانة .

ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

١ – جهل بعض المنظمات لأهمية توصيف الوظائف .
٢ – تأثر بعض القائمين على عملية الاختيار بالعوامل الاجتماعية .
٣ – تفضيل الرقابة الإدارية على الرقابة الذاتية .
٤ – غياب المسئولية الاجتماعية عن بعض المنظمات .

ومن أهم التوصيات :

١ – ينبغي على المنظمات أن تهتم بتوصيف الوظائف .
٢ – ضرورة مراعاتها لمعايير الاختيار ووسائله .
٣ – لابد من تضافر الجهود من جميع الأطراف للكشف عن الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى لجوء البعض للواسطة لمعالجة الخلل الحاصل من استخدامها .
٤ – أن يكون هناك اهتمام لزيادة الروابط بين المؤسسات التعليمية والمنظمات .
٥ – على الدولة زيادة دعمها للمنظمات التي تثبت تحملها للمسئولية الاجتماعية .

الحياة العلمية في الأندلس في عهد الموحدين

رسالة ماجستير ليوسف بن علي العريني

العريني ، يوسف بن علي / الحياة العلمية في الأندلس في عهد الموحدين .- رسالة (ماجستير) .- إشراف حامد غنيم أبو سعيد .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

تعد «الحياة العلمية في الأندلس في عهد الموحدين» من أبرز الظواهر الحضارية التي تميز بها تاريخ المسلمين في تلك البلاد ، لما قامت به من إثراء للحركة العلمية الإسلامية ، هذا ولقد حاولت الرسالة أن تقدم دراسة شاملة لهذا الموضوع من خلال الخطة التي احتوت على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

تناولت المقدمة أهمية الموضوع ودواعي اختياره ثم عرض للمباحث التي تناولتها فصول الرسالة ، وختمت بدراسة لأهم المصادر والمراجع التي اعتُمد عليها في إعداد هذه الرسالة .

وفي التمهيد جاء الحديث عن الظروف التي صاحبت دخول الأندلس تحت الحكم الموحدي والأوضاع السياسية والإدارية والعسكرية في هذا العهد ، ثم أبرز سمات الحياة العلمية في العهد السابق للعهد الموحدي .

وكان الفصل الأول عن العوامل المؤثرة في الحياة العلمية ، وقسمت تلك العوامل إلى عوامل إيجابية وأخرى سلبية ، وقد تنوعت العوامل الإيجابية ، فمنها ماله صلة بطبيعة المجتمع الأندلسي واهتمامه بالعلم (تعلمًا وتعليمًا وتأليفًا) ومنها ما يتعلق بجهود الدولة الموحدية في سبيل الرقي بالنواحي العلمية والفكرية ، كما أن الرحلات العلمية كانت أحد العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة العلمية وأخيرًا أشير إلى أثر المناظرات والردود العلمية في إثراء الجوانب العلمية والفكرية .

أما العوامل السلبية فقد جاءت في فقرتين إحداهما عن الظروف السياسية والعسكرية التي سادت هذا العصر وبالذات في أواخره ، أما الثانية فقد كانت عما تعرض له بعض العلماء من اضطهاد وتضييق من بعض رجال الدولة لظروف وأسباب بسط القول فيها في موضعها من الرسالة.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن دور العلم وأثرها في الحياة العلمية حيث استعرضت صفحات هذا الفصل دور العلم الأساسية كالمكتب والمسجد والمدرسة ، ثم أوردت أمكنة اضطلعت بدور مساند في التعليم كالمكتبات وحوانيت الوراقين ، ومنازل العلماء ، وقصور الأمراء والولاة ، ودكاكين عاقدي الشروط ؛ بل إن الحدائق والضياع لم تخل من أنشطة علمية ، وختم هذا الفصل بفقرتين لهما علاقة بدور العلم وهما عن تعليم المرأة وأجرة التعليم بمرحلتيه .

أما الفصل الثالث فقد كان عرضًا لطرق التعليم وأساليب التقويم وقد جاءت معلومات هذا الفصل عبر الحديث عن ثلاث زوايا الأولى تتعلق بطرق ووسائل اختيار الطالب لأستاذه لما لطريقة العالم وأسلوبه من أثر في إقبال طلبة العلم على التتلمذ عليه .

أما الزاوية الثانية فتناولت طرق التعليم وكانت الطرق الثلاث : السماع ، القراءة ، المناقشة والحوار جماع الطرق المستخدمة في التعليم ، وأخيرًا تحدثت الزاوية الثالثة عن أساليب تقويم العملية ثم ترشيح الشيوخ تلاميذهم للإقراء في حلقاتهم .

أما الفصل الرابع فهو محاولة لرصد النشاط العلمي الأندلسي من خلال الحديث عن ميادين الحياة العلمية وأبرز أعلامها ، حيث قسم هذا الفصل على أساس العلوم، فدرست العلوم الشرعية ثم علوم اللغة العربية ، فالعلوم الاجتماعية ، وأخيرًا العلوم التجريبية، ولم يقتصر الحديث في هذا الفصل على الإنتاج العلمي فقط ؛ بل تجاوزه لذكر بعض الجوانب العلمية والفكرية التي تميزت بها الحياة العلمية في تلك الفترة كآراء ابن

تومرت وموقف الأندلسيين منها والمعارك الكلامية الفكرية بين المسلمين والنصارى ، ثم ختم هذا الفصل بلمحة عن الأثر الذي خلفته الحياة العلمية الأندلسية في هذا العصر على الحضارة الأوربية .

وتتبع الفصل الخامس الأنشطة العلمية التي قام بها علماء هذا العصر خدمة لمجتمعهم ومواطنيهم من خلال الحديث عن دور العلماء في الحياة العامة ، وقد قسم هذا الفصل إلى قسمين : تناول الفصل الأول إسهام العلماء في الأعمال الرسمية وشبه الرسمية كالقضاء والكتابة ، والحسبة ، والسفارة للولاة والأمراء ، والإشراف على مشروعات الدولة ، وتحرير الوثائق والعقود ، أما القسم الثاني فابرز الأعمال والعطاء في أعمال البر والإحسان ، كما توسطوا في قضاء مصالح بلدانهم ومواطنيهم . وأخيراً فقد كانت الخاتمة مجالاً لاستعراض أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

هذا ولقد اعتمدت الرسالة على عدد كبير من المصادر والمراجع وقد حوت المقدمة دراسة لأهم المصادر الأساسية كما تم حصر المصادر والمراجع في قوائم ذيلت بها الرسالة .

جهود ابن قدامة في خدمة العقيدة

رسالة ماجستير لسعد بن محمد النباتي

النباتي ، سعد بن محمد / جهود ابن قدامة في خدمة العقيدة .- رسالة (ماجستير) .- إشراف أحمد عطية الزهراني .- مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤١١هـ .

جاء هذا البحث مشتملاً على تمهيد وبابين وخاتمة تكلم الباحث في التمهيد عن ترجمة الموفق ابن قدامة: عبدالله بن أحمد بن محمد من خلال كتب التراجم المعتمدة .

وذكر الباحث في الباب الأول أقوال الموفق في مسائل تقرير العقيدة عنده ، فتعرض لذكر أقواله في مسائل الإيمان ، وفي الغيبيات ، وفي مسائل الصفات ، وفي الصحابة والإمامة ، وأيد أقواله بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح لهذه الأمة .

أما الباب الثاني ، فقد كان في دفاع ابن قدامة عن عقيدة السلف الصالح ، فذكر ردوده على المتكلمين ، وتحريمه للنظر في علم الكلام ، وأفرد خلاله فصلاً للكلام فيه عن ذمه للبدع ، وردوده على المبتدعة ، وفصلاً آخر في ذم التأويل في الصفات والرد على المخالفين . وأيد الباحث ذلك بالأدلة الصحيحة وأقوال السلف الصالح .

وأما الخاتمة فذكر الباحث فيها أهم النتائج التي توصل إليها في هذا البحث ، ومنها :

١ - أن الموفق ابن قدامة موافق في مجمل اعتقاده لاعتقاد أهل السنة والجماعة في مسائل الإيمان ، ومنها الغيبيات ، ومسائل الصفات ، وبيّن أنه لا يصح نسبة التفويض إليه .

٢ - أن ابن قدامة في معرض ردوده على أهل الكلام لم يستعمل الكلام الجدلي ، والإلزامات العقلية ؛ بل عالج ذلك عن طريق الاستدلال من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح .

٣ - ودفاعاً عن عقيدة السلف فإن ابن قدامة - رحمه الله - ينهى عن التأويل في الأسماء والصفات ويحذر منه ويرد على أهله .

٤ - ينهى ابن قدامة عن البدع ويذمها ، ويحذر منها ، ويرى أنه لا مدخل لها في هذا الدين .

٥ - وذكر الباحث أن هناك مسائل يسيرة أخذها على الموفق وظهر له فيها عدم موافقته لمنهج السلف الصالح ، منها : جعل آيات الصفات من المتشابه ، وقال بوقوع المجاز في القرآن ، ورأي جواز الاستشفاع بالنبي ﷺ بعد موته عند قبره ، وإطلاق لفظ القديم على كلام الله تعالى .